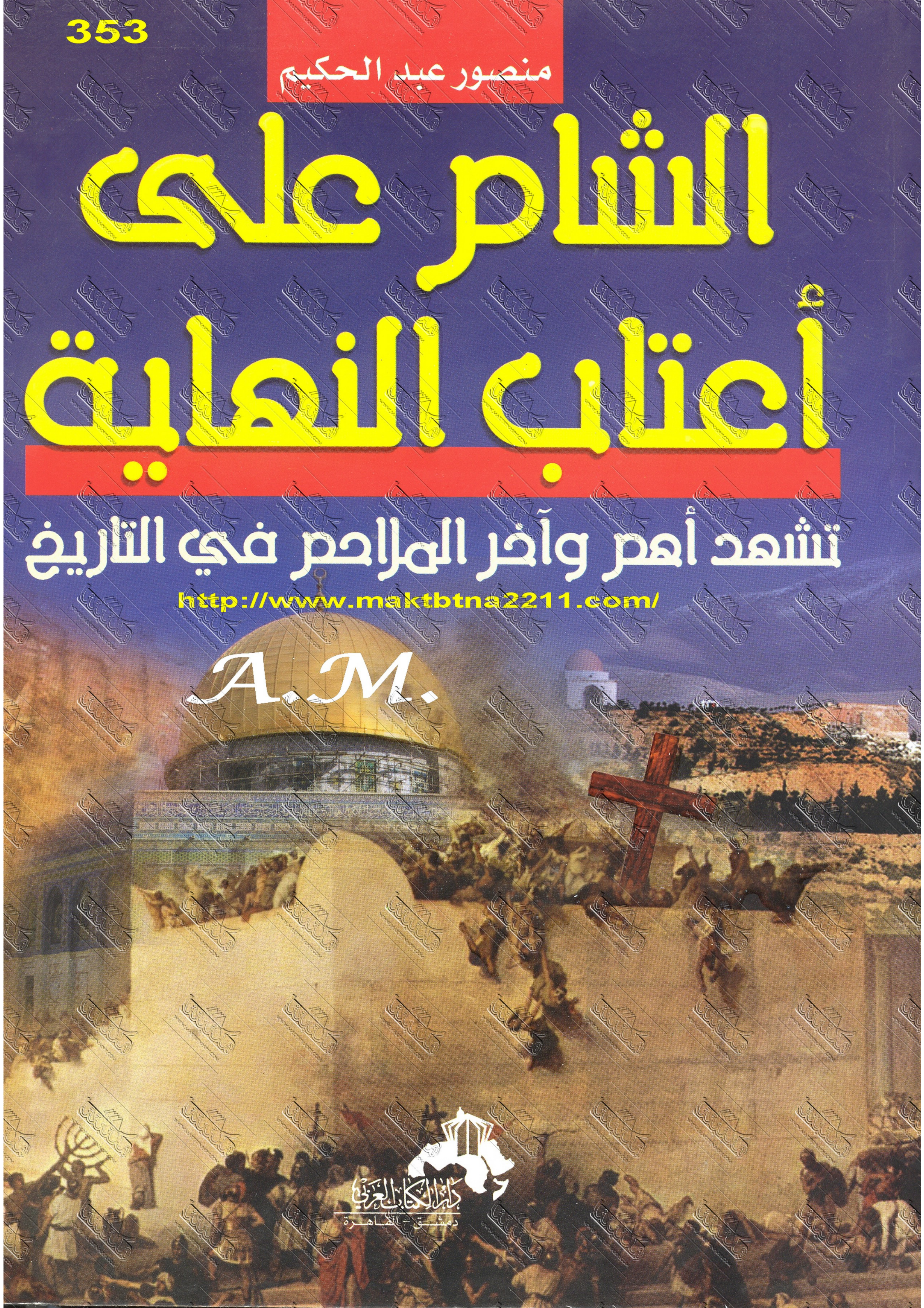

353
منصور عبد الحكيم
الشام على أعتاب النهاية
تشهد أهم وآخر الملاحم في التاريخ
http://www.maktbtna2211.com/
A.M.
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

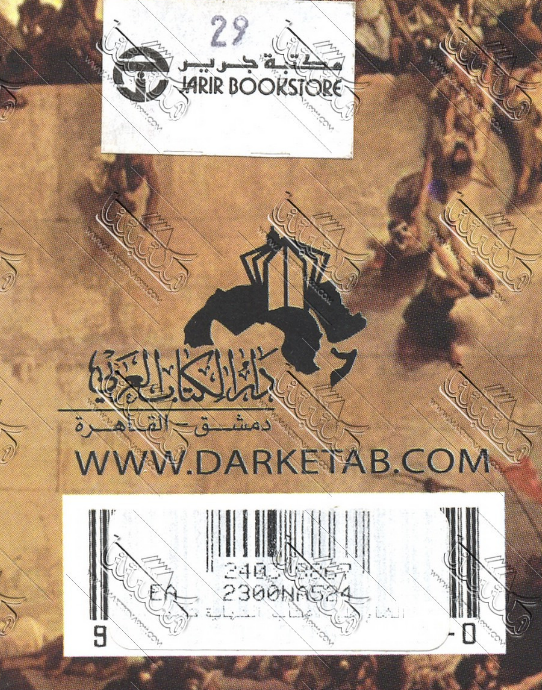


Tuse.
16/4/2013

بلاد الشام سوريا ولبنان وفلسطين والأردن هي الأرض المباركة هي أرض المحشر والمنشر أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم باللجوء إليها آخر الزمان . فهي أرض الإيمان والأمان والتصدي لقوى الشر والدجال حيث تجتمع جيوش الروم لمحاولة أخيرة للقضاء على الإسلام فتكون نهايتهم في الملحمة الكبرى بدابق على أرض الشام .

وتقرأ في هذا الكتاب عن الشام في اللغة والقرآن والسنة النبوية والتاريخ والجغرافيا .وتقرأ عن الحصار الذي تتعرض له الشام ممثلة في غزة الفلسطينية وتقرأ عن القدس محور الصراع في الشام ومحاولات اليهود الصهاينة لتهويد المدينة المقدسة وتقرأ عن المسجد الأقصى أهم معالم الشام وتقرأ عن أهم موضوعات آخر الزمان عن السفياني تلك الشخصية التي حيرت الكثيرين من الكتاب عبر التاريخ .وتقرأ عن معارك السفياني مع أعدائه من العرب حوله وكيف يخرج السفياني من عمق دمشق وتتعرف على السفياني الأول الذي خرج من مصر أيام حكم محمد علي باشا .وحكم بلاد الحجاز ثم تقرأ عن السفياني الأخير وتتعرف على شخصيته واسمه

وتقرأ عن أهم المعارك التي تشهدها بلاد الشام آخر الزمان وتقرأ عن معركة هرمجدون التي يزعم الغرب المسيحي أنها تقع على أرض فلسطين وتقرأ عن الملحمة الكبرى عند أهل الإسلام السنة ونزول الروم بالأعماق أو بدابق ومعسكر الملحمتين بالغوطة بريف دمشق .. وتقرأ عن شخصيات آخر الزمان المهدي وعيسى ابن مريم والمسيح الدجال وهلاك يأجوج ومأجوج على أرض الشام ثم تقرأ عن الشام وكونها أرض المحشر والمنشر بعد تلك الأحداث التي تشهدها الشام .وهبوب ريح شامية تقبض أرواح المؤمنين قبل النفخ في الصور





على أعْتاب النهايةِ في الشامِ

منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ **(سورة الإسراء: ١)**

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ **(سورة الأنبياء: ٧٠ - ٧١)**

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ **(سورة الأنبياء: ٨١)**

قال ﷺ: «الشام أرض المحشر والمنشر»[١]

وقال أيضاً: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»

رواه الطيالسى فى مسنده والترمذى وابن ماجه وأحمد وغيرهم[٢].

(١) رواه أحمد وابن ماجه وهو صحيح الشواهد.

(٢) الشطر الثانى من الحديث له شواهد كثيرة فى الصحيحة وغيرهما.

مقدمة

إن الحمد لله وحده لا شريك له نحمده ونستعينه وتستغفره ونستهديه وتعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له وما يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم أما بعد..

فقد دُونت مؤلفات ومصنفات كثيرة عن الشام وفضائله ولا عجب فى ذلك فالشام هو أرض المحشر والمنشر وهو أرض الأنبياء والرسالات وعلى أرضه تدور أحداث آخر الزمان، ومعاركه من نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله للدجال المدعى للألوهية ونهاية لليهود الصهاينة مغتصبى أرض فلسطين، ولهذا نردد قول رسولنا ﷺ «يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام».

قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟

قال: تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام[1].

ونحن فى هذا الكتاب سوف نستعرض بإذن الله تعالى أحوال الشام فى

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، ورواه ابن حبان فى صحيحه بإسناد صحيح، وفى إحدى الروايات قال «طوبى لأهل الشام».

أحداث آخر الزمان من الأحداث المعاصرة التى تجرى على أرضه فى بلاده «سوريا وفلسطين ولبنان»، وما جاء فى النبوءات النبوية، وأهم الشخصيات المؤثرة فى تلك الأحداث بالإضافة إلى ذكر فضائل الشام وأهله فى السنة النبوية والقرآن الكريم.

ولأننا نعايش أحداثا جساما وهامة وعاصفة فى وطننا العربى نرى أنها مقدمات لأحداث آخر الزمان وأشراط الساعة الكبرى والصغرى التى أخبرنا بها النبى ﷺ فإنه من الضرورى إلقاء الضوء وتسليطه على تلك الأحداث المعاصرة وربطها بما جاء فى الأحاديث النبوية التى تحدثت عن أشراط الساعة وشخصياتها مثل الدجال والمهدى والمسيح ابن مريم والسفيانى.

ولعل أولى ما نتحدث عنه ذكر بلاد الشام وخصائصها ومعانى أسماء تلك المدن فى اللغة ودورها فى أحداث آخر الزمان.

نسأل الله التوفيق والسداد فى إخراج هذا العمل على الوجه الذى يرضيه ويتقبله منا ويجعله فى ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

■ ■ ■



1

الشام فى اللغة
والقرآن والسنة النبوية

- الشام فى اللغة والتاريخ والجغرافيا
- الشام فى القرآن والسنة النبوية

الشام فى اللغة والتاريخ والجغرافيا

للأسماء معان تدل عليها لها أصل فى اللغة والتاريخ فكلمة «الشام» تعنى بلاد الشام المعروفة تاريخياً والتى قسمها المستعمر فى العصر الحديث إلى أربع دول هى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن.

ومما قيل فى أصل الكلمة أنها سميت بأرض الشام لأنها تقع شمال الأرض، والشأم بفتح أوله وسكون همزته وكذلك الشام بدون همزة تذكر وتؤنث فيقال رجل شامى وامرأة شاميّة أو شامية بدون تشديد كما جاء فى معاجم اللغة عن لسان العرب لابن منظور وغيره.

وقيل إنها سميت شاما نسبة إلى ابن نوح عليه السلام «سامش وقلبت السين شينا حسب اللغة السريانية ولكن هذا القول لا أصل له حيث إن سام بن نوح لم ينزل أرض الشام رغم أن مدن الشام ضاربة فى التاريخ القديم.

وتعرف الشام فى التاريخ بسوريا حيث أطلق على المنطقة الممتدة على الساحل الشرقى للبحر الأبيض فى حدود العراق كما ذكر ذلك فى وصف المؤرخ الرومانى ملينيوس الأكبر.

وجذر كلمة الشام يعنى جهة اليسار ومنه اشتق معنى سوء الطالع أو الشؤم وعكس اليسار جهة اليمين ومنه حسن الطالع.

وفى العهد العثمانى أطلقت على الأقاليم أو الولايات العثمانية بالشام حلب ودمشق وجبل لبنان والقدس اسم سوريا.

ومع سقوط الحكم العثمانى وحسب اتفاقية سايكس بيكو الاستعمارية قسمت سوريا العثمانية إلى منطقة فرنسية فى الشمال سميت سوريا، وأخرى فى الجنوب تابعة لبريطانية سميت بفلسطين، ثم قسمت المنطقة

الشمالية الفرنسية عام ١٩٢٠ إلى أجزاء هى دمشق وحلب والساحل وجبل الدروز ولبنان والأقاليم السورية الشمالية ثم توحدت هذه الأجزاء عام ١٩٣٦ وشكلت الجمهورية السورية، والمنطقة الجنوبية قسمت عام ١٩٢١ إلى منطقتين هى فلسطين وشرق الأردن، ثم قسمت مرة أخرى عام ١٩٤٧ إلى دولة عربية فى الجليل والضفة الغربية وغزة إلى يافا، ثم جاء الاحتلال الصهيونى ليحتل باقى الأجزاء عام ١٩٤٨ وبعد عام ١٩٤٨ أصبحت منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة الأولى تابعة للأردن والثانية لمصر.

ثم بعد نكسة ١٩٦٧ استولت إسرائيل على كامل الأراضى الفلسطينية وأجزاء من دولة سوريا «الجولان»[١].

بعد سقوط ما بين النهرين فى يد الفرس فى أواخر العهد السلوقى بدأ التغير فى حدود المصطلح، حيث إنه اقتصر على المنطقة التى بقيت بيد السلوقيين ومن بعدهم الرومان، وهى تقريباً المنطقة الممتدة بين ساحل المتوسط والفرات، وهذا هو المعنى الذى عرفه العرب قبيل الإسلام واستمر طوال العصر الإسلامى.

وفى المفهوم الشائع لدى معظم الناس حالياً، فإن «الشام» هى سورية ولبنان والأردن وفلسطين التاريخية «الضفة الغربية، وقطاع غزة، وجنوب تركية وصولا إلى جبال طوروس وهى تعرف أيضاً بسوريا الكبرى.

وأما تعريفها فى الجغرافيا فهى تلك الأرض والبلاد التى تمتد من سلسلة جبال طوروس فى الشمال إلى شبه جزيرة سيناء فى الجنوب وتتميز هذه الأرض بسلسلتى جبال متوازيتين «غربية وشرقية» تشقانها من الشمال إلى الجنوب بالتوازى مع الخط الساحلى.

(١) احتلت إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ سيناء المصرية والجولان السورية وقطاع غزة والضفة الغربية، واستطاعت مصر استرداد سيناء بعد حرب ١٩٧٣ وما زالت الجولان السورية تحت الاحتلال اليهودى وكذلك غزة والضفة الغربية وباقي الأراضي الفلسطينية التي بيد اليهود الصهاينة ١٩٤٨.

تبدأ السلسلة الغربية شمالاً عند ملتقى جبال طورس مع جبال الأمانوس فى منطقة النهر الأبيض قرب مرعش، وتستمر سلسلة الأمانوس إلى مصب نهر العاصى فى خليج السويدية، وأقصى ارتفاع لها هو ٢٢٤٠م، ثم تمتد سلسلة مكملة لهذه الأولى من مصب العاصى إلى نهر الكبير الجنوبى وتعرف هذه السلسلة بسلسلة جبال النصيرية.

يفصل سهل عكار جبال النصيرية عن امتدادها الجنوبى فى جبل لبنان، وفى جبل لبنان سقف الشام وأعلى جباله ليصل ذروته بارتفاع ٣٠٨٨م فى قرنة السودا وبالاتجاه جنوباً تبدأ الجبال بالابتعاد عن نابلس من جبل الكرمل في حيفا حتى تتصل بجبال الخليل فى الجنوب، وتستمر مناطق التلال والجبال حتى رأس محمد فى أقصى جنوب سيناء، ويشكل جبل عيبال أعلى قمة فى جبال نابلس بينما تبلغ جبال الخليل أعلى نقاطها فى حلحول ويبلغ طول هذه السلسلة من مرعش إلى رأس محمد أكثر من ١١٠٠ كم.

تبدأ السلسلة الموازية بمجموعة من التلال من نفس النقطة تقريباً عند منطقة تسمى كابو تشام قرب مرعش وتمتد جنوباً إلى صوف داغ وجبل حلب، ثم تتحول إلى سلاسل من التلال وصولاً إلى سهل حمص وسهل عكار اللذين يشكلان نافذة لسورية الداخلية على البحر.

تستمر السلسلة من جديد مع جبال القلمون التى تبدأ من جنوب حمص إلى دمشق وتلتقى مع هضبة الجولان عند جبل الشيخ «وأعلى قممه بارتفاع ٢٨١٤م» بعد فسحة سهلية تمتد لمسابة تقارب ٦٠ كم عبر حوران تبدأ سلسلة جبال عجلوان وتستمر السلسلة عبر جبال السلط ومؤاب والشراه إلى خليج العقبة حيث تتصل بجبال الحجاز.

وتوجد جبال أخرى داخلية متفرقة مثل جبل البلعاس وسلسلة الجبال التدمرية وجبل عبدالعزيز وجبل العرب.

بين هاتين السلسلتين الجبليتين العظيمتين، يمتد أخدود سهلى عميق يشكل الجزء السورى «الشمالى» من الشق السورى الأفريقى وفيه توجد أخفض نقطة على سطح الأرض.. ينبع نهر العاصى من وسط الأخدو تقريباً ويتجه نحو الشمال بين سلسلتى الجبال فى سهل البقاع وسهل الغاب وسهل العمق ليصب فى البحر المتوسط.. ومن نقطة قريبة ينبع نهر الأردن ويتجه جنوباً ماراً فى سهل الحولة وأطراف سهل بيسان وغور الأردن ليصب فى البحر الميت أخفض نقطة على سطح الأرض.

إلى الغرب من السلسلة الساحلية يقع شريط سهلى ساحلى يضيق ويعرض.. يكون أقصى عرض للسهل الساحلى فى جنوب قطاع غزة بينما يختفى تماماً فى بعض النقاط مثل الجبل الأقرع جنوب لواء إسكندرون وفى جونيه وجبل الكرمل حيث تغتسل أقدام الجبال بمياه البحر.

وفى العصر الحالى استخدم مصطلح المشرق كمرادف لما يعرفه العرب بالشام أو سورية الكبرى أو بلاد آشور ولكن مصطلح المشرق كان تاريخيّاً يشير إلى منطقة أكبر من سورية تمتد داخلا إلى ما بين النهرين، أى الدولة الآشورية الكبرى التى تأسست فى مدينة الموصل الحالية فى العراق وتوسعت وامتدت لتشمل بلاد ما بين النهرين كلها «العراق الحالى كله» وذلك بعد تمكن الدولة الآشورية من السيطرة على الدولة البابلية، وكذلك امتدت لتشمل جنوب الأناضول، ومنطقة سورية ولبنان وفلسطين والأردن والمناطق التى قامت عليها إسرائيل عام ١٩٤٨ إثر الانسحاب البريطانى، أو بلاد المشرق أو الهلال الخصيب بأجمعه وذلك بعد تمكن الآشوريين من دحر الحيثيين الذين كانوا يحكمون منطقة سوريا ولبنان، كما شملت أجزاء من المناطق الغربية من إيران الحالية.

وكذلك تمكن بعض الملوك الآشوريين العظام من توسيع الدولة الآشورية حتى مصر، حيث تمكن الملك الآشورى أسرحدون بن سنحاريب من الوصول

حتى ممفس فى مصر، فيما تمكن الملك الأشورى آشوربانيبال بن أسرحدون من الوصول حتى طيبة فى مصر وإخضاع مصر للحكم الآشورى.

أصل كلمة سورية اليونانية يعود على راجح الأقوال إلى اسم المملكة الآسورية، وهى النطق الأوروبى لاسم المملكة الآشورية التى كانت عاصمتها آشور ثم كالح «النمرود» ثم نينوى، وتقع كل هذه العواصم فى مدينة الموصل الحالية فى العراق أو فى بلاد ما بين النهرين.

فقد كانت المنطقة الواقعة شرقى البحر الأبيض المتوسط كلها تابعة للإمبراطورية الآشورية أقدم وأكبر الإمبراطوريات فى العالم القديم.

وكان اسم الدولة الآشورية أو الامبراطورية الآشورية يطلق على المنطقة كلها.

وفى العصر الحديث تم تحريف الاسم قليلاً من Assyria إلى Syria وأطلق على جزء صغير فقط من الإمبراطورية الآشورية، وهو منطقة سوريا الحالية.

اسم سوريا يقصد به الآن الجمهورية السورية التى تشهد انتفاضة شعبية كبيرة.

وحسب إحصائيات عام ٢٠١١ يقدر عد سكان بلاد الشام بحوالى الخمسين مليونا تقريباً على أربع دول ما بعد سايكس بيكو والدولة الرابعة ما بعد وعد بلفور محل صراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين حيث قسمت فلسطين فيما بينهم ونشأت دولة إسرائيل من جهة والضفة الغربية وقطاع غزة من جهة أخرى يقدر عدد سكان الأردن بنحو ٦,٥٠٨,٢٧١ وبموجب إحصاءات عام ٢٠١٠ فإن عدد سكان سوريا يقدر بحوالى اثنين وعشرين مليوناً ونصفا بنسبة نمو طبيعى تعادل ١,٩٪ سنوياً أى بزيادة نصف مليون نسمة كل عام.

كما يبلغ عدد سكان لبنان بحسب تقدير الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٨ حوالى ٤,٠٩٩,٠٠٠ نسمة وبالنسبة لفلسطين التاريخية فقد كان عدد سكان

إسرائيل حوالى ٧,٤١ مليون نسمة وفق تقديرات عام ٢٠٠٨، والضفة الغربية حوالى ٤,٠١٨,٣٣٢ فى عام ٢٠٠٧، وأما قطاع غزة فقدر سكانه بحوالى ١,٤٤٩,٢٢١ فى عام ٢٠٠٩ حوالى ٩٠٪ من سكان سوريا هم من العرب فى حين أن الأكراد يشكلون ٨٪ من السكان، وتوزع النسبة الباقية على سائر الأقليات كالأرمن والتركمان والشركس والسريان بمختلف فروعهم، إلى جانب أقليات قومية وافدة أخرى تقيم فى المدن ومعظم الأردنيين هم من العرب المنحدرين من أصول مختلفة هاجرت إلى المنطقة على مر السنين من مختلف الاتجاهات.

وفقاً للأونروا، هناك ١,٩٥١,٦٠٣ لاجئ فلسطينى فى الأردن اعتباراً من يونيو ٢٠٠٨، مشكلين ما نسبته ٣١,٥٪ من سكان الأردن.

والدين الإسلامى واللغة العربية هما دين ولغة الأغلبية فى بلاد الشام وفى إسرائيل حيث دين ولغة الأغلبية العبرية واليهودية هناك حيث تكون العبرية اللغة الأساسية فى المناطق ذات الكثافة اليهودية والعربية فى المناطق ذات الكثافة العربية فى سوريا تنتشر اللغات الكردية خصوصاً فى حلب والحسكة، واللغة الأرمنية فى حلب وكسب واللغة الشركسية كلغة منطوقة بين أفراد هذه القوميات داخل البلاد، كما تستعمل اللغة السريانية بلهجتيها المعروفتين الشرقية والغربية خصوصاً من مناطق الجزيرة السورية، إلى جانب لهجة ثالثة أقرب إلى الآرامية القديمة منها إلى السريانية التى تعتبر تحديثها، ويطلق على هذه اللهجة الآرامية السريانية وتنتشر فى معلولا وثلاث قرى مجاورة إلى الشمال من دمشق.

وإلى جانب كونها لغة مخاطبة، فهى تستخدم كلغة طقوس فى الطوائف المسيحية ذات الطقس السريانى فى البلاد، كما تنتشر اللغة التركية بين التركمان(١).

وفى الأردن كما سوريا اللغة العربية هى الرسمية حيث كافة الأردنيين، بغض النظر عن العرق أو الدين، يتحدثون اللغة العربية، هناك لهجة تميز كل

(١) انظر موسوعة ويكيبديا على الإنترنت

منطقة من مناطق الأردن عن غيرها من المناطق الأخرى.. إذ تتشابه لهجة أهل الشمال «قرى أربد، عجلون، جرش، سوف، الرمثا».

يتكلم اللبنانيون اليوم اللغة العربية المدموغة بلهجتهم الخاصة المستمدة من اختلاط اللغة العربية مع الآرامية والسريانية، وبعض الكلمات التركية والفارسية كما أن معظم اللبنانيين يتكلمون أكثر من لغة منها الفرنسية والإنجليزية كما تستعمل اللغة الأرمنية بكثرة من اللبنانيين من أصل أرمنى.

وما زالت اللغة السريانية واللاتينية مستعملة فى الطقوس الدينية المسيحية وكما أن لبنان تفرض دراسة اللغتين الإنجليزية والفرنسية فى مدارس البلاد الرسمية والخاصة، إلى جانب وجود معهد خاص باللغة الآرامية هو الوحيد من نوعه فى العالم.

كما يوجد عدد من المعاهد الخاصة عموماً فإن سوريا تعتبر من البلاد القليلة التى انتدبت من قبل فرنسا ولم ترسخ فيها اللغة الفرنسية أو تعتبر كلغة ثانية وذلك بسبب سياسة الحكومات المتعاقبة بعد الاستقلال.

والدين الإسلامى هو الدين فى غالبية السكان فى الأردن، وكذلك هو دين الأغلبية للعرب ولغير العرب، إضافة لكونه الدين الرسمى فى الدولة، أكثر ٩٢٪ من الأردنيين هم من المسلمين السنة، والأغلبية الساحقة منهم يتبعون المذهب السنى وحوالى ٦٪ من المسيحيين غالبيتهم ينتمون إلى الكنسية الأرثوذكسية اليونانية، بالإضافة إلى أعداد أخرى تقدر بحوالى ٢٪ وهى «أعداد قليلة من السكان الشيعة والدروز» والدستور الأردنى يضمن حرية المعتقدات الدينية، ونظراً لما يشهده الأردن من تنوع عرقى ودينى فإنه يوفر الحرية الكاملة لمواطنيه فى تشكيل والمشاركة فى النوادى الخاصة بهم، المدارس، والجمعيات أو أماكن العبادة كما أن الحق للمجموعات العرقية فى تعليم لغاتها بشكل مجانى.

تنص المادة الثانية والأربعون من الدستور السورى على أن الحفاظ على الوحدة الوطنية واجب على كل مواطن المادة الثالثة من الدستور السورى أوضحت أن دين رئيس الجمهورية يجب أن يكون الإسلام، كما نصت على اعتبار الفقه أحد مصادر التشريع الرئيسية تعتبر سوريا بلداً متنوعاً طائفيّاً، ٧٤٪ من المواطنين من المسلمين المتمذهبين بالمذهب السنى، فى حين أن ١٦٪ من سائر الطوائف الإسلامية خصوصاً الشيعة والعلوية والدروز والإسماعيلية، أما نسبة المسيحيين فتتراوح بين ١٠ إلى ١٢٪ باختلاف الإحصاءات، حوالى نصفهم من الروم الأرثوذكس فى حين أن سائر الطوائف تشكل النصف الآخر.

تحوى سوريا أقل من ألف مواطن من أتباع الديانة اليهودية فى دمشق وحلب والقامشلى.. كانت أعداد الهيود أكبر فى السابق حتى وصلت إلى ثلاثين ألفا عام ١٩٥٤ غير أنها انخفضت نتيجة هجرتهم إلى إسرائيل والولايات المتحدث خصوصاً إثر حربى ١٩٤٨ و١٩٦٧ .

يوجد فى سوريا أيضاً بضعة آلاف من اليزيديين.

وفى المانطق الفلسطينية فإن الإسلام هو الدين الرئيسى للأغلبية وهناك المسيحيون الفلسطينيون أيضاً، أما على الطرف الآخر فتقبع إسرائيل التى أغلبية سكانها من اليهود، كما يوجد المسيحيون والمسلمون خاصة من عرب ٤٨ والدروز.

وتضم بلاد الشام مدنا لها طبيعة دينية خاصة عند المسلمين والمسيحيين واليهود، أهم تلك المدن هى مدينة القدس والمسجد الأقصى، ومدينة الخليل الحرم الخليلى ودمشق وبها الجامع الأموى، وبيت لحم وبها كنيسة المهد.

■ ■ ■



المملكة الأردنية الهاشمية من بلاد الشام



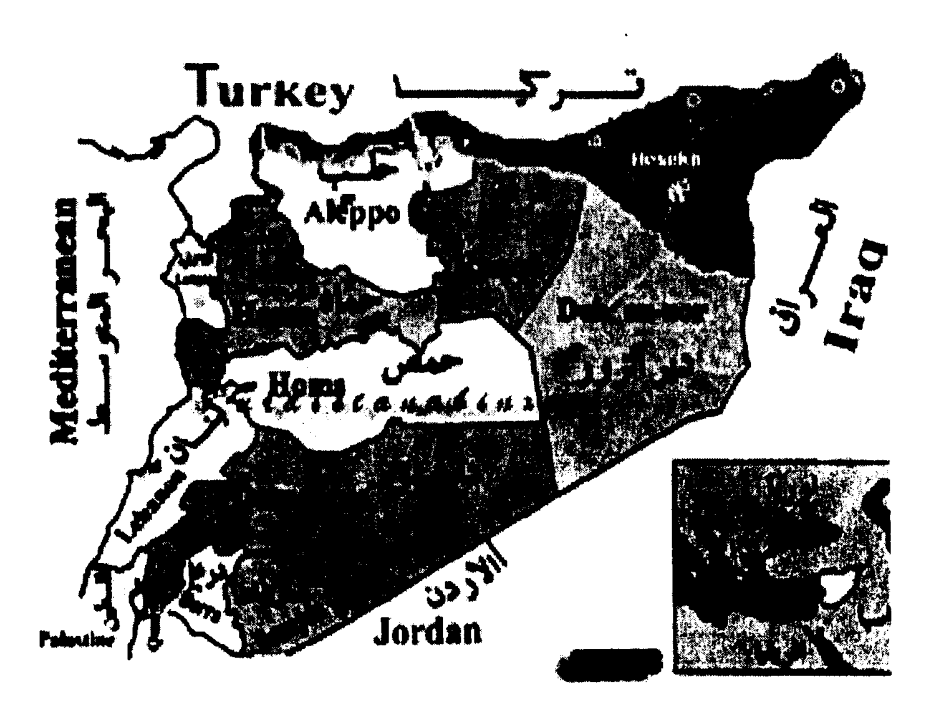
دولة لبنان إحدى بلاد الشام



الحلويات الشامية التي تمتاز بها بلاد الشام



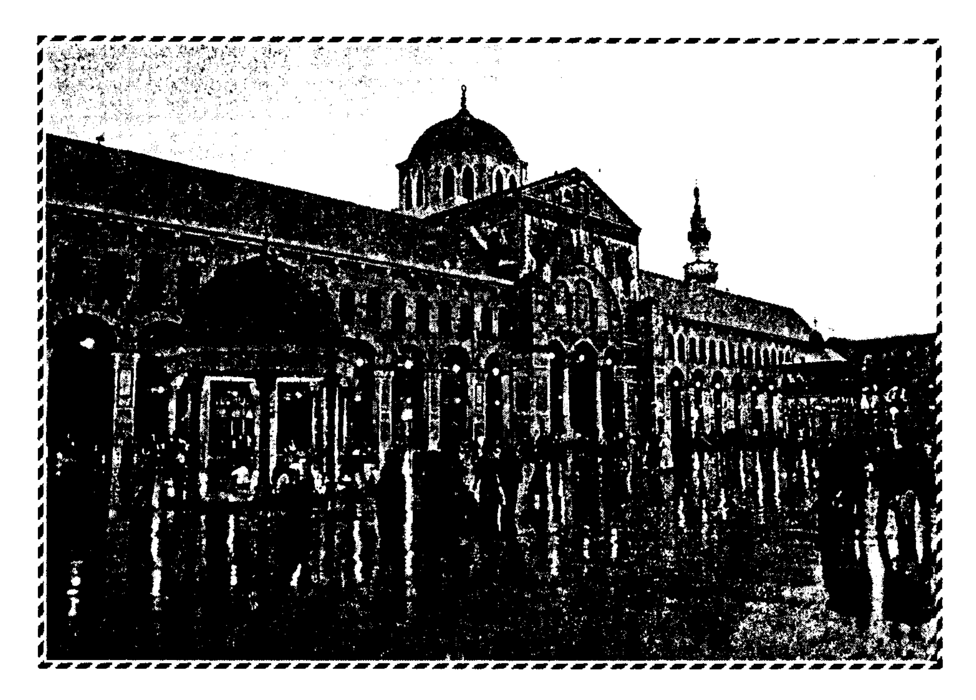
خريطة الجمهورية السورية أهم بلاد الشام



أهم المدن السورية

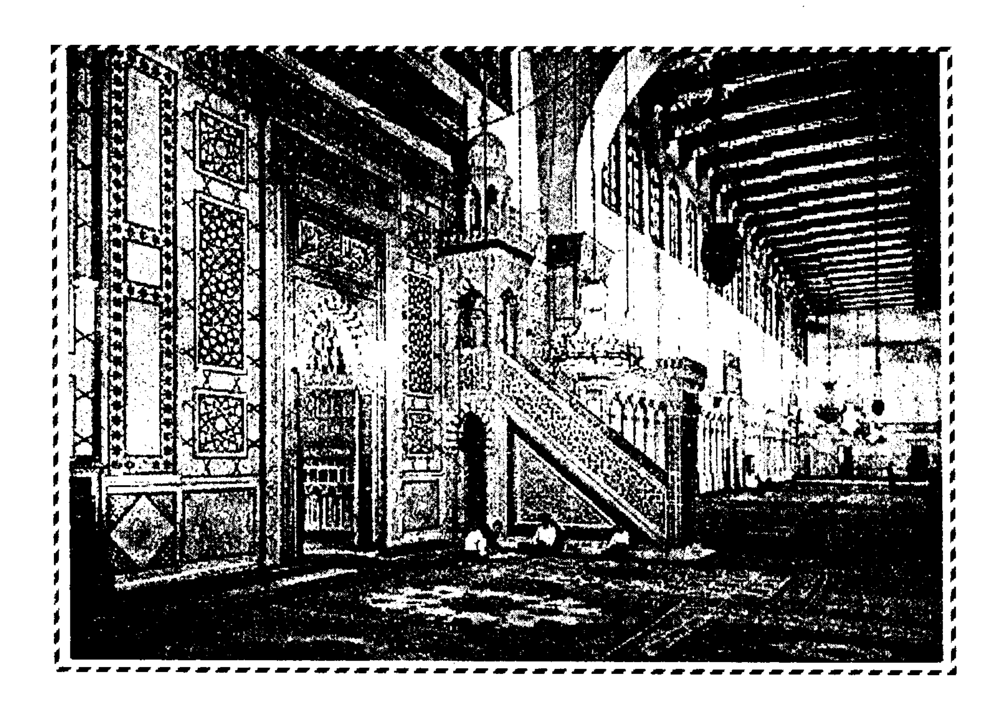


فلسطين المحتلة محور الصراع العربى اليهودى وعروس الشام



الجامع الأموى بدمشق

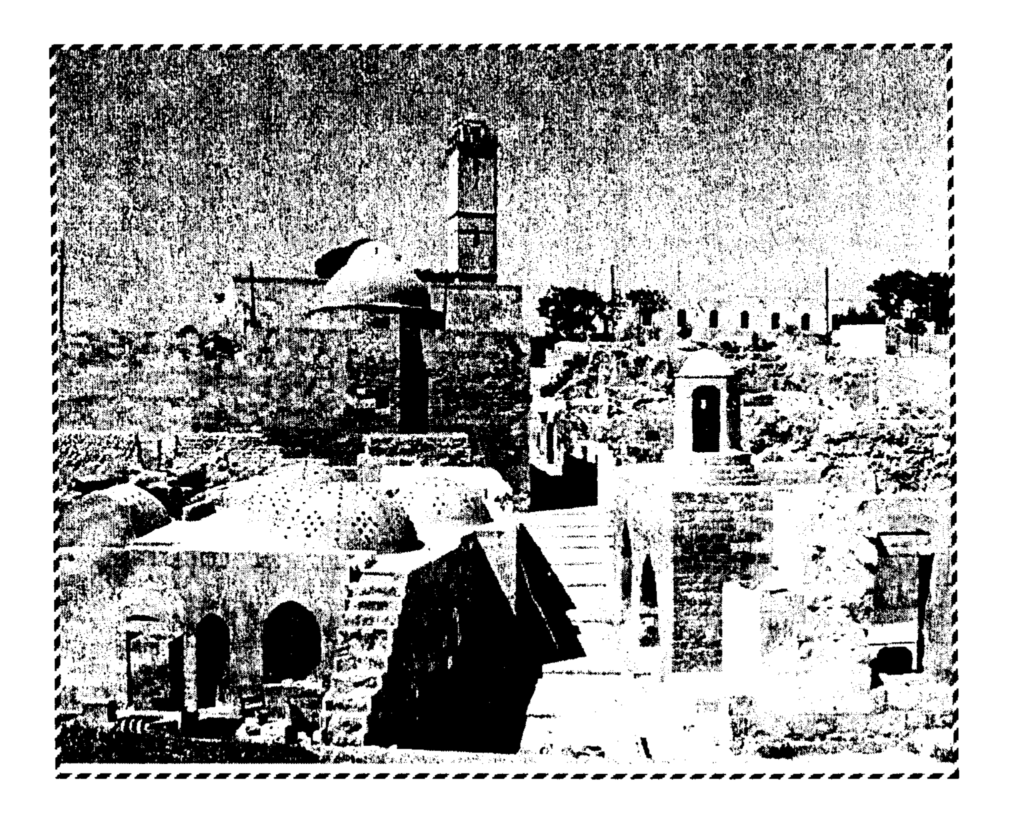
من أهم معالم الشام



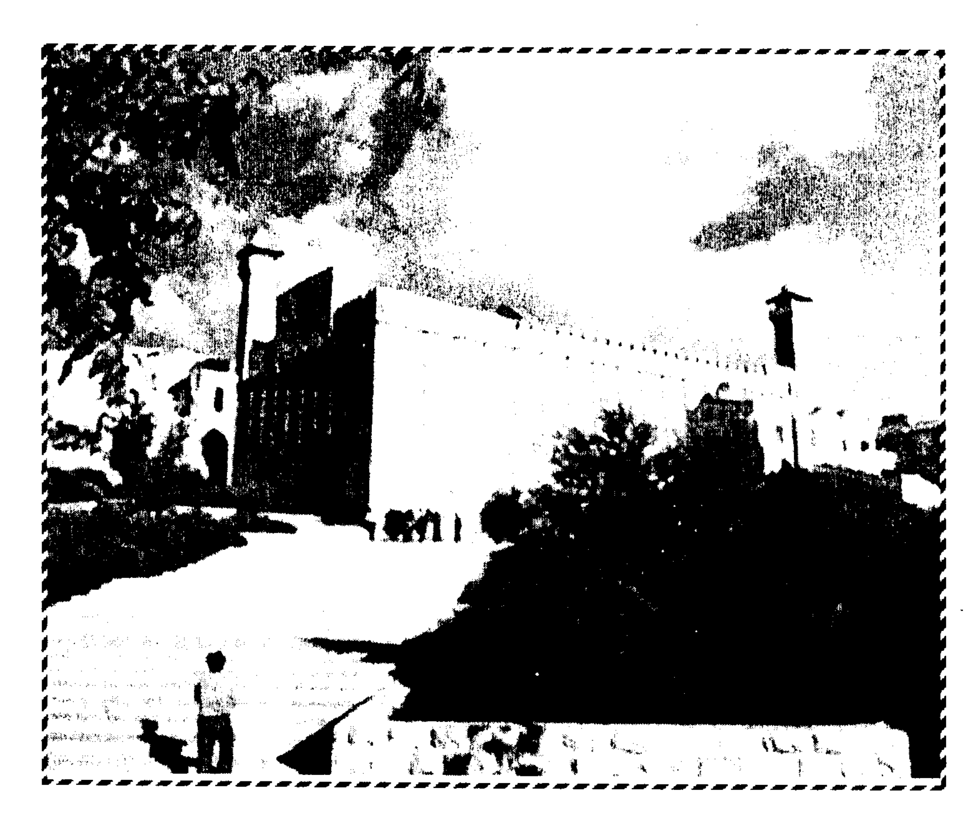
المسجد الأموى من الداخل



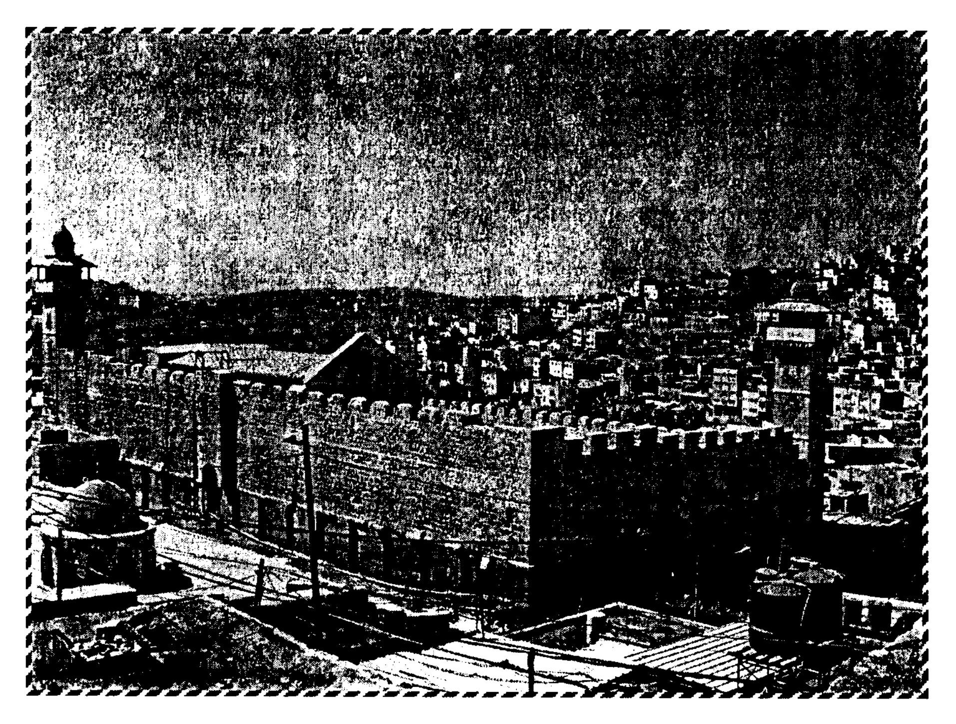
جبال لبنان



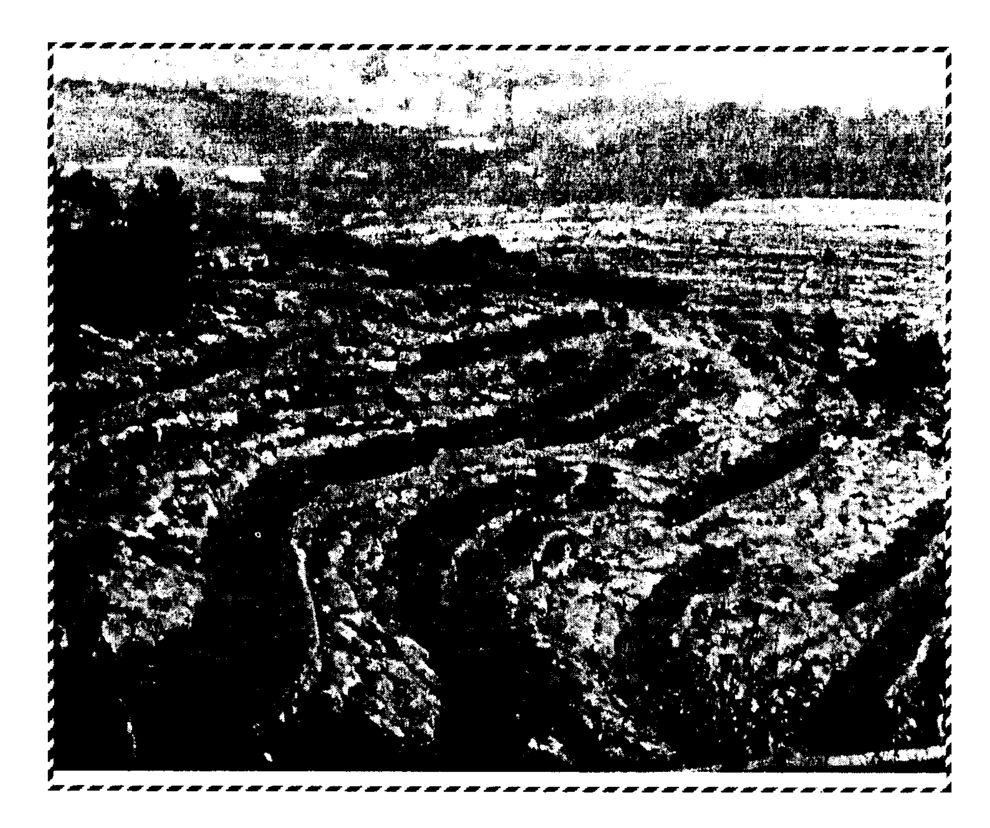
مدينة الخليل ومدن أخرى فلسطينية عربية



المشهد الخليلى بمدينة الخليل



الحرم الإبراهيمى بالخليل

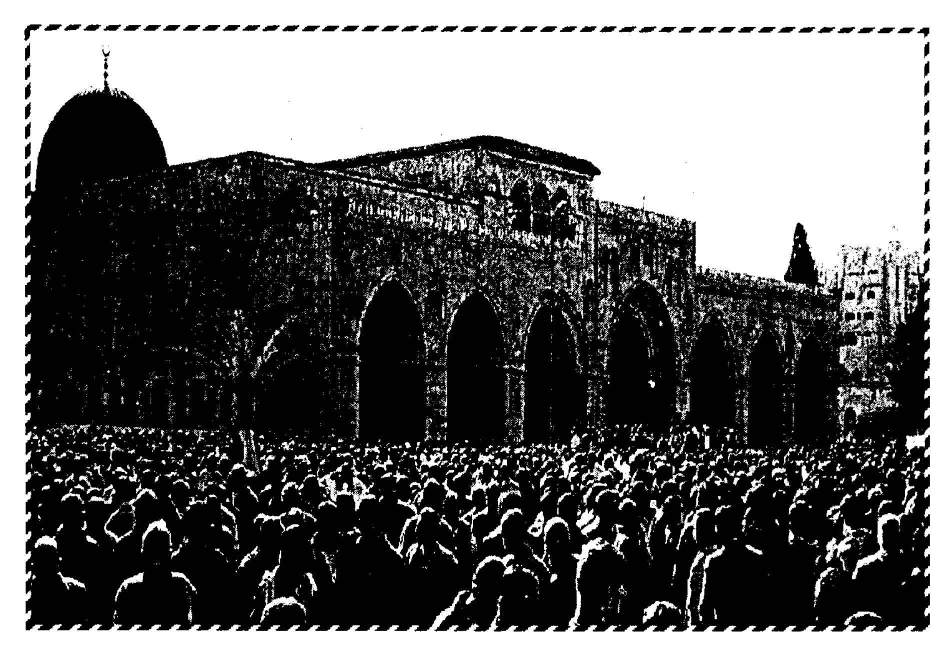


مدينة بيت لحم على بعد حوالى ١٠ كم جنوب القدس الشرقية، على ارتفاع حوالي ٧٦٥ م فوق مستوى سطح البحر أي أعلى من القدس بثلاثين متراً.. وتحوي منطقة بيت لحم بلدات بيت ساحور وأرطاس وبيت جالا، قرى التعامرة

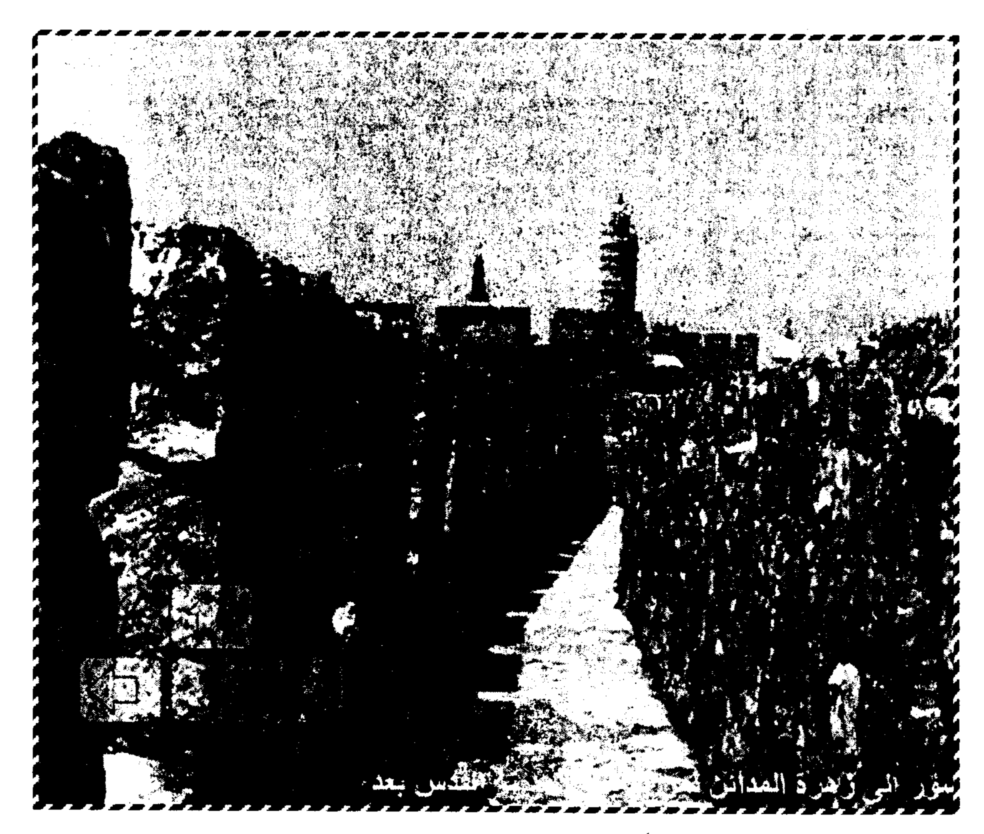


كنيسة المهد التي بناها الإمبراطور قسطنطين عام ٣٣٥

واكتمل بناؤها في العام ٣٣٩ م



مدينة القدس



الأسوار العتيقه

الشام فى القرآن الكريم والسنة النبوية

اختص الله عز وجل أماكن معينة دون غيرها وكذلك أياما دون أخرى، وأشهرا معينة دون أخرى قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨).

ومن هذا الاختيار الإلهى اختار الله بلادا بعينها فاختار مكة والمدينة وبلاد الشام والتى تشمل المسجد الأقصى ولأننا نتحدث عن الشام وبلاده فسوف نسلط الضوء على فضائل بلاد الشام فى كتاب الله القرآن الكريم والأحاديث النبوية:

قال الله تعالى ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:٧١)

نجاه من أذى قومه، ومن اضطهادهم حيث ألقوه فى النار فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، واختار له الأرض المباركة فاختار له فلسطين من بلاد الشام.

وأمر كليم الله موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قومه بدخول الأرض المقدسة من الشام، ليدخلوها فاتحين، ويقاتلوا الكفرة: العمالقة، ويطهروا الأرض المقدسة من رجسهم، لكنهم لم يطيعوا أوامره كما أمرهم.

قال الله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢١)، ولما لم يكتب لموسى ـ دخولها، بسبب نكول قومه عن الجهاد وتخاذلهم، شكا ضعفه إلى ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥).

ومع وجود القوم الجبارين، ومع خذلان اليهود ـ الذين ديدنهم نقض المواثيق والعقود ـ ودعا موسى ربه حينما حان أجله أن يدينه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر والقرب من الشىء يعطيه حكمه، ولذلك قال النبى ﷺ: «لو كنت عنده لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر».

وكان الإسراء بخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكان عروجه من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى، وقد ذكر ربنا ذلك فى كتابه، فقال: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ **(الإسراء: ١)**، فقوله تعالى يدل على أن المسجد الأقصى وما حوله مما يحيط به من بلاد كلها مباركة.

ويستفاد من هذه الآية وصوله ﷺ أرض الشام، وقد دخلها ثلاث مرات: مرة وهو صبى مع عمه فى التجارة. ومرة فى الإسراء والمعراج. ومرة وصل تخوم بلاد الشام مع جيش العسرة فى غزوة تبوك.

وبلاد الشام ميراث الصالحين، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** ﴾ **(الأعراف: ١٣٧)**.

والأرض: المقصود بها أرض الشام، قاله: الحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم، وسفيان.

وأجرى الله ـ عز وجل ـ الريح لسليمان ـ إلى الأرض المباركة، وكانت القدس موطن سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومكانه، ومقر مملكته، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ** ﴾ **(الأنبياء: ٨١)**.

قال الطبرى: «تجرى الريح بأمر سليمان إلى الأرض التى باركنا فيها» يعنى: أنها الشام، وذلك أنها كنت تجرى بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: إلى الأرض التى باركنا فيها».

وقال الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ** ﴾ **(سبأ: ١٨)** والقرى الواردة فى

الآية: قرى بلاد الشام المتاخمة لقرى اليمن.

قال الطبرى: «أى: جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها».(1)

وهذه البركة قد تقل بسبب المعاصى والذنوب فالمعاصى والذنوب سبب لهلاك الأمم والشعوب.

وقد أقسم بالله بالأرض المقدسة فى كتابه المبين، فقال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين: 1-3).

وذهب بعض المفسرون إلى أن:

«التين» هو: الجبل الذى عليه دمشق، وعلى ذلك قتادة، وعكرمة.

و«الزيتون»: الجبل الذى عليه بيت المقدس.

والمراد من الكلام على قول هؤلاء: القسم بمنابت التين والزيتون، أن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس بها منابت الزيتون.

قال ابن كثير: «قال بعض الأئمة هذه محالٌّ ثلاثة بعث الله فى كل واحد منها نبيّاً مرسلاً من أولى العزم، أصحاب الشرائع الكبار فالأول محلة التين والزيتون، وهى بيت المقدس التى بعث فيها عيسى ابن مريم، والثانى: طور سينين: وهو طور سيناء أو سيناء ـ فيها وجهان ـ الذى كلم الله عليه موسى ابن عمران ـ والثالث: مكة وهو البلد الأمين، الذى من دخله كان آمناً، وهى التى أرسل الله ـ عز وجل ـ فيها محمداً، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما».

كذلك ذكر الله ـ عز وجل ـ بلاد الشام والأرض المقدسة، ،جعلها مبوأ صدق، قال الله ـ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ «يونس:93» (2)

(1) تفسير الطبرى «جامع البيان».

(2) تفسير ابن كثير.

قال ابن كثير: «هو بلاد مصر والشام مما يلى بلاد المقدس ونواحيه».

وبلاد الشام هى المعنية بقوله ـ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠).

قال الضحاك وقتادة «إنها بيت المقدس» ورجحه الحافظ ابن كثير

وقال الأكثرون من المتقدمين: «إنها ربوة دمشق» فترجح أنها بالشام لا بمصر ولا بالكوفة، كما قال البعض.

وتاريخ بلاد الشام مرتبط بسيرة أولى العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وتسليمه، وكذلك دخلها النبى قبل البعثة، ولم يخرج من الحجاز إلا إليها، وبعد الهجرة توجه النبى ﷺ لمشارفها، فوصل تبوك، ولم يلق كيداً، ووجه إليها جيش أسامة، فبدأ بها قبل غيرها من الأمصار، وكذلك فعل الصديق ـ رضي الله عنه ـ حتى إنه قال «لأن أفتح كفرا من كفور بلاد الشام أحب إلى من أن أفتح مدينة من بلاد العراق»، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يدخل العراق وإنما دخل فلسطين، إنها بلاد البركة قديماً وحديثاً.

ومن الأحاديث النبوية فى فضل بلاد الشام وأهلها والمسجد الأقصى نذكر منها:

١ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى».(١)

٢ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم عرج بى إلى السماء».(٢)

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

٣ ـ عن جنادة بن أبى أمية الأزدى قال: «ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبى ﷺ فقلنا حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر فى الدجال، فذكر الحديث وفيه «علامته يمكث فى الأرض أربعين صباحاً، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتى أربعة مساجد: الكعبة ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى والطور».[1]

٤ ـ عن عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا: حكما يصادف حكمه، وملكا لا ينبغى لأحد من بعده، وألا يأتى هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فقال رسول الله ﷺ: «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطى الثالثة».[2]

٥ ـ عن ميمونة مولاة النبى ﷺ قالت: «قلت يا رسول الله: أفتنا فى بيت المقدس»، قال «أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره، قالت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: فتهدى له زيتا يسرج فيه، فمن فعل فهو كمن أتاه».[3]

٦ ـ عن ذى الأصابع رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: «إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: «عليك بيت المقدس، فلعله ينشأ لك ذرية يغذون إلى ذاك المسجد ويروحون».[4]

٧ ـ عن أبى ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا أبا ذر كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون من حمام مكة، قال: كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قال: قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة، قال: وكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى».[5]

(١) رواه أحمد في المسند.
(٢) رواه أحمد.
(٢) رواه أحمد وأبوداود.
(٤)، (٥) رواه أحمد والهيثمى.

٨ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق ـ إلى أن تقوم الساعة».(١)

٩ ـ عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتُمل من تحت رأسى، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصرى، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام».(٢)

١٠ ـ عن أبى حوالة الأزدى رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسى أو على هامتى ثم قال: «يا ابن حوالة: إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدى هذه من رأسك».(٣)

١١ ـ عن عوف بن مالك قال أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال: «أعدد ستاً بين يدى الساعة: موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.(٤)

١٢ ـ عى أبى ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ـ ونحن عند رسول الله ـ ﷺ ـ أيهما أفضل مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ أم بيت المقدس؟، فقال رسول الله ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً».. أو قال: «خير له من الدنيا وما فيها».(٥)

---

(١) رواه أبوعلى.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه أحمد وأبو داود الحاكم.
(٤) رواه البخارى.
(٥) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى وصححه الألبانى.

١٣ ـ قال ﷺ: «عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبلى فليحلق بيمنه، وليسق من غدره، فإن الله تكفل لى بالشام وأهله»[١] وليست من غدره أى ماء غديره.

١٤ ـ قال ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».[٢]

رواه الطيالس فى مسنده وإسناده صحيح وأحمد وابن ماجه والترمذى.

وقد دعا لأهل الشام رسولنا ﷺ فقال: اللهم بارك لنا فى شامنا، اللهم بارك لنا فى يمننا ـ اليمن.

وعن عبدالله بن حوالة الأزدى قال: قال رسول ﷺ «ستجندون أجناداً، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق وجنداً باليمن».

قال عبدالله: فقمت فقلت: خره لى ـ أى اختار لى ـ يا رسول الله.

فقال: عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره ـ ماء غديره ـ فإن الله عز وجل قد تكفل لى بالشام وأهله.[٣]

وكان رسول الله ﷺ يشير إلى أهل الشام باعتبارهم أهل الغرب فى زمانه وكانوا لم يدخلوا فى الإسلام حينها فقد قال عنهم فيما رواه مسلم وغيره عن سعد بن أبى وقاص مرفوعاً: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

وقد قال الإمام أحمد وأيده شيخ الإسلام ابن تيمية فى فضل الشام وأهله أنهم أهل الشام باعتبار أن الشام تقع غرب المدينة المنورة.

وحين سأله عبدالله بن حوالة أن يختار له بلداً بعده، فاختار له الشام

(١) صحيح الجامع الصغير. (٢) صحيح الألباني.

(٣) حديث صحيح وله أربعة طرق وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأخرجه أبوداود وأحمد وله شواهد من حديث أبي الدرواء وغيره.

ثلاثاً، فلما رأى ﷺ كراهيته للشام قال: تدرون ما يقول الله عز وجل؟ يقول: يا شام يا شام، يدى عليك يا شام، أنت صفوتى من بلادي أدخل فيك خيرنى من عبادى، أنت سيف نقمتى، وسوط عذابى، أنت الأندر، وإليك المحشر، ورأيت ليلة أسرى بى عموداً أبيض كأنه لؤلؤ تحمله الملائكة.

قلت: ما تحملون؟ قالوا: تحمل عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام.

وبيننا أنا نائم رأيت كتاباً اختلس من تحت وسادتى، فظننت أن الله تخلى من أهل الأرض، فأتبعت بصرى، فإذا هو نور ساطع بين يدى، حتى وضع بالشام، فمن أبى أن يلحق بالشام فليلحق بيمنه - أى اليمن - وليستق من غدره - يشرب من غدير ماء - فإن الله قد تكفل لى بالشام وأهله.(١)

وأمر ﷺ المسلمين فى آخر الزمان باللجوء إلى بلاد الشام إذا خرجت نار فى حضرموت فقال: ستخرج نار آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس.

قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول الله.

قال عليكم بالشام(٢)

وقال أيضاً حيث سأل من أصحابه أين يذهبون لو أدركوا أحداث آخر الزمان وعلامات الساعة الكبرى والصغرى الأخيرة فقال: «ها هنا»، وأومأ بيده نحو الشام وقال:

«إنكم محشورون رجالاً وركاباً ومجرون على وجوهكم» أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وابن عساكر والحاكم وقال وهو صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

---

(١) ذكره ابن عساكر فى تاريخه وفى إسناده صالح بن الشيخ أبو عبدالسلام، وهو صحيح دون قوله: يا شام بدى عليك يا شام وقوله أنت سيف وسوط عذابى أنت الأندر وفى إسناده أبو على خفيف بن عبدالله الغازى، وأورده الهيثمى مفرقاً فى موضعين وقال رواه الطبرانى.

(٢) رواه أحمد وهو صحيح.

2

البداية حصار والنهاية ملاحم وفتن

- معنى الـــحصار فى اللغة والقرآن وعند الناس وأول حصار تعرض له المسلمون
- حصار الشام آخر الزمان هو حصار غزة الآن
- وقوع الفتن والملاحم فى بلاد الشام آخر الزمان

معنى الحصار فى اللغة والقرآن وعند الناس

الحصار من المحاصرة والمقاطعة للضغط على الخصم حتى يستسلم ويسلم بما يريد الطرف الأقوى وهو أسلوب قديم عرفته البشرية، وأشهر أنواع الحصار هو الحصار العسكرى الذى تقوم به الجيوش حين يتحصن الطرف الأضعف وراء جدر وحصون تبنى لهذا الغرض حيث تكون هذه الحصون هى الخط الدفاعى الأخير، فيأتى الحصار العسكرى للضغط على المدن المحصنة حتى تستسلم ولا يأتى هذا الحصار نتائجه إلا إذا تم قطع أسباب الاتصال الاقتصادى على تلك المدن.

وتذكر المعاجم اللغوية معنى الحصار وتعريفه فتقول إن الحصار هو المنع والتضييق والحبس، يقال: حصره يحصره حصراً فهو محصور ضيق عليه وأحصره إذا ضيق عليه فحصر.

وأما عن ذكر كلمة «حصر» فى القرآن الكريم فقد جاءت فى نحو ستة مواضع هى:

- قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (التوبة: ٥)

وقال أيضاً: ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا**

اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦)

وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣)

وقوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩).

وقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٩٠)

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨)

وخطورة الحصار بكافة أقسامه وأنواعه تكمن في ضعف عزيمة المحاصرين جراء النقص الشديد في الحاجات الأساسية لمتطلبات الحياة اليومية من المطعم والمشرب والأدوية وغير ذلك.

وهناك آثار إيجابية للحصار أهمها تقوية عزيمة المجاهدين المحاصرين، وتوكلهم على ربهم ولجوئهم إليه بالصبر والدعاء، والمجاهدة، وبيان طائفة المنافقين في المجتمع.

وقد قامت قريش بمحاصرة النبي ﷺ وأتباعه من بني هاشم وبني المطلب وقاطعتهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية حتي ألجأتهم إلى شعب أبي

طالب واستمر ذلك الحصار نحو ثلاث سنوات، وقد أمر النبي ﷺ المسلمين وقتها بالهجرة إلى أرض الحبشة؛ وقيل إن ذلك كان قبل الحصار ولما لم تفلح قريش في استرجاعهم قامت بحصار النبي ﷺ ومن معه.

وعند استعراض روايات تحرك المسلمين مع بني هاشم وبني المطلب إلى أحد شعاب مكة نجد أنه توجد روايتان:

إحداهما تشير إلى إخراج قريش لهم من بيوتهم، مثل قول ابن إسحاق في سيرته: (وحصروهم في شعبهم، وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم)، وقول الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح يشرح رواية البخاري: قوله: (حيث تقاسموا، يعني قريشا على الكفر، أي: لما تحالف قريش أن لا يبايعوا بني هاشم، ولا ينكاحوهم، ولا يؤووهم، وحصروهم في الشعب).

والرواية الثانية تشير إلى أن دخول المسلمين ومن معهم من بني هاشم وبني عبدالمطلب الشّعب كان بأمر من أبي طالب حيث يروي الإمام البيهقي في سننه من حديث زيد بن على قال: قال ﷺ (.. وعمد أبوطالب فأدخلهم الشعب شعب أبي طالب في ناحية من مكة).

ويمكن الجمع بينهما بأن قريش أرادت إخراجهم خارج مكة مبالغة في مقاطعتهم، وأن أبا طالب رأي في هذا الأمر إمكانية الحماية للنبي ﷺ أكثر وهم في الشّعب خارج بيوت مكة المكرمة منه في داخلها، بل وهم في الشّعب كان يحرص على تغيير مكان نومه خوفاً من غدر قريش، وهذه رواية ابن الأثير تشير إلى هذا المعنى: (.. فكان أبوطالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه).

لم يقتصر على الجانب الاقتصادي وإن كان في مقدمتها لأنه يعتبر من أهم أشكال الحصار لما له من تأثير بالغ الخطورة على الحياة بجميع مناحيها المختلفة، بل تعداها إلى أشكال أخرى كالحصار الاجتماعي حيث نلمس ذلك من رواية الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر، وهو بمنى: (نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر، .. وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبدالمطلب، ألا يزوجوا امرأة منهم إياهم، وكذلك المعنى في قوله: «ولا يبايعوهم» بأن لا يبيعوا لهم ولا يشتروا منهم. وفي روايات أخرى: «.. ولا يكلموهم ولا يجلسوا إليهم».. «ولا يؤوهم..»، «.. ولا يخالطوهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة..»، «.. أى لا يعاملوهم..».

أنهم اتفقوا وتعاهدوا على مقاطعتهم مقاطعة تامة انتقاما منهم لإسلامهم ودفاعهم عن رسول الله ﷺ.

استمر حصار المسلمين في الشِّعب من محرم سنة سبع من البعثة النبوية الشريفة وحتى محرم سنة عشر، وكان للحصار آثار سلبية كبيرة حتي بلغ بهم الجوع مبلغه فأكلوا أوراق الشجر والجلود بعد نقعها في الماء، وكان يسمع صراخ أطفالهم من خلف الوادي إلى بيوت مكة، وفي ذلك يقول ابن الأثير: (.. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عن الأسواق، فلا يتركون لهم طعاما يقدم مكة، ولا بيعاً إلا بادروهم إليه»، وذلك في حق من جاء من خارج مكة من القبائل العربية ولم يدخل في مقاطعة قريش كما فعلت قبيلة كنانة.

وكان لا يصل إلى المحاصرين في الشِّعب شيء إلا سرّاً ممن أراد صلتهم من قريش، وتذكر كتب السيرة قصة حكيم بن حزام ومعه طعام لعمته خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ واعتراض أبى جهل له ومناصرة أبيالبختري وتعاركه مع أبي جهل من أجل أن يترك حكيماً ليدخل الطعام إلى عمته، وهذا من

المواقف التي جعلت قريشاً تنقسم فيما بينها وتتراجع عن حصارها فيما بعد.

ومن خلال قراءتنا للسيرة النبوية وفعل النبي ﷺ لمواجهة الحصار يمكن لنا الاستفادة من فعله لمواجهة أى حصار يمكن أن يواجهنا كما فعل صلوات ربي وسلامه عليه، ونلخص ذلك في نقاط بسيطة هي:

الثبات على الحق، والاتحاد في مواجهة قريش، واستثمار قوانين الكفر دون التنازل عن العقيدة، والاعتماد على المال الذاتي للمسلمين، والإعلان عن الظلم في حصارهم، والسعي في تأمين الحد الأدنى من الطعام، وإبقاء جزء من المسلمين خارج الحصار واللجوء إلى الله عز وجل كي يفك الحصار ويثبتهم على الحق.

وبعد هجرة النبي ﷺ للمدينة وتأسيس أول دولة إسلامية هناك استمر تضييق الكفار على المسلمين، ولهذا وضع الرسول ﷺ الأسس والحلول لعدم فاعلية أي حصار يأتي من جهة المشركين حيث كان يهود المدينة يسيطرون على التجارة والأسواق في المدينة.

فقد أدرك الرسول من اللحظة الأولي التي بدأ يخطط فيها لبناء الدولة أنه لا يمكن أن تُبنى إلا على أكتاف أبنائها، فالاقتصاد إذا كان معتمداً على الآخرين فسيصبح اقتصاداً هشّاً ضعيفاً لا قيمة له، والمدينة المنورة حين هاجر المسلمون إليها لم تكن فقيرة فحسب، بل كان اقتصادها إلى درجة كبيرة جدّاً في يد اليهود، وكان سوق المدينة الرئيسي هو سوق بني قينقاع، ولعله السوق الوحيد في المدينة، وكانت التجارة في معظمها تتم في داخل هذا السوق، وحتي كبار التجار من الأنصار كانوا لا يتعاملون إلا في داخل هذا السوق.

وكان من الذكاء النبوي القضاء على سيطرة اليهود على الماء الذي هو مصدر الحياة حيث كان المسلمون يشترون الماء من الآبار التي يمتلكها اليهود،

وأشهر الآبار بئر رُومة وهى معروفة ومشهورة، ولهذا رأى النبي ﷺ على امتلاك المسلمين لهذه البئر حيث لا يصلح أن تقوم دولة لا تمتلك الماء.

عن الأحنف بن قيس أن رسول الله قال: (من يبتاع بئر رُومة، غفر الله له).

وهذه البئر كانت مملوكة ليهودي كما قلنا، فابتاعها عثمان بن عفان، ثم ذهب إلى رسول الله وقال له: ابتعتها بكذا وكذا، فقال: (اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك)، فقال: اللهم نعم(١).

ومما فعله رسولنا ﷺ حين أسس دولة الإسلام في المدينة المنورة لكسر احتكار اليهود للتجارة والأسواق هو إنشاء السوق الإسلامي فقد علم أن الدولة الإسلامية لا يمكن لها أن تقوم في المدينة، وهي تعتمد على سوق بني قينقاع اليهودي؛ لذلك أمر الصحابة بأن يبحثوا عن مكان مناسب في المدينة المنورة ليصبح سوقاً للمسلمين، ويتحكم في تجارته المسلمون، ويُدار بواسطة المسلمين وحسب شريعتهم، وقد اجتهد الصحابة في البحث عن مكان مناسب للسوق، وذهبوا هنا وهناك وذهب الرسول بنفسه إلى أكثر من موضع، ولم يعجبه في البداية المواضع المختارة إلى أن رأى موضعاً يصلح من حيث المساحة والموقع، فقال: (هذا سوقكم).

عن أبي أسيد قال: جاء رجل إلى النبي فقال له: بأبي أنت وأمي، إني قد رأيت موضعاً للسوق، أفلا تنظر إليه؟ قال: «بلي».

فقام معه حتي جاء موقع السوق، فلما رآه أعجبه، ورقده برجله- أي ضرب موضع السوق برجله- فقال: «هذا سوقكم، فلا ينتقصن (أيا لا ينتقصن من قيمة هذا السوق، ولا من أرض هذا السوق)، (ولا يضربن عليه

---

(١) رواه أحمد والنسائي.

خراج)[1] أيا لا يفرض عليه ضرائب.

هكذا أسس الرسول الكريم ﷺ دولته محصنة ضد أي حصار أو مقاطعة لديها اكتفاء ذاتي لا تعتمد على اقتصاديات الكفار أو غير الكفار.

وبدأ المسلمون يهجرون سوق اليهود (بني قينقاع) ويتعاملون مع السوق الإسلامي، فكانت مقاطعة محمودة، وهذه المقاطعة لم تكن سلبية، بل كانت إيجابية بإنشاء السوق البديل، وإيجابية لإيجاد البضائع الموازية لبضائع اليهود وغيرهم وبذلك قويت شوكة المسلمين.

وكذلك وضع الرسول ﷺ الأسس الإسلامية في المعاملات وحفز على التجارة وعلى الزراعة وعلى الصناعة، وعلى أي عمل مهما كان بسيطا، بعزة المسلم والأمة في الدنيا، والثواب في الآخرة.

وعلم الشعب أن الفساد بكل صوره حرام، وحرَّم الرَّشوة والسَّرقة والاختلاس والإسراف والتهرب من الزكاة، وبهذا حفظ للدولة مالها وحقوقها وللشعب ماله وحقه، وظهرت البركة في المال القليل، قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦)**.

ما أشبه الليلة بالبارحة، فأعداء الله في كل زمان ومكان يحاربون الإسلام وأهله، كما قال الله تعالى: **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)**، وهم يستخدمون في ذلك من الأساليب ما يتشابهون فيه قديماً وحديثاً، ومن ذلك أسلوب الحصار والمقاطعة.

وقد تعرض رسول الله ﷺ لمحن كثيرة، وحورب بأساليب شتى، فقريش أغلقت الطريق في وجه الدعوة في مكة، وتعرضت بالإيذاء والتعذيب، والسخرية والاستهزاء للنبي ﷺ وأصحابه، ثم حوصر بعد ذلك ﷺ وصحابته ثلاث سنوات في شِعب أبي طالب، وقد صاحب ذلك الحصار الاقتصادي

(١) انظر تاريخ الطبري وسنن ابن ماجه.

والاجتماعي جوع وحرمان، ونصب وتعب شديد، ومع ذلك كله فرسول الله ﷺ ماض في طريق دينه ودعوته، صابر لأمر ربه، ومعه أصحابه- رضوان الله عليهم.

قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد: (لما رأت قريش أمر رسول الله ﷺ يعلو والأمور تتزايد، أجمعوا أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب وبني عبدمناف ألا يبايعوهم ولا ينكاحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة.. فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم، إلا أبا لهب فإنه ظاهر قريشاً على رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني المطلب، وحبس رسول الله ﷺ ومن معه في شِعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم الميرة والمادة نحو ثلاث سنين حتي بلغ بهم الجَهْد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب).

ويذكر أهل السير أن الحمية والرأفة أخذت نفرا من رجال قريش فتعاهدوا على نقض هذه الصحيفة الظالمة، وسعوا في ذلك حتي نقضت، وهؤلاء النفر هم: هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي، وزهير بن أبي أمية المخزومي، وأبوالبختري بن هشام، وزَمعة بن الأسود، والمطعم بن عدي..

لقد صورت هذه المقاطعة قمة الأذى والظلم الذي لقيه النبي ﷺ وأصحابه طوال سنوات ثلاث، ومع ذلك كان فيها من الخير والدروس الكثير.

قال الله تعالى: ﴿**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة: ٢١٦)، فقد كانت هذه المقاطعة سبباً في خدمة الإسلام ودعوته، فد انتشر الخبر بين قبائل العرب من خلال موسم الحج- الذي كان إعلاما- بما تفعله قريش من الأذى، وتحمل النبي- ﷺ- وأصحابه ذلك، وثباتهم على مبادئهم، مما أثار سخط العرب

على كفار مكة وتعاطفهم مع النبي- ﷺ- وأصحابه، فما أن انتهى الحصار حتى أقبل الناس على الإسلام، وذاع أمره، وهكذا ارتد سلاح الحصار الظالم على أصحابه، وكان عاملا قويا من عوامل انتشار الإسلام ودعوته، عكس ما كان يريد ويأمل زعماء الكفر، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

وكما ذكرنا فإن الصبر والثبات درس هام من دروس هذا الحصار وهذه المقاطعة، فقد تجرع الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- مرارة هذا الحصار الشديد، فكانوا يأكلون ورق الشجر وما يجدونه، حتى قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول، فإذا قطعة من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رضضتها، وسففتها بالماء فقويت بها ثلاثا).. ومع ذلك صبروا وثبتوا، فكانت تربية النبي ﷺ لهم على الصبر عاملاً مهمّاً من عوامل الصمود والتحدي أمام الباطل وأهله، فالنصر مع الصبر، والبلاء سُنَّة ماضية، وأهل الإيمان لابد من أن يتعرضوا للفتن تمحيصاً وإعداداً، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢)، ومن ثم تجلت التضحيات والمواقف في الثبات- على الدين والدعوة والقيم- عند الصحابة الكرام طوال حياتهم.

ومن دروس هذه المقاطعة رد الجميل لأصحابه، ومكافأة المحسنين على إحسانهم، وهذا خُلق حث عليه الرسول ﷺ فقال: (من أتى إليكم معروفاً فكافئوه) (الطبراني)، فبعد انتهاء هذه المقاطعة، كان النبي ﷺ مقدراً لأصحاب المواقف الإيجابية مع المسلمين، وكافأهم عليها.

فأما عمه أبوطالب فقد قال العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه للنبي ﷺ: ما أغنيتَ عن عمك، فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال ﷺ: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) (البخاري).

وذكر ابن هشام في سيرته: أن هشام بن عمرو أسلم فأعطاه النبي ﷺ من غنائم معركة حنين دون المائة من الإبل.

وأما أبوالبختري فقد كان في صف المشركين يوم بدر فنهى النبي ﷺ عن قتله. وأما المطعم بن عدي فقال: قال النبي ﷺ في أسارى بدر من المشركين: (لو كان المُطعم بن عدي حيّاً، ثم كلمني في هؤلاء النتن لتركتهم له) (البخاري)، ولفظ أبوداود (لأطلقتهم له).

ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح: (بأنَّ ذلك مكافأة له ليدٍ كانت له عند النبي- ﷺ، وهي ما وقع من المطعم حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المُطْعِم بن عدي، أو كونه من أشدهَ من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب).

وعلى الرغم من هذه المقاطعة الظالمة والمؤلمة، وما أصاب المسلمين من أثرها من معاناة وآلام، فإن الرسول- ﷺ- لم يتوقف عن دعوته، فقد كان يخرج يتلقى من يقدم إلى مكة للحج، ويعرض عليهم الإسلام، كما كان يعرض ذلك على من يتصل به من قريش.

ولما أذن الله بنصر دينه، وإعزاز رسوله، وفتح مكة، ثم حجة الوداع، كان النبي- ﷺ- يؤثر أن ينزل في خيف بني كنانة ليتذكر ما كانوا فيه من الضيق والاضطهاد، وليؤكد قضية انتصار الحق واستعلائه، وتمكين الله لأهله الصابرين، فحينما سئل- ﷺ- في حجته أين تنزل غداً؟، قال- ﷺ: (.. نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة، المحصب، حيث تقاسمت قريش على الكفر، وذلك أن بني كنانة حالفت قريشا على بني هاشم ألا لا يبايعوهم ولا يؤووهم..) (البخاري). والخيف: هو المكان الذي اجتمعت فيه قريش لعقد مقاطتهم الظالمة..

قال ابن حجر: (.. قيل إنما اختار النبي- ﷺ- النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه، فيشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم، وتمكنهم من دخول مكة ظاهرا، على رغم أنف من سعى في إخراجه منها، ومبالغة في الصفح عن الذين أساءوا، ومقابلتهم بالمن والإحسان، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..).

إن هذا الحصار الظالم الذي فرضه العدو على المسلمين، كان من التحديات التي واجهت المسلمين قديماً وحديثاً، وهو أسلوب يلجأ إليه العدو عندما لا يتمكن من مقابلة الحجة بالحجة، أو المواجهة، وهدفه من ذلك القضاء على المسلمين، أو إنزالهم عند شروطه الظالمة، ولكن هيهات أن يتحقق له ذلك، لأن المسلمين يستمدون قوتهم من الله تعالى، وهم يتمسكون دائماً بالصبر والثبات على الحق، كما ثبت النبي- ﷺ- وأصحابه أمام المقاطعة وغيرها.

إن هذا الحصار الذي تعرض له المسلمون الأوائل في العصر النبوي المكي يذكرنا بالحصار الذي يفرضه اليهود الصهاينة على أهلنا في غزة منذ سنوات ومازال مستمرّاً وهو من علامات الساعة الصغرى الذي أخبرنا بها النبي ﷺ حيث يأتي بعد حصار العراق الذي تم من سنوات وانتهى بالاحتلال الأمريكي لها.

حصار الشام آخر الزمان هو حصار غزة الآن:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ **(البقرة: ٢١٧)**.

تعرض رسول الله ﷺ لمحن كثيرة، وحورب بأساليب شتى، فقريش أغلقت الطريق في وجه الدعوة في مكة، وتعرضت بالإيذاء والتعذيب، والسخرية والاستهزاء للنبي- ﷺ- وأصحابه، ثم حوصر بعد ذلك- ﷺ- وصحابته ثلاث

سنوات في شِعب أبي طالب، وقد صاحب ذلك الحصار- الاقتصادي والاجتماعي- جوع وحرمان، ونصب وتعب شديد، ومع ذلك كله فرسول الله- ﷺ- ماض في طريق دينه ودعوته، صابر لأمر ربه، ومعه أصحابه- رضوان الله عليهم- والصبر والثبات درس هام من دروس هذا الحصار وهذه المقاطعة.

وأما في عصرنا الحالي فقد جاء الحصار لكل دولة تخالف تعاليم وسياسة اليهود أو الدولة اليهودية كما جاءت بذلك النبوءات النبوية.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (منعت العراق درهمها وقفيزها. ومنعت الشام مديها ودينارها. ومنعت مصر إردبها ودينارها. وعدتم من حيث بدأتم. وعدتم من حيث بدأتم. وعدتم من حيث بدأتم) (شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه) (رواه مسلم في صحيحه).

(وقفيزها) القفيز مكيال معروف لأهل العراق (مديها) مكيال معروف لأهل الشام. (إردبها) مكيال معروف لأهل مصر.

وصدق رسول الله ﷺ فحصار العراق قد حدث واستمر لأكثر من عشر سنوات، وكان شعارها النفط مقابل الغذاء وقد تبعه مباشرة حصار الشام، وهو حصار غزة، وغزة هي بوابة الشام من جهة مصر وقد منعت إردبها ودينارها والأموال ممنوعة دخول قطاع غزة.. وما يدخلها لا يتم إلا عن طريق التهريب بواسطة الأنفاق التي حفرت على الحدود مع مصر.

فحصار غزة هو حصار الشام الذي تنبأ به الرسول ﷺ بأنه واقع آخر الزمان وهو من العلامات الصغرى ويسبق خروج المهدي المنتظر.

وحصار العراق والشام من علامات الساعة الصغري حيث أشار بذلك الحديث النبوي، عن أبي نضرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (كنا عند جابر بن عبدالله رضى الله عنهما فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: العجم يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا

يجبى إليهم دينار ولا مُدى، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم.

ثم سكت هنيهة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر آمتي يحثى المال حثيّاً لا يعده عداً قلت لأبي نضرة: أترى أنه عمر بن عبدالعزيز؟ قال: «لا»(١).

ومن هذا الحديث الصحيح نستنتج أمورا كثيرة أهمها أن الحصار يسبق ظهور الخليفة الكريم وتأسيسه للخلافة الإسلامية الأخيرة (في آخر الزمان) أي أنه بعد حصار العراق ثم الشام يكون المهدي على وشك الظهور.

سكوت جابر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (بعد ذكر حصار الشام وقبل ذكر خبر الخليفة) هنيهة يوحي بأن الأخير يحدث بعد الأول مباشرة، كما يدل أن ما سمعه من رسول الله ﷺ عن الأخبار الثلاثة قد فهم منها أنها متتالية الحدوث.

يؤكد هذا فهم التابعي أبونضرة الذي نفي أن يكون هذا الخليفة عمر ابن عبدالعزيز (أحد الخلفاء الراشدين) بالرغم ما عرف في عهده من كثرة المال، ولكن عهد عمر بن عبدالعزيز لم يسبقه حصار الشام ولا العراق، فهو أحد الخلفاء الراشدين المهديين.

وقد كنّى عن الطعام بالقفيز الذي هو مكيال أهل العراق للحبوب، كذلك ذكر منع جباية المال إلى العراق مع الطعام. والحديث دل على منع المال عن أهل العراق مع منع الطعام عنهم في نفس الوقت حيث مصدر الأموال عندهم من التصدير وأن الحصار يمنع عنهم الاستيراد كما يمنع عنهم التصدير.

وقد عبر جابر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن الحصار بلفظ آخر وهو قوله: (يوشك أهل العراق ألا يجبى لهم) وهو تعبير دقيق ينطبق على ما يسمى بالحصار العالمي للعراق الذي عاشه أهل العراق منذ دخول جيشهم للكويت وهو أدق وأصوب

(١) رواه مسلم في صحيحه.

لغة من تعبير الحصار.

فالحصار يقتضي حصر البلد المحاصَر داخل حدود لا يستطيعون الخروج منها كما يمنع غيرهم من الدخول إليهم.

وجاء الحصار بقرار من مجلس الأمن بالمقاطعة الاقتصادية والتجارية والعسكرية، وامتثلت الدول الخاضعة للمجلس لهذه القرارات.

ونظراً لأن المنع بقرار وامتناع أكثر الدول والشركات العالمية من البيع والشراء مع العراق جاء التعبير بقوله (ألا يجبي إليهم).

وقال جابر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العجم يمنعون ذلك؟ وعلى هذا يمكن القول بأن المنع الحادث عن العراق أعجمي، لأن كل شعوب الأرض عدا العرب هم مصدر الحصار أو المنع.

ومصدر المنع والحصار يأتي من الروم الذين يعرفون الآن بالغرب المسيحي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وتكون نهاية التحالف الأوروبي الأمريكي على أرض الشام. والله أعلم.

■ ■ ■

النهاية - في حصار الشام - ملاحم

وإذا كانت البداية في أحداث الشام حصار قد وقع ومازال مستمرّاً فالنهاية هي الملاحم وكثرة القتل وهو ما أخبر به ﷺ الذي قال: (لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج) قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: (القتلُ، القتلُ)(١).

وقال أيضاً: (إن بين يدي الساعة الهرج). قالوا: وما الهرج؟ قال: (القتل) قالوا: أكثر مما نقتل، إنا نقتل في العام أكثر من سبعين ألفاً. قال: (إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضهم بعضاً). قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ. قال: (إنه ليُنزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء)(٢).

وقال: (والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يومٌ لا يدري القاتل فيمَ قتل، ولا المقتول فيم قُتل؟) فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: (الهرج القاتل والمقتول في النار)(٣).

وما أخبر به قد وقع بعض منه، فحدث القتال بين المسلمين في عهد الصحابة - رضي الله عنهم- ثم صارت الحروب تكثر في بعض الأماكن دون بعض، وفي بعض الأزمان دون بعض، ودون أن تعرف أسباب تلك الحروب.

والأسلحة المدمرة التي تدمر الشعوب هي سبب في كثرة القتل، حتى صار الإنسان لا قيمة له، يُذبح كما تذبح الشاة، وذلك بسبب الانحلال واختفاء القيم التي دعا إليها الإسلام.

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه أحمد في المسند.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

وقد جاء أن هذه الأمة أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، وأن الله تعالى جعل عذابها في الدنيا والفتن والزلازل والقتل، وقد قال ﷺ: (إن أمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب، إنما عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن)[1].

ولننظر من الدول التي تصنع الأسلحة المدمرة الفتاكة للبشرية والحياة على الأرض كي تعلم من هم أعوان الشيطان وأتباعه، فالشيطان إبليس هو العدو الأول للإنسان منذ خلق آدم عليه السلام وقد انضم إليه قابيل بن آدم وذريته من بعده (ذرية قابيل) فكل من دعا إلى الحرب وقتل البشر ومن غير وجه حق فهو من أتباع إبليس عليه لعائن الله وأعوانه من شياطين الجن والإنس أتباع الدجال طاغوت الإنسان الأكبر.

ومن هؤلاء الصهاينة وأعوانهم الذين احتلوا أرض فلسطين وأقاموا دولة وأرادوا تنصيب المسيح الدجال وإقامة حكومة عالمية تحكم العالم تحت رئاسته أي إقامة نظام عالمي جديد وهم الآن ينطلقون من أرض الإسلام في فلسطين ويحاصرون غزة.

ولم يقتصر حصار غزة على التجويع بل شمل كافة سبل المعيشة وأسباب الحياة، وبات الجميع يتحدث عن حلول كارثة إنسانية مرعبة كما تؤكده التقارير، تطحن سكان غزة المليون ونصف المليون، وتدمر حياتهم، تحت سمع وبصر المجتمع الدولي وأوروبا والدول المتقدمة التي ترفع شعار حماية حقوق الإنسان والديمقراطية فأوروبا وأمريكا صاروا أتباع الشيطان اليهودي الممهد لحكم الدجال وهم لا يعلمون.

والسبب المعلن لحصار الصهاينة اليهود لأهل غزة هو إطلاق المجاهدين من أهلها الصواريخ على المدن اليهودية، وهي حجة واهية لأن تلك الصواريخ ليست ذات فاعلية قتالية كالتي تطلقها طائرات العدو اليهودي.

---

(١) رواه أحمد في المسند.

وإنما الحصار اليهودي هدفه الأسمي القضاء على روح المقاومة لدى الشعب الفلسطيني.

ويأتي الصمت العربي والإسلامي على ما يحدث في حصار غزة ليذكرنا ما حدث في الأندلس قديماً ويؤكد أن المحنة التي تعيشها غزة اليوم لن تنحصر داخل حدودها، وإنما ستكتوي المنطقة كلها بنارها، وستتعرض لقلاقل واضطرابات حادة، وتولد ما يسمى بالإرهاب والتطرف، وإن الموقف السلبي من الدول العربية وجامعتها والعالم الإسلامي على تلك الجريمة التي تدور وقائعها على أرض النبوات، دون أخذ العبرة ودون المبادرة إلى فك الحصار ونصرة الإخوة في الدين هو لون من ألوان العجز السياسي والخنوع للغرب، فهل ستظل المنطقة صامتة عاجزة مخدَّرة حتى تمتد نار ما يجري في غزة إلى باقى الدول، وتحاصرنا في بيوتنا وأهلينا، ونجوع جوعهم وأشد، ونخاف خوفهم، ويومها يقال: أُكلت يوم أكل الثور الأبيض أو حصرت يوم حصرت غزة!!

إن مساندة الشعب الفلسطيني فرض عين على كل مسلم ومسلمة في كل بقاع الأرض إن مقتضيات الإخوة ولوازم الولاء بين المسلمين توجب أن يساندهم ولا عذر أمام الله لمن يدعي غير ذلك، وهو واجب الفلسطينيين أولاً أن يساعد بعضهم بعضاً وأن تلتحم قوتهم، وتجتمع كلمتهم وأن يصلحوا ذات بينهم. ثم تقع الأولوية مباشرة على الشعوب المتاخمة للفلسطينيين، ثم بقية الشعوب الإسلامية الأقرب فالأقرب. كلٌّ حسب طاقته واستطاعته، ويجب القيام بهذا الأمر، وعدم إغاثة المسلمين أكبر معصية لله ولرسوله، ويوشك أن تنتفي حقيقة الإيمان عمن يرون إخوتهم يتضورون بل يُقتلون جوعا وبرداً وظلاماً ومرضاً ولا يغيثونهم، فإنه: «ليس المؤمن الذي يشبع جاره وجائع إلى جنبه».

فلا حجة لنا أمام الله عز وجل، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

(الحجرات: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢). وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) متفق عليه. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». صحيح مسلم. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (رواه البخاري ومسلم).

فنصرتهم نصرة للمسجد الأقصى الأسير وخطوة في سبيل تحريره.

ولا يجوز الصمت ألبتة، وقد قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالما أو مظلوماً)، وقال ﷺ: (من أذلَّ عنده مؤمن فلم ينصره- وهو قادر على أن ينصره- أذله الله عزّ وجلّ على رءوس الخلائق يوم القيامة) رواه أحمد في مسنده. فمن لم يجد المال فليعن بالكلمة وبالكتابة وبالتحريض على المساعدة والنصرة، فهذا ليس إرهاباً ولا تطرفاً بل هذا جهادٌ من أعظم الجهاد. وعندما ننصرهم إنما ننصر أنفسنا، وندفع عن أنفسنا لأن غزة وفلسطين هي الخندق الأول الذي يدافع عن الأمة بأسرها حتى جاكرتا، وإلا فلننتظر أن يصيبنا ما أصابهم.

■ ■ ■

وقوع الفتن والملاحم في بلاد الشام آخر الزمان

الفتن هي الابتلاء والاختبار في لغة العرب واصلها كما يقول اللغوي الأزهري أن الكلمة مأخوذة من قولك: فتنت الفضة والذهب أي أذبتهما بالنار ليتميز البرىء من الجيد، ومن هذا قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ **(الذرايات: ١٣).**

وقيل الفتنة هي المحنة، والاعجاب بالشيء والضلال والإثم وقد أورد ذلك ابن منظور في لسان العرب وزاد عليها أن من معاني الفتنة الخبرة والإمالة عن الحق وما يقع بين الناس من القتال والقتل والعذاب، وذكر الراغب الأصفهاني أن الفتنة تستعمل فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء وهي في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً[١].

ويقول ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: أصل الفتنة الاختبار ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أُطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريف والفضيحة والفجور وغير ذلك.

وهكذا تجتمع الآراء والأحوال حول معنى الفتنة عند أهل العلم والاختصاص.

وأما الملاحم فهي من الملحمة أي الوقعة العظيمة القتل كما قال ابن منظور في لسان العرب: الملحمة: الوقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال، وألحمت القوم: إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً، وألحم الرجل إلحاماً، واستلحم استلحاماً إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً.

والملاحم هي القتال في الفتن وهي نهاية طبيعية لها حيث يتقاتل الناس ويختلطون ببعضهم البعض في المعارك، حيث يقطعون لحومهم بالسيوف

(١) انظر مفردات القرآن - الراغب الأصفهاني.

قديماً أو بالأسلحة الحديثة.

والفتن والملاحم من أشراط الساعة الصغرى والكبرى الدالة على قيام الساعة وقرب وقوعها[١].

وأما عن الفتن والملاحم وشدتها آخر الزمان خاصة في بلاد الشام فقد أخبر بها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج- أي القتل- حتى يكثر فيكم المال فيفيض». (متفق عليه).

وما جاء في الحديث من علامات صغرى لقرب قيام الساعة قد وقعت في زماننا هذا وبشكل متكرر وكبير وإن كان قد ظهر بعضها في الماضي البعيد.

وقد قال ابن بطال: وهذا كله إخبار من النبي ﷺ بأشراط الساعة، وقد رأينا هذه الأشراط عيانا وأدركناها، فقد نقص العلم وظهر الجهل وألقي الشح وعمت الفتن وكثر القتل»[٢].

وقد قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: (الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون حينئذ مغمورين).

وأحاديث الفتن وكثرتها آخر الزمان كثيرة كما ذكرناها في إصدارات سابقة عن أحداث آخر الزمان.

(١) انظر كتابنا نهاية العالم وأشراط الساعة، الناشر دار الكتاب العربي.

(٢) انظر شرح صحيح البخاري.

وقد اختص النبي ﷺ الشام بشهود أهم الفتن آخر الزمان حيث يمن الله عليها بالأمن والإيمان بل وتكون عمود الإسلام كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتُمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام)(١).

فقد أخبر النبي ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان.

وعمود الإسلام ما تعتمد أهل الإسلام عليه ويلتجئون إليه، فأهل الشام أهل الاستقامة على الإيمان والحق عند ظهور الاختلاف والخلاف والفتن.

وقال ابن رجب إن المراد بالعمود (عمود الإيمان) هنا هو الملك وإن الكتاب إنما يقام به ملك يؤيده ويقاتل به من خرج عنه كما جمع الله بين الأمرين في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحديد: ٢٥)**.

وقال ابن حجر العسقلاني: من رأى في منامه عموداً فإنه يعبر بالدين أو برجل يُعْتَمد عليه فيه وفسروا العمود بالدين والسلطان(٢).

ومن تلك الأقوال والتفاسير للحديث ومعنى الرؤية النبوية نرى أن الحديث النبوي يشير إلى حدوث الفتن في الشام يعقبها ظهور المهدي والتمكين له وقرب تحرير المسجد الأقصى وإعلان الخلافة الإسلامية من

---

(١) رواه أحمد والطبراني وصححه البيهقي في دلائل النبوة وابن حجر في الفتح والألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

بلاد الشام وعاصمتها القدس الشريف والله أعلم.

ولا ننسي ما جاء عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما: (ليأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام)(١).

قال ابن تيمية رحمه الله: (والنبي ﷺ ميز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير الشام من أرض الإسلام، فلم يزل فيها العلم والإيمان. ومن يقاتل عليه منصوراً مؤيداً في كل وقت)(٢).

وأضاف أيضاً: (فمكة مبدأ وإيليا- القدس- معاد في الخلق وكذلك في الأمر فإنه أرسل بالرسول من مكة إلى إيليا ومبعثه ومخرج دينه من مكة وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام، فمكة هي الأول والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية)(٣).

وفي السيرة النبوية أن السيدة آمنة أم النبي ﷺ رأت قبل ولادتها له رؤيا فيها قصور بصري تضيء بالنور وقد أسري به ﷺ إلى بيت المقدس بالشام وهي مهجر نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام.

وقد ذكرنا الأحاديث النبوية التي أشار فيها النبي ﷺ إلى وقوع الفتن آخر الزمان في مناطق محددة هي الشام والعراق واليمن ونصح الصحابي عبدالله بن حوالة حيث سأله أن يختار له بلداً يلجأ إليها، فاختار له بلاد الشام أو اليمن.

ولنستمع للحديث مرة أخري ومرات عديدة: عن عبدالله بن حوالة رضي الله عنه

---

(١) وكلام ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما هذا فيه ترغيب لأهل الإسلام في سكنى الشام في زمان ما هو آخر الزمان وكلامه مما فهمه من أحاديث النبي ﷺ.

(٢) مجموع الفتاوي - ابن تيمية.

(٣) المصدر السابق.

قال: قال رسول الله ﷺ: (سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق).

قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك. (أي اختار لي بلداً ألجأ إليه).

فقال: عليك بالشام فإنها خيرة الله- بكسر الخاء وفتح الياء أي مختارة من الله- من أرضه، يجتبي إليها من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم- أي اليمن- واسقوا من غُدُرِكُم- بضم الغين والدال[1]، فإن الله توكل لي بالشام وآهله)[2].

وقال ابن حوالة رضي الله عنه: من تكفل الله به فلا ضيعة عليه.

ونلاحظ هنا أن الصحابي راوي الحديث يسأل رسولنا ﷺ على خير أجناد الأرض في تلك الفترة والتي سيكون فيها القتال، حتى يلحق بهم فيكون الرد النبوي، فهم أجناد الشام، ولا عجب في ذلك حيث ستكون أهم المعارك الفاصلة في تاريخ البشرية والتي هي أم الملاحم الكبرى على أرض الشام بدابق كما سيأتي بيانه في حينه إن شاء الله تعالى، وحيث يخرج خير الجيوش من دمشق لمواجهة الأعور الدجال.

والحديث السابق عن الشام وأهله في عصر النبوة لم تكن من بلاد الإسلام ولم تدخل في الإسلام وقتها وإنما كانت تحت الحكم الروماني البيزنطي، ولهذا فإن الحديث من دلائل النبوة، حيث أشار الحديث أن بلاد الشام ستكون من بلاد الإسلام وخيرة بلاد الإسلام وقد قال ﷺ في حديث آخر: (ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مُهاجَر إبراهيم- أي أرض الشام- ويبقي في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم، وتحشرهم

(١) غدركم أي غدير الماء وهي قطعة من الماء يغادرها السيل.

(٢) رواه أبوداود وأحمد في المسند وإسناده صحيح وقال الألباني صحيح جداً وله طرق أربعة.

النار مع القردة والخنازير)[1].

وفي هذا يقول العز بن عبدالسلام رحمه الله: وهذه شهادة من رسول الله ﷺ باختيار الشام وبعضها وباصطفائه ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا ذلك بالمشاهدة فإن من رأي صالحي أهل الشام، ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم[2].

وقد ألف وصنف الكثيرون من أهل العلم والفضل قديماً وحديثاً الكثير من المصنفات عن فضل سكنى بلاد الشام آخر الزمان.

ونستخلص من الحديثين السابقين حيث الأول يتحدث عن وقت الفتن واستقرار الإيمان والملك في الشام، حيث فيه: (إلا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام).

والآخر يتحدث عن حدوث الملاحم (سيصير الأمر- أي أمر الإسلام- إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام وجند باليمن، وجند بالعراق) وتلك هي الملاحم وأماكنها آخر الزمان، ولا يخفى علينا ما يحدث بهذه البلاد حالياً من فتن وملاحم.

وفي الحديث الثالث: (ستكون هجرة بعد هجرة..) إشارة إلى تكرار الهجرة، وإن أفضل الهجرة آخر الزمان إلى بلاد الشام لنصرة الدين حيث ستكون الملاحم وقتال اليهود والدجال على أرضها؛ وعلى اجتماع أهل الإيمان هناك في آخر الزمان حيث إن أهل الإيمان هم أكثر الناس تصديقاً لكلام رسول الله ﷺ وقد ألزمهم الهجرة إلى بلاد الشام آخر الزمان كما ذكرنا ذلك.

■ ■ ■

(١) رواه أبوداود وأحمد.

(٢) انظر ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام للعز بن عبدالسلام.

(٣) الفتاوي الكبري.

3

القدس محور الصراع في الشام

- القدس مدينة مقدسة منذ فجر التاريخ
- موجز تاريخ القدس عبر التاريخ
- تهويد مدينة القدس المحتلة
- المسجد الأقصى أهم معالم الشام
- المسجد الأقصى وا لاحتلال الصليبي واليهودي
- المسجد الأقصى والخلفاء المسلمون بعد الفتح الإسلامي
- الفتح الإسلامي الأول للقدس والفتح الإسلامي الأخير
- نهاية دولة إسرائيل والإفساد الثاني في سورة الإسراء

القدس مدينة مقدسة منذ فجر التاريخ

مدينة القدس مقدسة منذ فجر التاريخ وهي درة بلاد الشام، أكبر مدن فلسطين التاريخية من حيث المساحة والسكان وأكثرها أهمية دينية للمسلمين واليهود والنصارى.

تعرف باسم بيت المقدس وأورشاليم وأورسالم ومدينة السلام، بها المسجد الأقصى أولى القبلتين.

كانت المدينة محاطة بغابات من أشجار الجوز والزيتون والصنوبر منذ القدم إلا أن الحروب والتوسع السكاني دمر تلك الغابات واضطر المزارعون إلى تشييد المدرجات الزراعية على عدد من السفوح كي لا تتآكل تربتها.

وتعتمد المدينة على المياه الجوفية ومياه الأمطار ومن أشهر الآبار فيها بئر ينسب إلى النبي أيوب ويدعي البعض أنه الماء الذي انفجر من الأرض لسيدنا أيوب عليه السلام كما ذكر الله عز وجل ذلك في سورة ص: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ (ص: ٤٢).

وقيل إن «مليك صادق» أحد ملوك اليبوسيين- وهم أشهر قبائل الكنعانيين- أول من اختط وبني مدينة القدس وذلك سنة (٣٠٠٠ق.م) والتي سميت بـ«يبوس» وقد عرف «مليك صادق» بالتقوي وحب السلام حتي أطلق عليه «ملك السلام»، ومن هنا جاء اسم مدينة سالم أو شالم أو «أور شالم» بمعني دع شالم يؤسس، أو مدينة سالم وبالتالي فإن أورشليم كان اسماً معروفاً وموجوداً قبل أن يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها اليبوسيين وسماها الإسرائيليون أيضاً «صهيون» نسبة لجبل في فلسطين، وقد غلب على المدينة اسم «القدس» المشتق من اسم من أسماء الله الحسنى،

وسميت كذلك بـ«بيت المقدس» الذي هو بيت الله.

وقيل أيضاً إن بانيها هو إيلياء بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام- وإيلياء أحد أسماء القدس.

تقع مدينة القدس في وسط فلسطين تقريبا إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق، وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو ٧٥٠م وعن سطح البحر الميت نحو ١١٥٠م، وتقع على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقاً، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً. تبعد المدينة مسافة ٥٢ كم عن البحر المتوسط في خط مستقيم و٢٢ كم عن البحر الميت و٢٥٠ كم عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمان ٨٨ كم، وعن بيروت ٣٨٨كم، وعن دمشق ٢٩٠كم.

وكانت أرض مدينة القدس في قديم الزمان صحراء تحيط بها من جهاتها الثلاث الشرقية والجنوبية والغربية الأودية، أما جهاتها الشمالية والشمالية الغربية فكانت مكشوفة وتحيط بها وكذلك الجبال التي أقيمت عليها المدينة، وهي جبل موريا (ومعناه المختار) القائم عليه المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ويرتفع نحو ٧٧٠م، وجبل أكر حيث توجد كنيسة القيامة وجبل نبريتا بالقرب من باب الساهرة، وجبل صهيون الذي يعرف بجبل داود في الجنوب الغربي من القدس القديمة. وقد قدرت مساحة المدينة بـ ١٩٣٣١كم، وكان يحيط بها سور منيع على شكل مربع يبلغ ارتفاعه ٤٠ قدماً وعليه ٣٤ برجا منتظما ولهذا السور سبعة أبواب وهي:

١- باب الخليل.

٢- باب الجديد.

٣- باب العامود.

٤- باب الساهرة.

٥- باب المغاربة.

٦- باب الأسباط.

٧- باب النبي داود عليه السلام.

أما الأودية التي تحيط بالقدس فهي:

١- وادي جهنم: واسمه القديم «قدرون» ويسميه العرب «وادي سلوان».

٢- وادي الربابة: واسمه القديم «هنوم».

٣- الوادي أو «الواد»: وقد يسمي «تيروبيون» معناه «صانعو الجبن».

والجبال المطلة على القدس هي:

١- جبل المكبر: يقع في جنوب القدس وتعلو قمته ٧٩٥م عن سطح البحر، وعلى جانب هذا الجبل قبر الشيخ- أحمد أبي العباس- الملقب بأبي ثور، وهو من المجاهدين الذي اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين الأيوبي.

٢- جبل الزيتون: ويعلو ٨٢٦م عن سطح البحر ويقع شرقي البلدة المقدسة، وهو يكشف مدينة القدس، ويعتقد أن المسيح صعد من هذا الجبل إلى السماء، ويطل على المسجد الأقصى وهو أعلى جبال القدس وفيه مقام رابعة العدوية.

٣- جبل المشارف: ويقع إلى الشمال من مدينة القدس، ويقال له أيضاً «جبل المشهد» وهو الذي أطلق عليه الغربيون اسم «جبل سكوبس» نسبة إلى قائد روماني.

٤- جبل النبي صمويل: يقع في شمال غربي القدس ويرتفع ٨٨٥م عن سطح البحر.

٥- تل العاصور: تحريف «بعل حاصور» بمعني قرية البعل ويرتفع ١٠١٦م عن سطح البحر، ويقع بين قريتي دير جرير وسلود، وهو الجبل الرابع في

ارتفاعه في فلسطين.

ويصف مجير الدين الحنبلي القدس في نهاية القرن التاسع سنة ٩٠٠هـ بقوله:

«مدينة عظيمة محكمة البناء بين جبال وأودية، وبعض بناء المدينة مرتفع على علو، وبعضه منخفض في واد وأغلب الأبنية التي في الأماكن العالية مشرفة على ما دونها من الأماكن المنخفضة وشوارع المدينة بعضها سهل وبعضها وعر، وفي أغلب الأماكن يوجد أسفلها أبنية قديمة، وقد بني بناء مستجد على بناء قديم، وهي كثيرة الآبار المعدة لخزن الماء، لأن ماءها يجمع من الأمطار».

أهم مساجدها:

١- مسجد الصخرة والذي يقع في وسطه الصخرة الشريفة.

٢- جامع المغاربة: وهو يقع بظاهر المسجد الأقصى من جهة الغرب.

٣- جامع النبي داود عليه السلام.

٤- المسجد القبلي: (المعروف بالمسجد الأقصى).

أماكنها التاريخية الأخرى:

كنيسة القيامة، المارستان أو الدباغة، طريق الآلام، الصلاحية، المتحف، جبل الزيتون.

موجز تاريخ القدس عبر التاريخ القديم والحديث:

- سنة ٣٠٠٠ ق.م هاجر العموريون العرب إلى فلسطين.

- سنة ١٩٠٠ ق.م هاجر إبراهيم الخليل عليه السلام من أور إلى فلسطين.

- سنة ١٧٨٥ ق.م هجرة الهكسوس وفي هذه الفترة، هاجر آل يعقوب إلى مصر نحو سنة ١٧٤٠ ق.م.

- سنة ١٢٩٠ ق.م خروج موسي عليه السلام وجماعته من مصر إلى فلسطين.

- سنة ١٠٠٣ ق.م اتخذ داود عليه السلام أورشليم عاصمة له وخلفه ابنه سليمان عليه السلام.

- سنة ٧٢٢ ق.م سقوط إسرائيل على يد سرجون الثاني الآشوري.

- سنة ٥٨٦ ق.م سقوط يهودا على يد نبوخذ نصر البابلي.

- سنة ٥٣٦ ق.م احتل كورش الأخميني بابل وسماحه لليهود بالنزوح إلى فلسطين.

- سنة ٥٣٨ ق.م احتل الأخمينيون فلسطين، وقام كورش بتجديد هيكل سليمان وبناء المدينة.

- سنة ٣٣٢ ق.م احتل الإسكندر المقدوني فلسطين، وحلت الفوضى البلاد بعد وفاته عام ٣٢٢ ق.م.

- سنة ٦٢ ق.م احتل الرومان فلسطين.

- سنة ٣٧ ق.م نصب الرومان هيرودوس الأدومي ملكاً على الجليل والقدس، وظل يحكمهما حتي سنة ٤ م وفي زمانه ولد النبي عيسي عليه السلام في بيت لحم.

- سنة ٧٠ م حدث شغب في مدينة القدس فحاصرها طيطوس الروماني وأحدث في المدينة النهب والحرق والقتل وأحرق المعبد الذي بناه هيرودوس.

- سنة ١٣٥م أثار اليهود الشغب مرة أخرى إلا أن إمبراطور الروماني هدريان قام بالتنكيل بهم ودمر المدينة وحرث موقعها وحول القدس إلى مدينة وثنية وسمح للمسيحيين أن يقيموا فيها على أن يكونوا من أصل اليهود وسمى المدينة «الياكا بيتو لينا» مشتقة من أسرة هدريان المدعوة إليها.

- سنة ٣٢٤ م أصبحت فلسطين تحت الاحتلال البيزنطي.

- سنة ٦١٤ م احتل كسري أبرويز فلسطين.

- في ليلة ٢٧ من شهر رجب قبل الهجرة النبوية بسنة أسرى الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

- في شعبان سنة ٢ هـ صلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول صلاته باتجاه القدس ثم حولت القبلة إلى الكعبة المشرفة في هذا التاريخ.

- سنة ٧ هـ/ ٦٢٨م استطاع الإمبراطور البيزنطي هرقل أن يطرد الفرس من القدس.

- سنة ٨ هـ/ ٦٢٩م وقعت معركة مؤتة، على حدود الشام.

- سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م وقعت معركة أجنادين وانتصر المسلمون فيها على الروم.

- سنة ١٥ هـ/ ٦٣٦م وقعت معركة اليرموك وانتصر المسلمون فيها.

- سنة ١٧ هـ/ ٦٣٨م دخل عمر بن الخطاب القدس وصالح أهلها.

- سنة ٤٠ هـ/ ٦٦١م أخذ معاوية بن أبي سفيان البيعة في القدس، واختار مدينة دمشق عاصمة لخلافته.

- سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م وقعت ثورة فلسطين بزعامة نائل الجذامي تأييداً لعبدالله بن الزبير.

- سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م أخذ سليمان بن عبدالملك البيعة في القدس، وبنى في الرملة قصراً له.

- في الفترة بين سنة (١٦٣- ٢١٨هـ) زار فلسطين المهدي العباسي ومن بعده المأمون العباسي.

- سنة ٢٦٤هـ ضم أحمد بن طولون فلسطين إلى دولته في مصر.

- سنة ٣٨٥هـ/ ٩٦٨م سيطر الفاطميون على فلسطين.

- سنة ٤١٧هـ وقعت معركة عسقلان وانتصار حلف الأمراء العرب على الفاطميين.

- سنة ٤٩٢هـ استيلاء الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي على القدس.

- سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م احتل الصليبيون القدس وارتكبوا مجازر دموية في ساحة المسجد الأقصى ورفعوا الصليب على الصخرة المقدسة. (الحملة الصليبية الثانية).

- في سنة ٣٨٥هـ/ ١١٨٧م تم استرداد بيت المقدس من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي في أعقاب معركة حطين.

- في سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م كانت حملة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليبي الثاني ملك فرنسا (الحملة الصليبية الثالثة) ولم يتمكن من الاستيلاء على القدس واستطاع الاستيلاء على بعض مدن فلسطين وفشلت حملته أمام جيوش صلاح الدين.

- سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م استولى المماليك على فلسطين.

- سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م وقعت معركة «عين جالوت» وهزيمة التتار الذين حاولوا غزو مصر بعد غزو الشام، فانهزموا أمام جيش المصريين بقيادة السلطان قطز.

- سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م أنهى السلطان «الأشرف بن قلاوون» مملكة بيت المقدس الصليبية.

- سنة ٩٢٢هـ استولى السلطان «سليم العثماني» على القدس، بعد غزوه لبلاد الشام ثم مصر وأعلن نفسه خليفة للمسلمين في القاهرة.

- سنة ١٨٥٤م أقيم أول حي يهودي يدعى «حي مونتفيوري» في

القدس نسبة إلى رجل يهودي استطاع شراء أرض فلسطينية بمساعدة السلطان العثماني.

- سنة ١٩٢٠م وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من أجل إنشاء دولة اليهود فيها.

- سنة ١٩٤٨م اغتُصبت فلسطين من قبل اليهود وطرد العرب الفلسطينيون منها.

- سنة ١٩٦٧م استكمل اليهود سيطرتهم على عموم فلسطين والقدس بعد نكسة حزيران، وعادوا يطلقون عليها اسم «أورشليم».

- سنة ١٩٨٠م تم إعلان ضم القدس سياسيّاً إلى دولة الاحتلال الإسرائيلى تحت شعار توحيد القدس.

■ ■ ■

القدس في القرآن الكريم والسنة النبوية

مدينة القدس والمسجد الأقصى نظراً لأهميته جاء ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، نذكر منها ما جاء في سورة الإسراء: قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

فالآية خَصّت المسجد الأقصى بالبركة في حين اكتفت بذكر المسجد الحرام دون تخصيصه بوصف، على علو منزلته وسموّ مكانته، وإن كان ذلك يدل على شيء، فهو إنما يدل على أهمية المسجد الأقصى، ليس فقط في عصر صدر الإسلام، بل إلى أن تقوم الساعة.

وأما في بقية الآيات الكريمة التي ذكرت المسجد الأقصى، فقد ورد ذكره كناية لا صراحة، وغالباً ما كان يشير الله تعالى للمسجد الأقصى والديار التي حوله بقوله تعالى: ﴿الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ أو ﴿الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (الأعراف: ١٣٧).

وتحكى الآية عن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر إلى بلاد الشام. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١)، والضمير في ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾ يعود على إبراهيم- عليه وعلى نبينا وآله السلام- حيث نزل بفلسطين ونزل لوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما يوم.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: «يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم إنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجرا إلى بلاد الشام، إلى الأرض المقدسة منها» وقول ابن كثير «إلى

الأرض المقدسة منها» يدل بوضوح على أن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام كانت إلى جزء من بلاد الشام، وهو ما يسمى الأرض المقدسة، وإن الأرض المقدسة هي بيت المقدس».

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ **(الأنبياء: ٨١)** يذكر المفسرون أن المقصود بالأرض التي باركنا فيها هي فلسطين وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ **(سبأ: ١٨)** والحديث في هذه الآية الكريمة عن أهل سبأ في اليمن، فقد جعل الله تعالى بين اليمن والأرض المباركة وهي بلاد الشام قرى متواصلة.

واستدلّ علماء التفسير بإجماع، على أن المقصود بالأرض المباركة في هذه الآيات كلها هي أرض فلسطين وما حولها من بلاد الشام، وذلك استنادا إلى الآية التي سبق ذكرها من سورة الإسراء والتي تنصّ صراحة على أن المسجد الأقصى هو الأرض التي بارك الله ما حولها.

أما الحديث الشريف فقد ذكرنا فضل بلاد الشام من قبل ويدخل فيها أيضاً القدس والمسجد الأقصى فقد حظيت القدس بنصيب وافر من أحاديث رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- حتى إننا نلاحظ أن المعنى الواحد يتكرر في عدة أحاديث ومن تلك الأحاديث:

■ حدثني عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أولَ قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال: المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون ثم قال حيثما أدركتك الصالة فصل والأرض لك مسجد.

■ عن البراء قال صلينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهراً وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخوله إلى المدينة بشهرين وكان رسول الله ﷺ إذا صلى إلى بيت المقدس أكثر تقلب وجهه في السماء وعلم

الله من قلب نبيه ﷺ أنه يهوي الكعبة فصعد جبريل فجعل رسول الله ﷺ يتبعه بصره وهو يصعد بين السماء والأرض ينظر ما يأتيه به فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ الآية فأتانا آت فقال إن القبلة قد صرفت إلى الكعبة وقد صلينا ركعتين إلى بيت المقدس ونحن ركوع فتحولنا فبنينا على ما مضى من صلاتنا فقال رسول الله ﷺ يا جبريل كيف حالنا في صلاتنا إلى بيت المقدس فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

■ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى.

■ عن ابن شهاب قال أبوسلمة سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول لما كذبتني قريش قمت في الحِجْر فجلي الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

■ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمس مائة صلاة وصلاته في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

■ عن عمرو بن عبدالله الحضرمي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يتأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم؟.. قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

■ عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ من أهل بعمرة من بيت المقدس كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب قالت فخرجت أي من بيت المقدس بعمرة.

■ عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت قلت يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس قال أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره قلت أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه قال فتهدي له زيتاً يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه.

■ عن أبي عمران عن ذي الأصابع قال قلت يا رسول الله إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا قال عليك ببيت المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون.

■ ■ ■

تهويد مدينة القدس المحتلة

انتزعت بريطانيا مدينة القدس المحتلة من سيطرة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وحكمت فلسطين في العقود الثلاثة التالية، وبموجب خطة للتقسيم إلى دولتين فلسطينية ويهودية أقرتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م، أصبحت القدس ومنطقتها كياناً منفصلاً يخضع لحكم الأمم المتحدة وتحيطها الأراضي الفلسطينية، وفي حرب ١٩٤٨ ضمت قوات الاحتلال الصهيوني الضواحي الغربية للقدس والأراضي المرتبطة بها إلى (إسرائيل)، وقد قبلت قوى كبرى التقسيم القائم فعلا على امتداد خط أخضر محصن بين القدس الغربية والقدس الشرقية التي يحكمها الأردن والتي تتضمن البلدة القديمة، ولم تكن هناك سيادة رسمية على القدس معترف بها من الأمم المتحدة والقوى الدولية.

ولما اشتبكت سلطات الاحتلال الصهيوني مرة أخري مع الدول العربية في حرب عام ١٩٦٧م، انتزعت (إسرائيل) القدس الشرقية والضفة الغربية من السيادة الأردنية، وضمت فيما بعد القدس الشرقية وقرى الضفة الغربية المحيطة إلى بلدية للقدس المحتلة وأعلنتها عاصمة موحدة وأبدية لـ«إسرائيل».

وقد تعرضت المدينة المقدسة ومازالت؛ لأكبر عملية تهويد من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني، كما تعرض المسجد الأقصى المبارك على وجه الخصوص إلى انتهاكات صهيونية متواصلة ومتصاعدة من خلال الحفريات وحفر الأنفاق تحت أساسات المسجد الأقصى والتي تهدد بقاء المسجد المبارك بشكل مباشر.

وتهدف سلطات الاحتلال الصهيوني من وراء تهويد مدينة القدس المحتلة

إلى توسيع القاعدة الجغرافية لمدينة القدس المحتلة باعتبارها عاصمة لـ«دولة الكيان الصهيوني»، وفصل شمال الضفة الغربية عن جنوبها، وإلغاء الدور المركزي والمعنوي والخدمي للقدس العربية، وإضعاف الوجود الفلسطيني في مدينة القدس المحتلة، لضمان التفوق الديمغرافي اليهودي على العربي في المدينة المحتلة التي تتعرض لحملة مسعورة من التهويد.

كما عمدت سلطات الاحتلال الصهيوني إلى السيطرة على أكبر مساحة من الأراضي المقدسة، بهدف تهويد المدينة المقدسة وبالتالي ضمان التواصل بين الأحياء اليهودية داخل المدينة وحولها، وتغيير معالم المدينة وطمس الهوية والثقافة الإسلامية لها، وإبدالها بمعالم يهودية عبرية من خلال أكبر عملية لتزييف التاريخ.

حسب الإحصاءات هناك ٧٥٠ ألف نسمة تقريبا يسكنون القدس المحتلة التي تغطي مساحة تبلغ ١٢٨ كيلومترا مربعا، وثلث السكان تقريبا من العرب معظمهم مسلمون وبعضهم مسيحيون وهناك نصف مليون يهودي، فيما يعيش نحو نصف اليهود وغالبية العرب في المناطق التي كان يحكمها الأردن حتى عام ١٩٦٧م، ولا يحمل معظم الفلسطينيين المقدسيين من سكان القدس الجنسية الإسرائيلية لكنهم يحملون وثائق تمنحهم حرية السفر داخل (فلسطين المحتلة) التي تسمى دولة إسرائيل.

وقد صعدت سلطات الاحتلال الصهيوني منذ احتلالها لغرب مدينة القدس سنة ١٩٤٨م، واحتلالها لشطرها الشرقي سنة ١٩٦٧م، من إجراءاتها التعسفية بحق المدينة المقدسة وهذه الإجراءات متواصلة ومتصاعدة من خلال برامج ومخططات عدوانية رامية لتهويد كامل المدينة دينيّاً وتاريخيّاً من خلال الحفريات الجارية قرب المسجد الأقصى وأسفله وإقامة الأنفاق والكنس اليهودية داخل المسجد الأقصى وتحته، وحفر الأنفاق الضخمة والطويلة تحت مدينة القدس القديمة وتحت أراضي مدينة سلوان العربية،

كما تتجه معظم هذه الأنفاق نحو البلدة العتيقة لتلتقي بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف بالقرب من حائط البراق بهدف السيطرة التامة على أسفل شرقي مدينة القدس، ومواصلة الاستيلاء على بعض الأماكن الدينية والأثرية في القدس، بالإضافة إلى ممارسة سياسة التفريغ السكاني والتغيير الديمغرافي الذي يطال سكان القدس وأراضيهم.

■ ■ ■

المسجد الأقصى المبارك أهم معالم الشام

يقع المسجد الأقصى المبارك فوق هضبة موريا في الزاوية الجنوبية الشرقية من البلدة القديمة بالقدس المحتلة، وهو عبارة عن مساحة كبيرة شبه مستطيلة، يحيط بها سور، وأغلبها غير مسقوف، باستثناء الجامع المبني في صدرها من جهة القبلة (يسمي «الجامع القبلي» وتعلوه قبة رصاصية)، وقبة الصخرة (ذات اللون الذهبي المميز) الواقعة في قلب المسجد الأقصى المبارك. فضلاً عن ذلك، يشتمل المسجد الأقصى المبارك على عدة مصليات وقباب أخرى، وأسبلة مياه، ومواضئ، وآبار، ومصاطب، ومحاريب، وأروقة، ومدارس، وغير ذلك من المعالم التي تقارب في عددها ٢٠٠ معلم، وتقع داخل سور المسجد المبارك.

يقع المسجد الأقصى داخل البلدة القديمة لمدينة القدس في فلسطين. وهو اسم لكل ما دار حول السور الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة المسورة، ويعد كل من مسجد قبة الصخرة والجامع القبلي المسمى المسجد الأقصى من أشهر معالم المسجد الأقصى.

هو ثاني مسجد وضع في الأرض دون أن يكون قبلة كنيس ولا هيكلا، وهو ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال في الإسلام، والقبلة الأولى، وإليه أسري بالنبي محمد ﷺ، ومنه بدأ معراجه إلى السماء، وفيه أم الأنبياء، وهو المسجد المبارك ما حوله، والسكن في أرضه رباط إلى يوم الدين.

وقد ذكر في القرآن حيث قال الله: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)**. وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، كما

قال رسول الله محمد: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا (المسجد النبوي)، ومسجد الأقصى»[1].

يطلق العامة تسمية «الحرم القدسي الشريف» على المسجد الأقصى، ولكنها تسمية خاطئة لا تصح، ففي الإسلام حرمان فقط متفق عليهما هما: المسجد الحرام والمسجد النبوي.

ويقدس اليهود أيضاً نفس المكان ويطلقون اسم «جبل الهيكل» على ساحات المسجد الأقصى نسبة لهيكل النبي سليمان المفترض. وتحاول العديد من المنظمات اليهودية المتطرفة التذرع بهذه الحجة لبناء الهيكل حسب معتقدها.

وتبلغ مساحة المسجد قرابة الـ ١٤٤ دونماً ويشمل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وعدة معالم أخرى يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم (أي ما يعادل نحو سدس البلدة القديمة)، وتبلغ أطوال سوره ٤٩١م في جهته الغربية، و٤٦٢م في جهته الشرقية، و٣١٠م في جهته الشمالية، و٢٨١م في جهته الجنوبية.

وللمسجد الأقصى أربعة مآذن هي مئذنة باب المغاربة الواقعة بالجنوب الغربي، ومئذنة باب السلسلة الواقعة في الجهة الغربية قرب باب السلسلة، مئذنة باب الغوانمة الواقعة في الشمال الغربي، ومئذنة باب الأسباط الواقعة في الجهة الشمالية.

والثابت في الحديث الشريف أن المسجد الأقصى المبارك وضع في الأرض بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، ويرجح أن يكون آدم (عليه الصلاة والسلام) هو أول من بناه، مما يدل على أن المسجد الأقصى لم يقم قبله كنيس ولا هيكل ولا أي مبنى آخر لعبادة غير الله. وبعد آدم (عليه الصلاة والسلام) عمرته الأنبياء، ومنهم إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، الذي جدد أيضاً بناء المسجد الحرام، وسليمان (عليه الصلاة والسلام) الذي جدد بناءه، ودعا لمن صلى فيه[2].

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخاري.

عن أبي ذر الغفاري، قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون، ثم أينما أدركتك الصلاة فصلهْ، فإن الفضل فيه».

وقد تتباعت على الأقصى عمليات كثيرة من التعمير عبر التاريخ القديم حتى الفتح الإسلامي، فقد عمره إبراهيم حوالي العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، ثم تولى المهمة أبناؤه إسحاق ويعقوب من بعده، كما جدد سليمان بناءه، حوالي العام ١٠٠٠ قبل الميلاد.

روي عن عبدالله بن عمرو في سنن ابن ماجه ومسند أحمد وسنن النسائي: (لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لأحد من بعده وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) فقال النبي ﷺ: (أما اثنتان فقد أعطتهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة).

ومع الفتح الإسلامي للقدس عام ٦٣٦م (الموافق ١٥ للهجرة)، بنى عمر بن الخطاب الجامع القبلي، كنواة للمسجد الأقصى.

وفي عهد الدولة الأموية، بنيت قبة الصخرة، كما أعيد بناء الجامع القبلي، واستغرق هذا كله من ٦٦ هجرية/ ٦٨٥ ميلادية- ٩٦ هجرية/ ٧١٥ميلادية، ليكتمل بعدها المسجد الأقصى بشكله الحالي.

ومعنى الاسم الأقصى أي الأبعد والمقصود المسجد الأبعد مقارنة بين مساجد الإسلام الثلاثة أي أنه بعيد عن مكة والمدينة على الأرجح.

وقد كان المسجد الأقصى يعرف ببيت المقدس قبل نزول التسمية القرآنية له، وقد ورد ذلك في أحاديث النبي حيث قال في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في حديث الإسراء.

روى عن أنس بن مالك في مسند أحمد: (أتيت بالبراق وهو دابة أبيض

فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل: أصبت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل... إلخ).

المسجد الأقصى عند المسلمين

للمسجد الأقصى قدسية كبيرة عند المسلمين ارتبطت بعقيدتهم منذ بداية الدعوة. فهو يعتبر قبلة الأنبياء جميعاً قبل النبي ﷺ وهو القبلة الأولى التي صلى إليها النبي قبل أن يتم تغيير القبلة إلى مكة.

وقد توثقت علاقة الإسلام بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج حيث أنه أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وفيه صلى النبي إماماً بالأنبياء ومنه عرج بالنبي إلى السماء، وفي السماء العليا فرضت عليه الصلاة.

قال تعالى في سورة الإسراء: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** ووصف الله للمسجد الأقصى بـ **﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾** يدل على بركة المسجد ومكانته عند الله وعند المسلمين. فالأقصى هو منبع البركة التي عمت كل المنطقة حوله في اعتقاد المسلمين.

ويعتبر المسجد الأقصى هو المسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال، فقد ذكر النبي أن المساجد الثلاثة الوحيدة التي تشد إليها الرحال هي المسجد الحرام، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى.

قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى).

وروي عن أم المؤمنين أم سلمة أنها سمعت رسول الله يقول: (من أهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)[1].

وللصلاة في المسجد الأقصى ثواب يعادل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد. قال: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة»، وهناك قول آخر أن الصلاة في المسجد الأقصى تساوي مئتين وخمسين صلاة، وهو المسجد الذي أمر النبي الصحابة بالبقاء قربه.

روى أحمد في مسنده عن ذي الأصابع قال: قلت يا رسول الله، إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: عليك ببيت المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية يعدون إلى ذلك المسجد ويروحون».

وبعد الفتح الإسلامي للقدس عام ٦٣٦م، (الموافق ١٥ للهجرة)، بني عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جامعا في صدر المسجد الأقصى المبارك في موضع يعتقد أنه نفس الموضع الذي يقوم عليه الآن الجامع القبلي (المصلى الرئيسي في المسجد الأقصى المبارك). وفي عهد الأمويين، بنيت قبة الصخرة (الواقعة في قلب ساحة المسجد الأقصى المبارك)، كما بني الجامع القبلي الحالي.

عندما حاصر أبوعبيدة بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح، بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فسار عمر نحوهم واستخلف على المدينة على بن أبي طالب، ثم سار حتى صالح نصاري بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ليلة الإسراء، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص، وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني

(١) رواه أبوداود في سننه.

إسرائيل، (الإسراء) ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، فأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العمري اليوم.

ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك واستمر أهل الأردن في نقل بقيتها.

عن عبيد بن آدم، وأبي مريم، وأبي شعيب: أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال: قال ابن سلمة: فحدثني أبوسنان، عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله، فتقدم إلى القبة فصلى، ثم جاء فبسط ردائه وكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس. «رواه أحمد في مسنده».

وفي عهود لاحقة، اعتنى المسلمون بإعمار المسجد الأقصى المبارك، وترميمه، والبناء فيه حتى اكتمل بشكله الحالي.

أهم المعالم والمساجد الموجودة في ساحة الأقصى:

الجامع القبلي (بكسر القاف وتسكين الباء): هو الجزء الجنوبي من المسجد الأقصى المواجه للقبلة ولذلك سمي بالجامع القبلي، وهو المبني ذو القبة الرصاصية، ويعتبر هذا الجامع هو المصلى الرئيسي للرجال في المسجد الأقصى، وهو موضع صلاة الإمام بنى هذا المسجد في المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب عند الفتح الإسلامي للقدس عام ١٥ هـ. وقد بدأ بناء هذا المسجد الخليفة عبدالملك بن مروان، وأتم بناءه ابنه الوليد ابن عبدالملك.

المصلي المرواني: يقع المصلى تحت أرضية المسجد الأقصى، في جهة الجنوب الشرقي.

فالمسجد الأقصى القديم: يقع تحت الجامع القبلي، وقد بناه الأمويون ليكون مدخلاً ملكيّاً إلى المسجد الأقصى من القصور الأموية التي تقع خارج حدود الأقصى من الجهة الجنوبية.

مسجد البراق: عند حائط البراق.

مسجد المغاربة: مسجد النساء.

فهناك أربع مآذن:

مأذنة باب المغاربة، مأذنة باب السلسلة، مأذنة باب الأسباط، مأذنة باب الغوانمة.

قباب المسجد الأقصى أربع عشرة قبة وهي:

- قبة الصخرة: قبة الصخرة هي المبني المثمن ذو القبة الذهبية، وموقعها بالنسبة للمسجد الأقصى ككل كموقع القلب من جسد الإنسان أي أنها تقع في وسطه إلى اليسار قليلاً. وهذه القبة تعتبر هي قبة المسجد ككل، وهي من أقدم وأعظم المعالم الإسلامية المتميزة، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصخرة التي تقع داخل المبنى والتي عرج منها النبي إلى السماء على أرجح الأقوال لأن الصخرة هي أعلى بقعة في المسجد الأقصى، وقبة الصخرة هي حالياً مصلى النساء في المسجد الأقصى. والصخرة غير معلقة كما يعتقد عامة الناس، لكنه يوجد أسفلها مغارة صغيرة.
- قبة النحوية.
- قبة الأرواح.
- قبة السلسلة.
- قبة سليمان.
- قبة الخضر.
- قبة المعراج.

- ■ قبة الميزان.
- ■ قبة يوسف آغا.
- ■ قبة موسى.
- ■ قبة النبي.
- ■ قبة يوسف.
- ■ قبة عشاق النبي.
- ■ قبة الشيخ الخليلي.

أبواب المسجد الأقصى:

وهي خمسة عشر بابا منها عشرة مفتوحة والبقية مغلقة، وهي:

- ■ باب الأسباط.
- ■ باب حطة.
- ■ باب العتم.
- ■ باب الغوانمة.
- ■ باب الناظر.
- ■ باب الحديد.
- ■ باب القطانين.
- ■ باب المطهرة.
- ■ باب السلسلة.
- ■ باب المغاربة.

أما الأبواب المغلقة في الجهة الجنوبية:

- باب المنفرد.
- باب الثلاثي.
- باب المزدوج.

الأبواب المغلقة في الجهة الشرقية:

- باب الذهبي (باب الرحمة).
- باب الجنائز.

الأروقة هناك:

- الرواق الغربي.
- الرواق الشمالي.

أما البوائك:

- البائكة الشمالية.
- البائكة الغربية.
- البائكة الجنوبية.
- البائكة الشرقية.
- البائكة الشمالية الغربية.
- البائكة الجنوبية الغربية.
- البائكة الجنوبية الشرقية.
- البائكة الشمالية الشرقية.

مسجد قبة الصخرة:

بنى عبدالملك بن مروان مسجد قبة الصخرة الذي يقع في حرم المسجد الأقصى في القدس وتحديداً شمال المسجد على الصخرة المقدسة التي كانت أحد عناصر حدث الإسراء والمعراج.. وقد أمر ببنائه الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان خلال الفترة ٦٨٨م- ٦٩٢م فوق صخرة المعراج، ولا يزال حتى يومنا هذا رمزاً معمارياً للمدينة ويعتد العامة أنه المسجد الأقصى.

وتقع الصخرة المقدسة في مركز هذا المسجد ويعتقد العامة أن هذه الصخرة معلقة بين السماء والأرض وهذا اعتقاد خاطئ.

وينزل إليها من الناحية الجنوبية بإحدى عشرة درجة، وشكلها قريب من المربع وطول كل ضلع حوالي أربعة أمتار ونصف، ولها سقف ارتفاعه ثلاثة أمتار، وفي السقف ثغرة اتساعها متر واحد وعند الباب قنطرة مقصورة بالرخام على عمودين.

ويوجد أسفل الصخرة كهف به محراب قديم يطلق عليه مصلى الأنبياء، ويحيط بالصخرة سياج من الخشب المعشق من تجديدات السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٥هـ، وتحيط بمنطقة الصخرة أربع دعامات من الحجر المغلف ببلاطات الرخام بينها ١٢ عموداً من الرخام تحمل ١٦ عقداً تشكل في أعلاها رقبة أسطوانية، تقوم عليها القبة.

أما المسجد الأقصى فهو قديم «المسجد القبلي» فهو أولى القبلتين، وثاني مسجد وضع في الأرض، بنص الحديث، وفي اعتقاد المسلمين أن الأرجح أن أول من بناه هو آدم، اختط حدوده بعد أربعين سنة من إرسائه قواعد البيت الحرام، بأمر من الله.

وجاءت هجرة إبراهيم من العراق إلى الأراضي حوالي العام ١٨٠٠ قبل الميلاد، وبعدها، قام برفع قواعد البيت الحرام، ومن بعده إسحاق ويعقوب،

كما أعيد بناؤه على يد سليمان حوالي العام ١٠٠٠ قبل الميلاد.

ومع الفتح الإسلامي للقدس عام ٦٣٦م (الموافقة ١٥ هجرية)، بنى عمر ابن الخطاب المصلى القبلي، كجزء من المسجد الأقصى. وفي عهد الدولة الأموية، بنيت قبة الصخرة، كما أعيد بناء المصلى القبلي، واستغرق هذا البناء قرابة ٣٠ عاماً من ٦٦ هجرية/ ٩٦ هجرية- ٦٨٥ميلادية/ ٧١٥ ميلادية، ليكتمل بعدها المسجد الأقصى بشكله الحالي.

المسجد الأقصى والاحتلال الصليبي والصهيوني

بعد الاحتلال الصليبي في ١٠٩٩ م- ٤٩٢ هـ جرت مذابح يشيب لها الولدان في المسجد الأقصى المبارك، حيث قدرت بعض المصادر التاريخية عدد المسلمين الذين قتلوا داخل المسجد المبارك يوم سقوط المدينة بأيدي المحتلين بـ٧٠ ألف مسلم. كما جري تحويل أجزاء من المسجد الأقصى المبارك إلى كنائس منها قبة الصخرة وجزء من الجامع القبلي، بينما استحدثت كنائس أخرى داخل حدود المسجد المبارك. إضافة لذلك، دنست أجزاء أخرى من الأقصى، وحولت إلى مساكن للفرسان، ومقار للقيادة، مثل الجامع القبلي، أو إلى اسطبلات للخيول، مثل المصلى المرواني الذى أسموه حينها «اسطبلات سليمان».

ومنذ الاحتلال الصهيوني للقدس في ١٩٦٧م- ١٣٨٧هـ يتعرض المسجد الأقصى المبارك الأسير والمصلون فيه لاعتداءات كثيرة، شملت احتلال أجزاء منه أحدها يقع فوق حصن قبة الصخرة حيث أقيم مركز لشرطة الاحتلال، فضلاً عن مصادرة بعض حيطانه، مثل حائط البراق، وحائط الكرد، اللذين تم تهويدهما وتحويلهما إلى أماكن عبادة لليهود، فضلا عن إحراق الجامع القبلي- المصلى الرئيسي في المسجد الأقصى المبارك، وارتكاب عدة مذابح بحق المصلين داخل المسجد المبارك راح ضحيتها عشرات الشهداء وآلاف الجرحى، وكذلك الحفريات التي تنفذها سلطات الاحتلال حوله وتحته، بما يؤثر على أساساته، ويهدد بهدمه.

وفي الوقت الذي يخضع فيه المسجد الأقصى المبارك منذ بدء الاحتلال إلى حصار خانق اشتد بعد انتفاضة الأقصى المبارك عام ٢٠٠٠م، حيث يمنع من دخوله كل أهل الضفة الغربية وقطاع غزة، ولا يسمح إلا لآلاف قليلة من أهل القدس الشريف وأهل فلسطين ٤٨ بدخوله، يعمل الصهاينة حاليا على تهويد المسجد الأقصى المبارك، بإدخال أعداد غفيرة من اليهود إليه سعياً لتقسيمه بين المسلمين واليهود، ومن ثم إقامة مواضع تعبد يهودية داخله، وذلك في إطار تحقيق هدف تقويض الأقصى، بزعم أنه في موضع ما يوجد «الهيكل»، (المعبد) والذي يرجعون بناءه الأول إلى سليمان (عليه الصلاة والسلام).

والحقيقة أن الحفريات المنتشرة حول وتحت المسجد الأقصى المبارك، ومعظمها صهيونية، لا تشير إلى وجود أي أثر للمعبد المزعوم، رغم أنها وصلت إلى طبقات جيولوجية تعود لفترات تاريخية سحيقة.

كما أن الحديث النبوي الشريف الذي يؤكد أن المسجد الأقصى المبارك هو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام يدل على أن موضع المسجد الأقصى المبارك خصص لعبادة الله تعالى منذ خلقت البشرية.

وحتي لو ثبت أن أبنية مختلفة أقيمت في موضعه بعد بنائه الأول هذا، فلاشك أن بناء سليمان عليه السلام، على وجه الخصوص، والذي يثبته حديث نبوي شريف آخر، كان بناء تجديد لهذا المسجد الذي لا يعبد فيه إلا الله تعالى، لأنه عليه السلام نبي من أنبياء الله، وليس ملكا لليهود فحسب، كما يدعون.

وقد تعرض المسجد في صبيحة يوم الخميس الموافق ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م لجريمة على يد يهودي متطرف اسمه مايكل دينس روهن الاسترالي حيث تم حرق الجامع القبلي الذي سقط سقف قسمه الشرقي بالكامل، كما احترق منبر نور الدين زنكي الذي أمر ببنائه قبل تحرير المسجد الأقصى من الصليبيين وقام (صلاح الدين الأيوبي) بوضعه داخل المسجد بعد التحرير،

بعدها تم ترميم هذا الجامع والمنبر معه فجاءت سيارات الإطفاء إلى الجامع من كل أنحاء فلسطين، وتتولي الأردن ترميم وإصلاح المسجدين على نفقتها الخاصة كلما دعا الأمر لذلك.

لقد بات معروفاً بين الباحثين والمختصين في العمارة الإسلامية أن المسجد الأقصى المبارك الحالي، هو المسجد الأقصى الثاني، باعتبار أن المسجد الأقصى الأول (القديم) هو ذاك الذي بناه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣ هجرية/ ٦٣٤- ٦٤٤ ميلادية)، بعد الفتح الإسلامي لبيت المقدس سنة ١٥ هجرية/ ٦٣٦ ميلادية، حيث كان يقوم في الجهة الجنوبية الشرقية للحرم الشريف والذي امتاز بناؤه بالبساطة المتناهية، وعلى ما يبدو أن هذا المسجد لم يصمد طويلاً أمام تقلبات العوامل الطبيعية المؤثرة وذلك لبدائية إنشائيته، حتى قام الأمويون بتأسيس وبناء المسجد الأقصى الحالي.

بني المسجد الأقصى المبارك الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٨٦- ٩٦ هجرية/ ٧٠٥- ٧١٥ ميلادية)، في الفترة الواقعة ما بين (٩٠- ٩٦ هجرية/ ٧٠٩- ٧١٤ ميلادية) فقد أكدت ذلك الوثائق التي احتوت على مراسلات بين قرة بن شريك عامل مصر الأموي (٩٠- ٩٦ هجرية/ ٧٠٩- ٧١٤ ميلادية) وأحد حكام الصعيد، حيث تضمنت كشفاً بنفقات العمال الذين شاركوا في بناء المسجد الأقصى، مما يؤكد أن الذي بنى المسجد الأقصى هو الخليفة الوليد بن عبدالملك.

يتألف المسجد الأقصى من رواق أوسط كبير يقوم على أعمدة رخامية ممتدا من الشمال إلى الجنوب، يغطيه جملون مصفح بألوان الرصاص وينتهى من الجنوب بقبة عظيمة الهيئة والمنظر، كروية الشكل تقوم على أربعة دعامات حجرية تعلوها أربعة عقود حجرية، نتج عنها أربعة مثلثات ركنية لتكون بمثابة القاعدة التي تحمل رقبة القبة والقبة نفسها والتي تتكون من طبقتين (قبتين: مثل قبة الصخرة المشرفة) داخلية وخارجية، زينت من

الداخل بالزخارف الفسيفسائية البديعة، وأما من الخارج فقد تم تغطيتها بصفائح النحاس المطلية بالذهب (مثل قبة الصخرة)، ولكنها استبدلت حديثاً بألواح من الرصاص، وذلك للزوم أعمال الترميم التي تمت فيها على يدي لجنة إعمار قبة الصخرة والمسجد الأقصى المبارك.

ويحف الرواق الأوسط من كلا جانبيه الغربي والشرقي، ثلاثة أروقة في كل جانب جاءت موازية له وأقل ارتفاعاً منه. أما الأروقة الواقعة في القسم الغربي، فقد غطيت بالأقبية المتقاطعة المحمولة على العقود والدعامات الحجرية والتي تم إنشاؤها في الفترة المملوكية. وأما القسم الشرقي فقد غطي بسقوف خرسانية تقوم على أعمدة وعقود حجرية، تم ترميمها وإعادة بنائها على يدي المجلس الإسلامي الأعلى (١٩٣٨- ١٩٤٣).

ويدخل إلى المسجد الأقصى من خلال أبوابه السبعة التي فتحت في واجهته الشمالية والذي يؤدي كل منها إلى إحدي أروقة المسجد السبعة، هذا ويتقدم الواجهة الشمالية المذكورة، واجهة أخرى عبارة عن رواق تمت إضافته في الفترة الأيوبية والذي يمتد من الشرق إلى الغرب، يتألف من سبعة عقود حجرية تقوم على دعامات حجرية.

وعوضاً عن تلك الأبواب السبعة، فقد فتح بابان آخران في كل من الجهة الغربية والشرقية للمسجد، وباب واحد في الجهة الجنوبية وذلك في فترات متأخرة[١].

المسجد الأقصى المبارك والخلفاء المسلمون:

كانت مساحة المسجد الأقصى المبارك في العهد الأموي أكبر بكثير مما هي عليه الآن، وقد ظل المسجد قائماً بتخطيطه الأصلي الأموي حتى سنة ٣٠ هجرية/ ٧٤٦ ميلادية، حيث تهدم جانبيه الغربية والشرقي جراء الهزة الأرضية التي حدثت في تلك السنة.

(١) موسوعة ويكبيديا- الإنترنت.

وفي الفترة العباسية تم ترميم المسجد الأقصى لأول مرة في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨ هجرية/ ٧٥٤- ٧٧٥ ميلادية)، ولكنه ما لبث وأن تعرض لهزة أرضية عنيفة ثانية وذلك في سنة ١٥٨ هجرية/ ٧٧٤ ميلادية، مما أدى إلى تدمير معظم البناء، الأمر الذي جعل الخليفة العباسي المهدي (١٥٨- ١٦٩ هجرية/ ٧٧٥- ٧٨٥ ميلادية)، أن يقوم بترميمه وإعادة بنائه من جديد في سنة ١٦٣ هجرية/ ٧٨٠ ميلادية. وقد كان المسجد الأقصى في عهده يتألف من خمسة عشر رواقاً، وذلك حسب ما جاء في وصفه عند المقدسي.

وفي الفترة الفاطمية، تعرض المسجد الأقصى لهزة أرضية أخرى حدثت سنة ٤٢٥ هجرية/ ١٠٣٣ ميلادية، أدت إلى تدمير معظم ما عمر في عهد المهدي، حتى قام الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١- ٤٢٧ هجرية/ ١٠٢١- ١٠٣٦ ميلادية) بترميمه في سنة ٤٢٦ هجرية/ ١٠٣٥ ميلادية، حيث قام باختصاره على شكله الحالي وذلك عن طريق حذف أربعة أروقة من كل جهة، الغربية والشرقية، كما قام بترميم القبلة وزخارفها من الداخل، وقد أشير لترميماته هذه من خلال نقشه التذكاري الموجود والذي جاء فيه ما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله لعبدالله ووليه أبي الحسن على الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين أمر بعمل هذه القبة وإذهابها سيدنا الوزير الأجل صفي أمير المؤمنين وخاصته أبوالقاسم على بن أحمد بن أحمد أيده الله ونصره وكمل جميع ذلك إلى سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين وأربع مائة صنعه عبدالله بن الحسن المصري المزوق).

الاحتلال الصليبي واحتلال المسجد الأقصى:

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٢ هجرية/ ١٠٩٩ ميلادية، قاموا بتغيير معالم المسجد الأقصى والذي استخدموه لأغراضهم الخاصة،

منتهكين في ذلك حرمته الدينية، فقاموا بتحويل قسم منه إلى كنيسة والقسم الآخر مساكن لفرسان الهيكل، كما أضافوا إليه من الناحية الغربية ببناء استخدموه مستودعاً لذخائرهم.

وقد زاد استهتارهم وانتهاكهم لقدسية المسجد الأقصى عندما استخدموا الأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى كإسطبلات لخيولهم، والتي عرفت منذ تلك اللحظة باسطبل أو إسطبلات سليمان.

وقد ظل المسجد الأقصى منتهكاً بهذا الشكل طوال فترة الغزو الصليبي لبيت المقدس، وحتى تحريره بواسطة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٣ هجرية/ ١١٨٧ ميلادية.

تحرير المسجد الأقصى في العصر الأيوبي:

ففي سنة ٥٨٣ هجرية/ ١١٨٧ ميلادية، فتح الله على القائد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤- ٥٨٩ هجرية/ ١١٩- ١١٩٣ ميلادية) باسترداد بيت المقدس وتطهير المسجد الأقصى من دنس الصليبيين، حيث قام صلاح الدين بإعادة المسجد الأقصى على ما كان عليه قبل الغزو الصليبي له، والشروع بترميمه وإصلاحه.

ومن أهم الترميمات التي أنجزت على أيدي صلاح الدين، تجديد وتزيين محراب المسجد، حيث يشير إلى ذلك النقش التذكاري الذي يعلوه والمزخرف بالفسيفساء المذهبة حيث جاء فيه ما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبوالمظفر الملك الناصر صلاح الدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة/ وهو يسأل الله إذاعة شكر هذه النعمة وإجزال حظه من المغفرة والرحمة).

كما أمر السلطان صلاح الدين بإحضار المنبر الخشبي الذي صنع

خصيصاً في عهد السلطان نور الدين زنكي (٥٤١- ٥٦٩ هجرية/ ١١٤٦- ١١٧٤ ميلادية)، ليكون بمثابة تذكار لفتح وتحرير المسجد الأقصى، حيث أحضره من حلب ووضعه في المسجد الأقصى.

وظل هذا المنبر قائماً فيه حتى تاريخ ١٩٦٩/٨/٢١م، عندما تم إحراق المسجد الأقصى المبارك على يدى مايكل روهان، وقد أتى الحريق على المنبر حتى لم يتبق منه إلا قطع صغيرة محفوظة الآن في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف.

ويعتبر المنبر من روائع القطع الفنية الإسلامية، وذلك لما امتاز به من دقة ومتانة في الصنع، وكذلك لما اكتنفه من زخارف إسلامية بديعة.

وقد تابع الأيوبيون بعد صلاح الدين، اهتمامهم في الحفاظ على المسجد الأقصى، حيث قام السلطان الملك المعظم عيسى (٦١٤- ٦٢٤ هجرية/ ١٢١٨- ١٢٢٧ ميلادية)، في سنة ٦١٤ هجرية/ ١٢١٨ ميلادية، بإضافة الرواق الذي يتقدم الواجهة الشمالية للمسجد الأقصى، والذي يعتبر اليوم الواجهة الشمالية نفسها للمسجد الأقصى، وقد أشير إلى تعميره من خلال النقش التذكاري الموجود بواجهة الرواق الأوسط منه والذي جاء فيه ما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم أُنشئت هذه الأروقة في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبي العزائم عيسي بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي بكر بن أيوب ابن شادي خليل أمير المؤمنين خلد الله ملكهما وذلك في سنة أربع عشرة وستمائة للهجرة النبوية وصلى الله على محمد وآله).

الأقصى في عصر المماليك

لقد ساهم المماليك في المحافظة على المسجد الأقصى بشكل منقطع النظير، وذلك من خلال ترميماتهم الكثيرة والمتتابعة فيه. حيث تركزت وتمت

في الفترة المملوكية الواقعة ما بين (٦٨٦- ٩١٥ هجرية/ ١٢٨٧- ١٥٠٩)، على يدي سلاطين المماليك أهمها:

١- السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨- ٦٨٩ هجرية/ ١٢٨٠- ١٢٩٠ ميلادية): حيث قام بترميمات عديدة أهمها في سنة ٦٨٦ هجرية/ ١٢٨٦ ميلادية، والتي قام فيها بعمارة القسم الجنوبي الغربي من سقف المسجد الأقصى المبارك.

٢- السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون/ خلال سلطنته الثالثة (٧٠٩- ٧٤١ هجرية/ ١٣٠٩- ١٣٤٠ ميلادية): حيث قام في سنة ٧٢٨ هجرية/ ١٣٢٧ ميلادية، بصيانة وترميم قبتي المسجد الداخلية والخارجية، وقد أشير إلى ذلك بالنقش التذكاري (الكتابة الدائرية) الموجودة في رقبة القبة من الداخل والذي جاء فيها ما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القبة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج والمتمردين محيي العدل في العالم سلطان الإسلام والمسلمين ناصر الدنيا والدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي تغمده الله برحمته في شهور سنة ثمان وعشرين وسبعمائة).

٣- السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان (٧٤٦ هجرية/ ١٣٤٥ ميلادية)، بتجديد المسجد من الداخل وأبوابه، والذي أشير إليه في نقشه التذكاري الموجود في الواجهة الشمالية للمسجد.

٤- السلطان الملك الناصر ناصر الدين حسن خلال سلطنته الأولي (٧٤٨- ٧٥٢ هجرية/ ١٣٤٧- ١٣٥١ميلادية): حيث قام في سنة ٧٥١ هجرية/ ١٣٥٠ ميلادية، بتجديد جناح للمسجد كان يقوم في الجهة الشرقية الشمالية منه، وذلك وفقاً لما جاء بالنقش التذكاري الموجود في الرواق الشمالي للمسجد.

٥- السلطان الملك الأشرف سيف الدين إينال (٨٥٧- ٨٦٥ هجرية/ ١٤٥٣- ١٤٦١ ميلادية): حيث قام في سنة ٨٦٥ هجرية/ ١٤٦٠ ميلادية، بتعميرات مختلفة في المسجد الأقصى، كما قام بوضع المصحف الشريف بالمسجد الأقصى ورتب له قارئاً ووقف عليه جهة.

٦- السلطان الملك الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٢- ٩٠١هجرية/ ١٤٦٨- ١٤٩٦ ميلادية): حيث قام في سنة ٨٧٩ هجرية/ ١٤٧٤ ميلادية، بتعميرات مختلفة في المسجد الأقصى، منها تجديد رصاص أسطحه وقبة المسجد الأقصى.

٧- السلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦- ٩٢٢ هجرية/ ١٥٠١- ١٥١٦ ميلادية): حيث قام في ٩١٥ هجرية/ ١٥٠٩ ميلادية، بأعمال تجديدات في المسجد اشتملت على إصلاح رصاص السطح وبياض الجدران ودهان الأبواب وترميمها وغير ذلك، وذلك حسب ما ورد في نقشه التذكاري الموجود في المسجد.

العثمانيون:

لقد كان للعثمانيين دور هام في متابعة مسيرة المحافظة على المسجد الأقص المبارك، حيث قام سلاطينهم بأعمال ترميمات ضخمة في المسجد الأقصى، كان أهمهم السلطان سليمان القانوني (٩٦٩هجرية/ ١٥٦١ ميلادية)، والسلطان محمود الثاني (١٢٣٣ هجرية/ ١٨١٧ ميلادية)، والسلطان عبدالمجيد (١٢٥٦ هجرية/ ١٨٤٠ ميلادية)، والسلطان عبدالعزيز (١٢٩١ هجرية/ ١٨٧٤ ميلادية)، والسلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣ هجرية/ ١٨٧٦ ميلادية).

تمتد أراضي بلدية القدس اليوم لتشمل مناطق شاسعة كانت في السابق قرى أو ضواحي للمدينة، فتشمل حدود البلدية كل من: بيت حنينا، كفر

عقب، شعفاط، التل الفرنسي، جبل المشارف، الشيخ جراح، وادي الجوز، جبل الزيتون، البلدة القديمة، سلوان، العيسوية، رأس العمود، أبوالطور، جبل المكبر، صور باهر، أم طوبا، جبل أبوغنيم، بيت صفافا والولجة.

من جهة أخرى، أقامت إسرائيل العديد من المستوطنات، كما قامت بضم مستوطنات قديمة أخرى خارج حدود البلدية بعد احتلالها للقدس الشرقية عام ١٩٦٧ وبنائها لجدار الفصل عام ٢٠٠٢، والذي عزل العديد من البلدات العربية عن القدس، كالعيزرية، أبوديس، الرام، محزما، عناتا، السواحرة الشرقية، بيت إكسا، الشيخ سعد وقلدنيا حيث مطار القدس الدولي، والتي من المفترض أن تشكل الامتداد الطبيعي لتوسع الأحياد العربية في المدينة مستقبلاً. وهذه المستوطنات هي: مستوطنة عطروت، مستوطنة نيفيه يعقوب، مستوطنة بيسغات زئيف، مستوطنة رامات أشكول، مستوطنة غيل، مستوطنة هماطوس ومستوطنة ناليبوت مزراح.

أما القدس الغربية فقد أقدمت إسرائيل بعد قيامها عام ١٩٤٨، على تدمير معظم القرى الواقعة غرب القدس، من أهمها: المالحة، دير ياسين، عين كارم، لفتة، والقسطيل. وأقامت مكانها العديد من المستوطنات التي أصبحت تشكل فيما بعد مناطق القدس الغربية، وهي: كفعات شاؤول، بيت هيكرم، جبل هرتزل، كريات هيوفيل، عميق زيفائيم، يمين موشيه، ربحاميا، نحلاؤوت، محانيه يهودا، منة سيعاريم، روميما وكفعات رام.

يقع في محيط القدس عدة غابات ومناطق برية مثل وادي الغزال، تقع هذه المنطقة بوسط القدس بالقرب من حي «كفعات مردخاي» اليهودي، وهي عبارة عن أرض مكشوفة تبلغ مساحتها ٢٦٠ دونماً. أطلق هذا الاسم على الوادي كون ما يقارب من ١٧ غزالاً جبلياً تتخذ منه موطناً ولا تستطيع مغادرته لإحاطة المدينة به من مختلف الجوانب، كان متعهدو العقارات والمقاولون قد خططوا لتحويل المنطقة إلى منطقة سكنية، لكن محبي الطبيعة

وجمعية حماية البيئة في إسرائيل استطاعت إيقاف هذا الأمر، وإرغام السلطات المختصة على النظر في مسألة حماية الموقع.

ويسود المدينة المناخ المتوسطي، مما يجعلها تتميز بصيف حار وجاف، وشتاء معتدل ممطر. تتساقط الثلوج مرة أو مرتين عادة خلال الشتاء، وتختبر المدينة تساقطاً كثيفاً للثلج مرة كل ٣ أو ٤ سنوات في العادة. يعتبر شهر يناير أبرد فصول السنة، حيث يصل معدل درجة الحرارة فيه إلى ٩,١ درجة مئوية (٤٨,٤ درجة فهرنهايت)؛ بينما يعتبر شهري يوليو وأغسطس أكثر شهور السنة حرّاً، حيث يصل معدل درجة الحرارة فيهما إلى ٤٢ درجة مئوية (٧٥,٦ فهرنهايت). يصل معدل المتساقطات السنوي إلى ٥٥٠ مليمتراً (٢٢ إنشاً)، وذلك في الفترة الممتدة بين شهري أكتوبر ومايو، أما الأشهر الأخرى فينعدم فيها تساقط الأمطار غالباً.

تعاني القدس من تلوث الهواء لكثرة الانبعاثات الغازية من عوادم السيارات والحافلات. وهناك العديد من الشوارع والحارات في المدينة غير المهيئة لاستيعاب الأعداد الكبيرة والمتزايدة من السيارات، الأمر الذي يؤدي إلى حصول ازدحامات خانقة على الدوام وازدياد معدل انبعاثات أول أكسيد الكربون في الجو. تساهم انبعاثات المصانع بنسبة ضئيلة من تلوث الهواء بالمدينة، إلا أنه يمكن لتلك الصادرة عن المصانع الواقعة على ساحل البحر المتوسط أن تتجه شرقاً ناحية القدس وتشكل ضخاناً فوقها.

وقرى القدس عديدة وكثيرة فقد اختلف التحاق بعض القرى لمدينة القدس وفقاً لتغيرات التاريخية التي مرت بها المدينة. كان آخر تغيير لحدود مدينة القدس الإدارية في يونيو سنة ١٩٦٧ بموجب قرار أصدرته الحكومة الإسرائيلية بعد احتلال الضفة الغربية من الأردن. نص هذا القرار على ضم ٧٠,٤ كيلومترات مربعة إلى منطقة البلدية المقدسية الإسرائيلية وفرض القانون الإسرائيلي عليها، كانت ٦,٤ كيلومترات مربعة من المساحة المضمومة تابعة

للبلدية المقدسية الأردنية قبل حرب سنة ١٩٦٧، أما الباقي فكان من أراضي بعض القرى المجاورة للقدس. أقدم الإسرائيليون على هدم عدد من القرى الفلسطينية وبناء قري ومستوطنات جديدة على أنقاضها، وقد سمحت الحكومة في وقت لاحق لبعض المهجرين من الفلسطينيين بالعودة إلى قراهم، فأقاموا بجانب المستوطنات قرى جديدة. حاز سكان المنطقة المضمومة على مكانة «مقيم دائم» في إسرائيل، دون أن يحصلوا على المواطنة، أما القرى التي بقيت خارج حدود القدس الإدارية وسكانها، فيخضعون لسيطرة الحكم العسكري أو لسيطرة السلطة الوطنية الفلسطينية. وكانت الحكومة الفلسطينية قد أصدرت قانون أملاك الغائب عام ١٩٥٠، الذي منح إسرائيل صفة الوصي على أملاك الفلسطينيين الغائبين، وأعطاها الحق في الاستيلاء عليها وإدارتها. من القري العربية التى كانت بجوار القدس من جانبها الغربي قبل حرب سنة ١٩٤٨ لم تبق إلا ثلاثا: أبوغوش (أكبرها)، عين رافه، وعين نقوبا وتعتبر هذه القري الثلاثة اليوم تجمعات عربية إسرائيلية وسكانها ذوو جنسية إسرائيلية. ومن قرى القدس الأخرى: أشوع، البريج، بيت أم الميس، بيت عطاب، بيت محسير، جرش، خربة العمور، خربة اللوز، دير الشيخ، وغيرها.

وتشير الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية الصادرة نهاية عام ٢٠٠٠ إلى أن تعداد السكان في المدينة ارتفع بنسبة ٢٪ من إجمالي السكان البالغ ٦٤٦,٣ ألف نسمة، بينهم ٤٣٦,٧ ألف يهودي بنسبة ٦٧,٦٪، في حين بلغ عدد السكان العرب ٢٠٩,٥ آلاف عربي بنسبة ٣٢,٤٪. وقد تبين في إحصائية أخرى من نفس السنة أن نسبة السكان من اليهود تتراجع تدريجيّاً بينما نسبة العرب في ازدياد مطرد، ويرجع ذلك إلى نسبة الولادات الأعلى عند العرب وإلى هجرة البعض من اليهود إلى مدن وبلادن أخري. كذلك أفادت نفس الدراسة أن حوالي ٩٪ من جمهرة البلدة القديمة البالغة ٣٢,٤٨٨ نسمة كانوا يهوداً. بلغت نسبة الكثافة السكانية بالمدينة في نهاية عام ٢٠٠٥ حوالي

٥,٧٥٠,٤ نسمة في الكيلومتر المربع (١٤,٨٩٣,٥ نسمة/ ميل مربع).

وفي نهاية سنة ٢٠٠٦ أظهرت إحصائية أعدتها مؤسسة إسرائيلية للدراسات حول مدينة القدس إن عدد سكان القدس بلغ ٧٣٣ ألف شخص بينهم ٤٨١ ألف يهودي و٢٥٢ ألف فلسطيني يعيشون خصوصاً في الأحياء الشرقية من المدينة. وفي شهر ديسمبر من سنة ٢٠٠٧، وصل عدد سكان القدس إلى ٧٤٧,٦٠٠ نسمة، ٦٤٪ منهم يهود و٣٢٪ مسلمون، و٢٪ مسيحيون.

ويخوض الفلسطينيون والإسرائيليون حرباً ديمغرافية في القدس، حيث يسعى كل طرف إلى زيادة عدد السكان المنتمين إلى عرقيته ليضمن هيمنته على المدينة، وتعمل الحكومة الإسرائيلية- كما تقول الدكتورة سارة هيرشكوبيتس رئيسة قسم التخطيط الاستراتيجي في بلدية القدس- على ألا تتعدى نسبة العرب بالمدينة ٢٨٪.

وتحاول الحكومة الإسرائيلية زيادة عدد اليهود في المدينة بطرق عدة، منها على سبيل المثال العمل على إحلال اليهود محل العرب الذي هدّمت منازلهم بحجة البناء دون تصريح. وتشير إحصائيات بيت الشرق لعام ١٩٩٩ في هذا الصدد إلى هدم أكثر من ألفي منزل منذ عام ١٩٦٧، مما خلق ظروفاً صعبة للفلسطينيين حيث يسكن معظمهم في منازل مكتظة.

ومن الوسائل الأخرى التي تتخذها إسرائيل لإجبار المقدسيين على الهجرة من القدس، عدم منحهم تصاريح بناء إلا فيما ندر، وتسهيل بناء المنازل لليهود المهاجرين. وفي سنة ٢٠٠٥، قدم المدنية ٢٨٥٠ مهاجرا يهوديا جديدا من الولايات المتحدة وفرنسا ومن بعض دول الاتحاد السوفيتي السابق، وبنهاية السنة ذاتها تبين أن ١٦٠٠٠ من السكان غادر المدينة، إلا أن جمهرة المدينة مازالت في ازدياد بفضل ارتفاع نسبة الإنجاب بين الأهالي العرب واليهود الحريدية. يصل معدل الخصوب الكلي في القدس إلى ٤,٠٢، وهو أعلي من ذاك الخاص بتل أبيب (١,٩٨) والمعدل الوطني، الذي يصل إلى ٢,٩٠.

وبلغت الزيادة الصافية للسكان في سنة ٢٠٠٠، بعد حساب الولادات والوفيات والمهاجرين من وإلي المدينة، ١٢٦٠٠ نسمة، كان نصيب اليهود منها ٢٩٠٠ نسمة، في حين بلغت الزيادة العربية ٩٧٠٠ وبهذا كانت نسبة نمو السكان اليهود في القدس هي ٧,٠٪ بينما كانت عند السكان العرب ٤,٧٪. وفي سنة ٢٠٠٥ ازداد عدد السكان بحوالي ١٣٠٠٠ نسمة، أي قرابة ١,٨٪، وهي نسبة مشابهة لنسبة معدل النمو السكاني في إسرائيل في ذلك العام، إلا أن ما يميزها هو التباين في التركيبة السكانية والعرقية، فقرابة ٣١٪ من الجمهرة اليهودية تألفت من أولاد دون سن الخامسة عشرة، بالمقابل فإن هذه النسبة وصلت لحوالي ٤٢٪ عند السكان العرب.

ويتوافق ذلك مع الدراسات التي أظهرت تراجع عدد اليهود في القدس خلال العقود الأربعة الماضية، واتجاه معظمهم إلى المدن الساحلية والضواحي. عادت نسبة اليهود الحريدية في المدينة إلى الارتفاع بحلول عام ٢٠٠٩، حيث تبين في إحدى الاحصائيات أن ٥٩,٩٠٠ تلميذ من أصل ١٠٠، ١٥٠، أو ٤٠٪ منهم، يطلبون العلم في المدارس الرسمية العلمانية والدينية على حد سواء، وبينما ٩٠,٢٠٠ تلميذ أو ٦٠٪ من المجموع الأصلي، يتلقون دراستهم في مدارس حريدية خاصة(١).

الفتح الإسلامي الأول للقدس والفتح الأخير آخر الزمان:

كانت القدس مدينة مهمة من المقاطعة البيزنطية في السنوات السابقة للفتح الإسلامي، وفي ٦١٤هـ غزا الساسينيون تحت قيادة شهرباز المدينة أثناء الحرب الساسانية البيزنطية، وقام الفرس بنهب المدينة، ويقال إنهم ذبحوا ٩٠٠٠٠ ممن يتبعون المسيحية.

وكان يعتقد أن اليهود، الذين تعرضوا للاضطهاد في الحكم الروماني الذي يسير عليهم قاموا بمساعدة الفرس وكان الصليب الحقيقي أسر واقتيد

(١) المصدر السابق.

إلى المدائن وتم استرجاعه فيما بعد من قبل الإمبراطور هرقل بعد أن انتصر ضد الفرس.

توفي الرسول محمد ﷺ عام ٦٣٢م وخلفه الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه، الذي أرجع السيادة على الجزيرة العربية بعد سلسلة من الحملات المعروفة باسم حروب الردة. وبدأ الفتح الإسلامي في الشرق من خلال غزو العراق، مقاطعة من الأمبراطورية الفارسية الساسانية. وعلى الجبهة الغربية، غزت جيوشه الأمبراطورية البيزنطية.

في ٦٣٤م توفي أبوبكر الصديق رضي الله عنه وخلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٦٣٦م، أطلق الامبراطور هرقل رحلة كبيرة لاستعادة الأراضي المفقودة، لكن هزم جيشه بشكل حاسم في معركة اليرموك في ١٥هـ/ أغسطس ٦٣٦م.

وبعد ذلك، عقد أبوعبيدة قائد المسلمين في سوريا مجلس الحرب في أوائل أكتوبر ٦٣٦م لمناقشة الخطط المستقبلية والأهداف المتنوعة بين مدينتي قيسارية الساحلية والقدس. رأي أبوعبيدة أهمية هذه المدن على حد سواء، والتي قاومت كل محاولات المسلمين في الفتح، فكتب أنه غير قادر على اتخاذ قرار بشأن هذه المسألة إلى الخليفة عمر للحصول على التعليمات وفي رده، أمر الخليفة لهم لفتح الأخير. وسار أبوعبيدة من الجابية نحو القدس، ووصل القادة والمسلمون من جميع أنحاء القدس والحامية البيزنطية انسحبت إلى المدينة المحصنة.

وقد تم تحصين القدس جيدا بعد ما استعادها هرقل من الفرس وبعد هزيمة البيزنطيين في اليرموك، أصلح بطريرك القدس صفرونيوس دفاعاتها، وكان المسلمون لم يحاصروا المدينة.

ومع ذلك، منذ ١٣ هـ كانت هناك قوات عربية يمكن أن تهدد كل الطرق المؤدية إلى المدينة. على الرغم من أنها لم تكن محاصرة بعد معركة اليرموك

كانت في حالة حصار من المسلمين الذين استولوا على الحصون المجاورة بيلا وبصرى. وقد قطعت المدينة عن بقية سورية، وكانت مسألة أن يجري إعدادها للحصار على ما يبدو لا مفر منه. عندما وصل جيش المسلمين أريحا، جمع صفرونيوس الآثار المقدسة بما في ذلك الصليب الحقيقي، وأرسلها سرا إلى الساحل لأخذها للقسطنطينية.

بدأت القوات المسلمة الحصار خلال شوال ١٥هـ، وبدلا من الاعتداء المتواصلة على المدينة قرروا المضي قدما في الحصار لإنهاك البيزنطيين بنقص الإمدادات حتى يمكن التفاوض على الاستسلام غير الدموي.

وعلي الرغم من عدم تسجيل تفاصيل الحصار، يبدو أنه لم يكن دمويّاً والحامية البيزنطية لم تتوقع أي مساعدة من نظام هرقل المتواضع وبعد حصار دام أربعة أشهر، عرض صفرونيوس استسلام المدينة ودفع الجزية، بشرط أن الخليفة يحضر إلى القدس للتوقيع على اتفاق وقبول الاستسلام. يقال إنه عندها أصبحت شروط صفرونيوس معروفة لدي المسلمين.

في ربيع الأول من السنة ١٦هـ، وصل عمر إلى فلسطين وذهب أولا إلى الجابية، حيث استقبله أبوعبيدة وخالد بن الوليد رضي الله عنهما الذي كان قد سافر مع مرافقه لاستقباله. وترك عمرو قائدا لجيش المسلمين للحصار.

ولدي وصول عمر إلى القدس، تمت صياغة العهدة العمرية. واستسلمت المدينة وأعطيت ضمانات الحرية المدنية والدينية للمسيحيين في مقابل الجزية. وقد وقع عليه الخليفة عمر نيابة عن المسلمين، وشهدها خالد، وعمرو، وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، في أواخر نيسان/ ابريل ٦٣٧، استسلمت القدس رسميًا إلى المسلمين.

وسمح عمر لليهود العيش في القدس. وكانت المرة الأولى، بعد ما يقرب من ٥٠٠ عام من الحكم القمعي من الرومان. وسمح لليهود بالدخول وحرية

العبادة في المدينة المقدسة، وذكر أنه في وقت صلاة الظهر، دعا صفرونيوس عمر أن يصلي في كنيسة القيامة، لكن الخليفة عمر رفض خوفا من أن الموافقة على الصلاة فيها مخاطرة لحالة الكنيسة كمعبد مسيحي، وبأن المسلمين قد يكسروا المعاهدة ويحولوا المعبد إلى مسجد في المستقبل، وبعد البقاء لمدة عشرة أيام في القدس عاد الفاروق إلى المدينة المنورة.

■ ■ ■

الفتح الإسلامي للقدس آخر الزمان

جاء في سورة الإسراء حيث قال الله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً (٣) وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ (الإسراء: ١- ٨).

فالله عز وجل يخبرنا أن اليهود سيسيطرون على الأرض مرتين، الأولى قد شارفت على الانتهاء على يد المسلمين والثانية تكون على يد المسيح الدجال بعد زوال سيطرتهم على يد المهدي وأعوانه، وسورة الإسراء تسمى أيضاً بسورة بني إسرائيل، وقد بدأت بالحديث عن إسراء النبي ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، ثم أشارت إلى البركة التي جعلها الله في المسجد الأقصى وما حوله، ثم انتقلت مباشرة انتقالاً تاريخيّاً من الرسالة الإسلامية إلى رسالة موسي نبي بني إسرائيل وإلى التوراة وما كلف الله بني إسرائيل فيها، وأخبرتنا عن إفسادين كبيرين مقترنين بالعلو الكبير يقعان على أيدي اليهود، وأطلعتنا على وضع اليهود في كل منهما، وحددت ملامح الرجال العباد الربانيين، الذين يزيلون الإفسادين اليهوديين، كان تركيزها على الإفساد الثاني اليهودي أكبر.

قال أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أن البركة تشمل بلاد الشام بأكملها وقال زهير بن محمد التميمي: (إن الله تبارك وتعالى، بارك ما بين العريش والفرات وفلسطين، وخص فلسطين بالتقديس)[1].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة بمجموعها أن أرض الشام هي مقر الطائفة المنصورة المجاهدة. قال رسول الله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك ألا إن عقر دار المؤمنين الشام والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)[2]. وعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ، قالت: (يا نبي الله افتنا في بيت المقدس). فقال: (أرض المحشر والمنشر). وقال كذلك: (الشام أرض المحشر والمنشر)[3].

والبركة هنا هي بركة عامة وشاملة.

وقد ربطت سورة الإسراء ربطاً دقيقاً بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فمن بعض حكم هذا الربط:

■ إن المسجد الأقصى وما حوله شهد وجود رسالات سابقة، منها اليهودية والنصرانية، كان أصحابها هم الخلفاء على الناس، والأمناء على الدين والإيمان، والوارثين للأرض المباركة والمسجد الحرام شهد بداية الرسالة الجديدة الخاتمة، وولادة الأمة الإسلامية أمة الخلافة والوراثة والأمانة.

وكذلك تحذير المسلمين من المؤامرات المعادية ضد المسجدين، ومن أطماع الأعداء الكافرين في المسجدين، وأن الخطر الذي يتهدد المسجد الأقصى، هو الخطر الذي يتهدد المسجد الحرام. فلما أخذ الصليبيون الأقصى وما حوله، واستقروا فيه، توجهت أنظارهم وبرامجهم ومطامعهم نحو

(١) تاريخ ابن عساكر والحديث موقوف على الصحابي.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.

(٣) صححه الألباني.

المسجد النبوي في المدينة المنورة، والمسجد الحرام في مكة المكرمة، فقام (أرناط- ملك الكرك الصليبي- بعدة محاولات لاحتلال بلاد الحجاز، كادت تنجح لولا أن الله هيأ لهذه الأمة نور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي).

وقد اختلف أهل التفسير في وقوع الإفسادتين وهل كانتا قبل الإسلام أم بعده، وأن الإفساد حدث أكثر من مرة قديماً في عصور مختلفة، وما هذا الإفساد الأول في زمن بختنصر وبعد عصر الملك النبي سليمان عليه السلام وإننا نعيش عصر العلو الكبير، وقيل إن الإفساد الثاني حين قتلوا نبي الله زكريا وابنه يحيي عليهما السلام ثم جاء القائد طيطس فدمر دولتهم عام ٧٠م.

فبعد موت الملك سليمان عليه السلام انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين لليهود، مملكة في الشمال وأخرى في الجنوب، دمر الأشوريون مملكة الشمال عام ٧٢٢ قبل الميلاد وأبادوا عشرة أسباط من أسباط اليهود الاثنى عشر وقام البابليون بقيادة نبوخذ نصر (بختنصر) ملك بابل بتدمير المملكة الجنوبية يهوذا عام ٥٨٦ق.م وأخذ الكثير منهم أسرى إلى بابل، وهم الذين عادوا لأرض فلسطين بعد ذلك في عهد الفرس.

والآيات في سورة الإسراء تتكلم عن العباد أولي البأس الشديد الذين جاسوا خلال الديار وهم الفئة المؤمنة التي كتب الله النصر ودخول القدس وهم الجيش الإسلامي آخر الزمان.

وهناك من العلماء المعاصرين من قال: إنما وقعت مرة واحدة من المرتين، عندما هاجر النبي ﷺ وعاهد بني إسرائيل في المدينة، ثم غدروا به وعادوه وحاربوه، فكانت هذه هي مرة الإفساد الأولى، وقد عاقبهم الله عليها بتسليط عباد له أولي بأس شديد عليهم، وقام الرسول ﷺ والصحابة معه، فحاربوهم وانتصروا عليهم، ثم المرة الثانية هي في العصر الحديث حين أخرجوهم منها بغير حق، وفرض وجودهم العدواني بالقتل والتدمير ولم يبق إلى قيام أهل الإسلام بقتالهم وطردهم من أرض فلسطين بعد أن قاموا بفتح القدس في

زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا القول مردود عليه فإن قبائل بني قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قطعوا في الأرض أُمماً، وأن الرسول ﷺ والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل كما أشارت الآية الكريمة إذ لم تكن لهم ديار، وإنما هي ديار العرب في أرض العرب.

وأن الله تعالى قال عن المرة الآخرة: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر، ولم يتبروا ما علو تتبيرا بل دخلوه أول مرة بالسلم ولم يكن في القدس يهود أصلا فالمرة الأولى إذاً هي ما يجري اليوم على أيدي اليهود ولم يكن اليهود وقتها في أرض فلسطين ولا القدس وإنما كان النصارى هم أهل تلك الديار.

الأحاديث الصحيحة المتواترة تثبت أن اليهود سيكون لهم إفساد في آخر الزمان عندما يظهر مسيحهم الدجال فيطوف في الأرض كلها إلا المدينة ومكة، ويتبعه خلق كثير حتى ينزل المسيح عيسي ابن مريم على المنارة البيضاء شرق دمشق فيلحق بالدجال فيقتله وعندها يقول الحجر والشجر يا مسلم ورائي يهودي تعال فاقتله. وتكون هذه نهاية اليهود من على ظهر الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وأبناء إسرائيل هم الأسباط الاثنا عشر، ويقول علماء الأجناس إن ٩٠٪ من يهود العالم هم الأمم التي تهودت ولا يرجعون في أصولهم إلى بني إسرائيل. أي إن بني إسرائيل الذين هم من نسل يعقوب عليه السلام لا يتجاوزون ١٠٪ من اليهود الحاليين.

ولكنهم أصروا على تسمية الدولة الأخيرة (إسرائيل) فأصبحت البنوة هي بنوة انتماء للدولة. فلا شك أنهم اليوم أبناء إسرائيل.

وقال تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾ اللام تفيد أن الكلام هو إخبار بالمستقبل.

وقال أيضاً: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا...﴾.

«إذا» ظرف لما يُستَقبَل من الزمان، أي أن المجيء يأتي بعد نزول آيات الإسراء المكية، وبالتالي فإن عباد الله الربانيين سيكونون أيضاً بعدها.

وقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾.

توحي أن مجيء هؤلاء الربانيين لم يكن متوقعاً أي يحدث في حالة اطمئنان اليهود لقوتهم وقدراتهم فيأتي عباد الله ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ ليخرجوهم من أرض فلسطين، وهذه الجملة لا تنطبق إلا على المسلمين لأن الله سماهم ﴿عِبَادًا﴾ وأضافهم إليهم ﴿لَّنَا﴾، فكلمة «عباد» لا تنطبق على الكافرين السابقين الذين نسب لهم المؤرخون إزالة الإفسادين مثل بختنصر وغيره.

وهناك فرق بين كلمتي عباد وعبيد لأنه لا ترادف في كلمات القرآن، فكلمة «عبيد» ذكرت في القرآن الكريم خمس مرات في الكلام عن الكفار ومعظمها بصيغة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أن الله يحاسب الكفار بعدله. أما كلمة «عباد» فهي مذكورة خمساً وتسعين مرة منها أكثر من تسعين مرة عن المؤمنين. إن الألف في هذه الكلمة توحي بالعزة والكرامة وهي من صفات وأخلاق المسلمين حيث إنهم أولي البأس الشديد وهم جيش المهدي.

وهذا الفتح الإسلامي الأخير للقدس آخر الزمان قد اختلف العلماء حول زمانه ومن يقوم به، وهل هو قبل خروج المهدي أم يكون في زمانه وبقيادته وما دور السفياني تلك الشخصية المختلف عليها أيضاً والذي قبل إنه الذي سيحرر القدس قبل خروج المهدي.

قال تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾ الإسراء، فالجوس هو كناية عن القوة والبطش بالذهاب والإياب، ودليل على القوة في العزيمة القتالية للجيش الفاتح.

وقد جعل الله لوعد الآخرة ونهاية اليهود ودولتهم آخر الزمان بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ الإسراء، وهي نهاية مدة الإفساد الثانية، وقد حدث ما أشارت به الآية حيث جاء اليهود من كل أقطار العالم إلى أرض فلسطين ليكونوا دولة أسموها «إسرائيل».

ولكن المتفق عليه أن طرد اليهود من أرض فلسطين ونهاية دولتهم الصهيونية «إسرائيل» وتحرير المسجد الأقصى من سيطرتهم واحتلالهم سيكون قبل خروج مسيحهم الدجال وبعد خروج المهدي المنتظر.

وسيظهر الدجال- وهو يهودي- في آخر الزمان من خلة بين الشام والعراق فيتجه لإيران فيخرج له من أصفهان وحدها سبعون ألف يهودي. ويجري الله على يديه الكثير من الأمور الخارقة ليزيد من فتنته، فيجتمع وراء خلقٌ عظيمٌ عامته من اليهود والنساء والأعراب.

أما العرب يومئذ فهم قليل سبب أنهم خارجين من ملاحم وحروب شديدة مع الروم، وإمامهم هو محمد بن عبدالله من ذرية الحسن بن على بن أبي طالب وهو ما يعرف بالمهدي ثم ينزل عيسي ابن مريم فيصلي خلف المهدي ثم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدعو للإسلام أو الحرب، ثم إنه يقتل الدجال عند باب اللد الشرقي، فيهزم الله اليهود.

وسيقضي المسلمون على كل يهودي تحقيقا لقول الرسول ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم) (رواه مسلم في صحيحه).

هكذا يكون مشهد النهاية لليهود الصهاينة على أرض فلسطين حيث الحجر والشجر يقول يا مسلم! يا عبدالله! وهذا ما تقرره الآية في سورة الإسراء: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.

أي يدمرون، ويهلكون، ويفتتون كل ما يسيطرون عليه، إهلاكاً، وتدميراً،

وتفتيتاً، وذلك يوحي بأن المقاومة ستكون شديدة تؤدي إلى رد فعل أشد. و«ما» تدل على العموم وهي بمعنى «كل» والضمير في «علو» يرجع إلى جيش المسلمين وقتها.

وخروج المهدي آخر الزمان هو تمكين من الله عز وجل لهذه الأمة الإسلامية بعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كما جاء في الأحاديث النبوية:

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريّاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)، ثم سكت[١].

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم تكون خلافة ورحمة، ثم تكون ملكاً ورحمة، ثم تكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان)[٢].

والحديث يدل على استقلالية الأقطار الإسلامية بعضها عن بعض، غير أنه لا يحدد عدد الخلفاء الراشدين المنتظرين، فإن كلمة خلافة لا تعني خليفة واحداً، بل تعني المرحلة المتصفة بذلك، بدليل أن الخلافة الراشدة الأولى كانت من أربعة خلفاء، والملك العاض والجبري كانا بمن لا حصر لهم.

والظاهر من النصوص أنه إذا كان المهدي هو الخليفة الذي يصلي المسيح خلفه فإن هناك خلافة تسبق ذلك، وتنزل الأرض المقدسة، وتكون عاصمتها القدس، ثم يظهر المهدي والعالم العربي مهيأ الآن لذلك والله أعلم.

(١) رواه أحمد والبزار والطيالسي والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي ورجاله ثقات.

(٢) تكادم الحمير أي عضها، والحديث أخرجه الطبراني في معجمه الكبير.

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام.. الحديث) (أخرجه أبوداود).

نص الحديث على وجود اختلاف بعد موت خليفة، فدل على وجود خلافة قبله، ويكون في نهايتها خصام ونزاع، ثم يأتي هو في أعقابها، فيملأ الدنيا عدلاً، كما فعل عمر بن عبدالعزيز إن صحت بيعته، فسمي خامس الراشدين.

عن عبدالله بن حوالة الأزدي قال: وضع رسول الله يده على رأسي- أو قال على هامتي- ثم قال: (يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس، من يدي هذه إلى رأسك) (أخرجه أبوداود).

والحديث يشير إلى أن الخلافة عاصمتها القدس، وقاعدتها أرض فلسطين لأن الأرض المقدسة هي فلسطين.

يقول المهندس عدنان الرفاعي عن نهاية دولة إسرائيل في القرآن:

إن الحديث عن الغيبيات يحمل مجازفة بحقيقة إدراكنا للمقدمات التي ننطلق منها للحديث عن تلك الغيبيات، وبمصداقيتها.. وفي الوقت نفسه يحمل- هذا الحديث- إدراكاً عميقاً لفهم تلك المقدمات إذا ما تم تحقق هذه الغيبيات وفق الصورة التي نتوقعها.

وإذا ما كانت بين أيدينا مقدمات ثابتة حول مسألة ما، فيصبح التنبؤ بالغيبيات المتعلقة بتلك المقدمات متعلقاً بإدراك هذه المقدمات، وأكبر احتمالاً للتحقق، وبالتالي تصبح إمكانية تحقق هذه الغيبيات أبعد ما تكون عن التخمين، وأقرب ما تكون إلى الواقع.

وفي حديثنا عن نهاية الكيان الإسرائيلي، لا نرى مقدمات أوثق من القرآن الكريم للانطلاق نحو تصور نهاية الصراع مع هذا الكيان.

وتقع على فهمنا وإدراكنا لدلالات النصوص القرآنية مسؤولية المجازفة بإطلاق أي نتيجة غيبية فما يربط النتيجة الغيبية التي نصل إليها مع المقدمات المطلقة اليقين (النصوص القرآنية)، هو إدراكنا لدلالات ومعاني هذه النصوص، وبالتالي فالمجازفة واحتمال الخطأ ينحصران في ساحة إدراكنا لما تحمله هذه النصوص من دلالات.

في البداية نقول.. إن المرحلة التي تمر بها الأمة ومنذ أكثر من نصف قرن هي مرحلة مؤرخة قرآنيّاً، حيث صورها القرآن الكريم عبر موقعين في سورة الإسراء:

■ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ (الإسراء: ٧).

■ ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٤).

إن العبارة القرآنية ﴿وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ في هاتين الصورتين القرآنيتين تتعلق بالحياة الدنيا قبل قيام الساعة، وتتعلق بفترة زمنية واحدة.. فقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ هو مقدمة للنتيجة التي تصورها الصورة القرآنية ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.. وإن قول معظم المفسرين بأن وعد الآخرة بالنسبة لدخول المسجد قد تم سابقاً (قبل الإسلام حينما قتل اليهود يحيى عليه السلام)، وأن وعد الآخرة بالنسبة للمجيء لفيفا هو بعد قيام الساعة، هما قولان يتعارضان مع حقيقة الدلالات التي تحملها هاتان الصورتان القرآنيتان، ومع حقيقة ما يحمله القرآن الكريم بشكل عام.

والنص القرآن الذي سننطلق منه في دراستنا للتنبؤ بنهاية هذا الكيان، هو النص القرآني التالي، والوحيد في القرآن الكريم الذي يصور

نهاية هذا الكيان.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ (الإسراء: ٤-٨).

هذا هو النص الوحيد في القرآن الكريم الذي يصور إفسادة بني إسرائيل التي نعيش أحداثها الآن، بالإضافة للآية (١٠٤) من سورة الإسراء ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ كما أسلفنا، ولذلك ستنحصر مقدمات تنبئنا في هذا النص القرآن بالذات.

إن محتويات الأحكام والأخبار التي يحملها هذا النص، قد أعلمها الله تعالى لبني إسرائيل في كتابهم كما تؤكد بداية هذا النص ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ ولذلك فالخطاب الذي يصوره الله تعالى لنا في هذا النص، هو خطاب وجهه لبني إسرائيل في كتابهم، وأعلمهم حتى بالنتيجة التي سيؤولون إليها نتيجة إفسادهم وتدنيسهم للمقدسات.

والصورة القرآنية ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ تبين لنا أن إفساد بني إسرائيل في هاتين المرتين سينتشر في الأرض كافة وبالتالي لن ينجوَ أمة من تبعات هذا الفساد.

وإذا ما نظرنا الآن لكل ما يجري على الأرض من فساد ومن انحطاط في القيم ومن فتن ومآس وحروب وأزمات اقتصادية، لرأينا أن لهذا الكيان يداً في كل ذلك.

وهذا الفساد الذي يلقون بذوره في الأرض ويرعونه، هو وسيلتهم

الوحيدة للعلو في هذه الأرض، وهذا ما تحمله الصورة القرآنية: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾، فهؤلاء لا يعلون إلا على أرض الفساد، وفي مناخ الفتن والمآسي وانحطاط القيم والأخلاق.. وقد بين القرآن الكريم صفتهم هذه في أكثر من موقع عبر تصوير سيرتهم مع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وعبر وصفهم المجرد عن هذه السيرة.

ويتابع النص القرآني الحديث عن إفسادتهم الأولى التي قاموا بها قبل نزول النص القرآني، وكيف أن الله تعالى بعث عليهم عباداً أولى بأس شديد.. ومن المعلوم والثابت تاريخيّاً أن هؤلاء العباد الذين وضعوا حداً لإفساد بني إسرائيل في المرة الأولي هم بقيادة نبوخذ نصر سنة (٥٨٦) قبل الميلاد.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾ وكعادة اليهود في تزييف الحقائق فقد استطاعوا أن يقنعوا الكثيرين من أن نبوخذ نصر وجيشه كانوا وثنيين من عبدة الأصنام، مع أن القرآن الكريم يبين لنا أن الذين بعثهم الله تعالى لوضع حد لإفساد بني إسرائيل في المرة الأولى هم عباد الله تعالى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا﴾، فهل يعقل أن الله تعالى يصف الوثنيين وعبدة الأصنام بأنهم عباد له سبحانه وتعالى؟.

لما لا يكون نبوخذ نصر وجيشه من أتباع رسالة يونس عليه السلام، وخصوصاً أن يونس عليه السلام أرسل للمنطقة التي خرج منها نبوخذ نصر بجيشه بفترة ليست كبيرة نسبيّاً؟.. وخصوصاً أن القرآن الكريم يبين لنا أن قوم يونس قد آمنوا، وأنهم القرية الوحيدة التي نفعها إيمانها في كشف العذاب ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس: ٩٨). إن الأولى بنا أن نصدق الله تعالى ونكذب التاريخ الذي أرخه اليهود ليخدم إفسادهم.

ويتابع القرآن الكريم تصوير ما قضاه لبني إسرائيل في كتابهم: ﴿ثُمَّ

رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾.

إننا نرى أن هذه الصورة القرآنية تبدأ بالعبارة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل الله تعالى (فرددنا لكم الكرة عليهم).. فكلمة (ثم) كما نعلم تفيد التراخي في الزمن إذا ما قورنت بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب.. وهكذا بعد تدميرهم نتيجة إفسادتهم الأولى وبعد زمن طويل أصبحوا من أصحاب الأموال والبنين، لامتحانهم عبر إفسادتهم الثانية التي نعيشها منذ أكثر من نصف قرن.. ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ الإسراء.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن معظم التفاسير ذهبت إلى أن الإفسادة الثانية حصلت قبل الآن بل قبل نزول القرآن الكريم، حينما قتل يحيي عليه السلام على يد اليهود.. وهذا المذهب من التفسير يتعارض تماماً مع حيثيات دلائل هذه الصورة القرآنية بشكل خاص، ومع حيثيات دلائل القرآن الكريم بشكل عام.

الإفساد اليهودي الأخير:

إن ما يميز الإفسادة الثانية هو أنها مرتبطة بوعد الآخرة كما يبين القرآن الكريم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾، وفي هذا الوعد- كما رأينا- سيجيئون لفيفاً ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾، وهذا لم يحدث كما يحدث في إفسادتهم الحالية كما نرى بأم أعيننا.

وكلمة الآخرة في هذه الصورة القرآنية لا يمكن الجزم بأنها لا تعني إلا الإفسادة الثانية، فلو كانت كذلك لأتت على الشكل (فإن جاء وعد ثانيتيهما) مقارنة مع الصياغة القرآنية التي تصور الإفسادة الأولى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾.. هي تعني الإفسادة الثانية، ولكنها تعني أيضاً اقتراب الساعة، ودليلنا في ذلك- كما رأينا في النظرية الأولي المعجزة- أن كلمة الآخرة ترد في

كتاب الله تعالى (١١٥) مرة بورود مناظر تماماً لكلمة الدنيا المناظرة تماماً لكلمة الآخرة، فكلمة الدنيا ترد أيضاً (١١٥) مرة.. وهكذا فالعبارة القرآنية ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ تعني- من جملة ما تعنيه- فإذا اقترب قيام الساعة.

ودليل آخر على أن الإفسادة الثانية هي التي يشهدها هذا الجيل، هو أنه في الإفسادة الثانية سيتم دخول المسجد الأقصى دخولاً مماثلاً تماماً لدخول المرة الأولى ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقد رأينا في النظرية الأولى (المعجزة) أن هناك تناظراً تامّاً بين ركني هذه المسألة.

وليدخلوا المسجد = (١٤) حرفاً مرسوماً.

كما دخلوه أول مرة = (١٤) حرفاً مرسوماً.

وفي هذا التناظر التام - كما نري- دليلنا على أن ما حدث في الإفسادة الأولي من تدمير لبني إسرائيل سنة (٥٨٦) قبل الميلاد على يد جيش نبوخذنصر، ومن تدمير لهيكلهم المزعوم، سيحدث تماماً وبشكل مناظر له تماماً في الإفسادة الثانية، حيث سيتم تدمير هيكلهم المزعوم الذي يحاولون الآن بناءه مكان المسجد الأقصى تماماً.

وهذا التدمير للهيكل بهذه الحيثية لم يحدث لا زمن قتل يحيي عليه السلام على يد اليهود، كما تذهب معظم التفاسير، ولا زمن طردهم من المدينة المنورة زمن الرسول ﷺ.

ولقائل أن يقول كيف نسمي هيكلهم المزعوم الذي سيدمر كما دمر أول مرة، بالمسجد ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في الوقت الذي يريدون فيه بناء هيكلهم مكان المسجد الأقصى، وبالتالي إزالة بناء المسجد الأقصى.. أي كيف يكون المسجد مسجداً بعد إزالته وبناء هيكلهم المزعوم مكانه؟

نقول إن كلمة المسجد لا تعني البناء ولكن تعني الأرض المقدسة التي يتم عليها إنشاء هذا البناء، فمهما كان البناء فوق هذه الأرض المقدسة التي بارك

الله تعالى حولها، لا يغير ذلك من تسمية هذه البقعة المقدسة بالمسجد الأقصى.. ودليلنا أن الله تعالى سمى هذه البقعة المباركة بالمسجد الأقصى حينما أسري برسول الله ﷺ إلى هذه البقعة قبل فتح القدس بفترة ليست قليلة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

ودليل آخر أن البيت الحرام رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السالم قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧).

فإسماعيل عليه السلام الذي شارك أباه في رفع القواعد من البيت كان رجلاً يحمل الحجارة.. وفي الوقت ذاته نرى أن إبراهيم عليه السلام سمى هذا المكان بالبيت الحرام حين وضع ابنه إسماعيل عليه السلام وهو طفل عنده، أي أنه سماه بالبيت الحرام قبل رفع قواعد بنائه قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

والقرآن الكريم يؤكد هذه المسألة في مكان آخر.. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦).

فمكان البيت الحرام اسمه البيت الحرام ليس قبل رفع قواعد بنائه من قبل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فحسب، وإنما منذ آدم عليه السلام.

إذاً سيقوم الفاتحون- إن شاء الله تعالى- بدخول المسجد الأقصى فاتحين مدمرين ما يدنسه اليهود في هذا المسجد، دخولاً مناظراً للدخول الأول، ودليلنا كما قلنا هو التناظر التام بين ركني الصورة القرآنية المصورة لهذا الدخول.

وليدخلوا المسجد = (١٤) حرفاً مرسوماً.

كما دخلوه أول مرة = (١٤) حرفاً مرسوماً.

والآية الأخيرة من النص الذي ننطلق منه في التنبؤ بنهاية هذا الكيان، تؤكد هذا التدمير، وأنهم سيدمرون من جديد فيما لو عادوا في هذا الأرض المقدسة بشكل خاص وفي الأرض بشكل عام.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ الإسراء.

ولو عدنا إلى النص القرآني الذي يصور إفسادهم ونهايتهم (من الآية ٤-٨ في سورة الإسراء) فسنرى أنه مكون من (٧٥) كلمة.. وقد بينا في النظرية الأولى (المعجزة) أن مجموع كلمات النص القرآني الذي يصف مسألة ما، يرتبط ارتباطاً تامّاً بجوهر المسألة التي يصفها هذا النص.. فهل يشير مجموع كلمات هذا النص (العدد ٧٥) إلى مجموع سني لبث هؤلاء المفسدين في الأرض المقدسة؟؟

وداخل هذا النص نري صورتين قرآنيتين تلقي كل منهما الضوء على إفسادة من هاتين الإفسادتين، ونرى أنهما متناظرتان تماماً، فكل منهما مكونة من (٧٥) حرفاً مرسوماً، وقد رأينا كيف أن هذا العدد (٧٥) هو ذاته العدد الذي يشير إلى مجموع كلمات النص الذي انطلقنا منه في تنبئنا.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً﴾ = ٧٥ حرفاً مرسوماً.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ = ٧٥ حرفاً مرسوماً.

إذاً الصورة القرآنية المصورة للإفسادة الأولى تكون من (٧٥) حرفاً، والصورة القرآنية المصورة للإفسادة الثانية تتكون (٧٥) حرفاً، والنص القرآني الذي يصف هذه المسألة بآياته الخمس يتكون أيضاً من (٧٥) كلمة.

لقد بينا في النظرية الأولى (المعجزة) عبر الكثير من الأمثلة، أن مجموع حروف النص القرآني في الكثير من النصوص القرآنية يشير إلى مجموع سنين، وأكبر دليل على ذلك أن سورة نوح عليه السلام تتكون من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً، وهذا ما يوافق تماماً المدة الزمنية التي لبثها نوح عليه السلام في قومه، كما يؤكد القرآن الكريم.. وبينا أيضاً أن مجموع كلمات النص يشير أحياناً إلى مجموع وحدات زمنية.

وإذا اعتبرنا أن العدد (٧٥) يشير إلى وحدات زمنية، وإذا اعتبرنا بداية الإفسادة الثانية سنة (١٩٤٨) ميلادية، فهل سيتم الفتح عام (٢٠٢٣) ميلادي؟!.

إننا نرى أن هذه النبوءة أقرب إلى اليقين ولا تحمل من المجازفة إلا احتمالين:

١- أن يكون العدد (٧٥) مشيراً إلى مسألة أخرى غير المسألة الزمنية.

٢- أن تكون بداية الإفسادة الثانية ليست سنة (١٩٤٨) ميلادية.

ولكن بدراسة التاريخ وبالاطلاع على ما يقوله قادة هذا الكيان ذاته، نرى أن احتمال ارتباط العدد (٧٥) بالجانب الزمني هو الأرجح، إن لم يكن هو الاحتمال الوحيد.

لقد ورد في مقالة للأستاذ بسام جرار، في مجلة إلى الأمام العدد ٢١٨٧ بتاريخ ١٩٩٣/٥/٢٧ ميلادي النص التالي: (جاء في كتاب الأصولية اليهودية في إسرائيل تزليف ايان لوستك ترجمة حسني زينة، إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩١م، بيروت ص ٩٥: وهذا بالضبط هو نوع السلام الذي تنبأ مناحيم بيجين به عندما أعلن في ذروة النجاح الإسرائيلي الظاهري في الحرب على لبنان، أن إسرائيل ستتعم بما نصت التوراة عليه من سنوات السلام الأربعين).

ولو أضفنا أربعين سنة إلى عام (١٩٨٢) الذي تم فيه اجتياح لبنان اعتداء عليه، لوصلنا إلى عام (٢٠٢٢) ميلادي، وهذا يسبق عام (٢٠٢٣) بعام واحد، فهل ما أراد بيجين قوله إنه بعد هذا العام سيتم وضع حد لإفساد بني إسرائيل، وبالتالي سيستمر وجودهم وإفسادهم في الأرض المقدسة (٧٥) سنة كما بينا؟!.

إن الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نجزم به هو قولنا، الله أعلم، وأن نهاية هذا الكيان لن تكون إلا بالقوة، وبدفع مستحقات النصر من الدماء، وهذه النبوءة- إن كان العدد (٧٥) يشير إلى وحدات زمنية وإن كانت بداية الإفساد سنة ١٩٤٨م- يجب أن تكون دافعاً لنيل شرف الشهادة في سبيل تحرير المقدسات، وأن تكون باعثاً للأمل في حتمية نهاية قوى الشر والفساد، وأن تكون نوراً يضيء أمامنا حقيقة هذا العدو الذي لا ينصاع لأي عهد أو ميثاق، ولا يلتزم حتى بما عاهد هو عليه.

﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠).

وهذه النبوءة لا يمكن أن تكون عامل اتكال وتقاعس عن الجهاد، بمقدار ما تكون حافزاً للشهادة وباعثاً للأمل فمن يؤمن بالقرآن وبأسراره الإعجازية يعشق الشهادة في سبيل تحرير المقدسات التي اختارها الله تعالى معياراً لإسلام أفراد هذه الأمة.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ...﴾ (البقرة: ١٤٣).

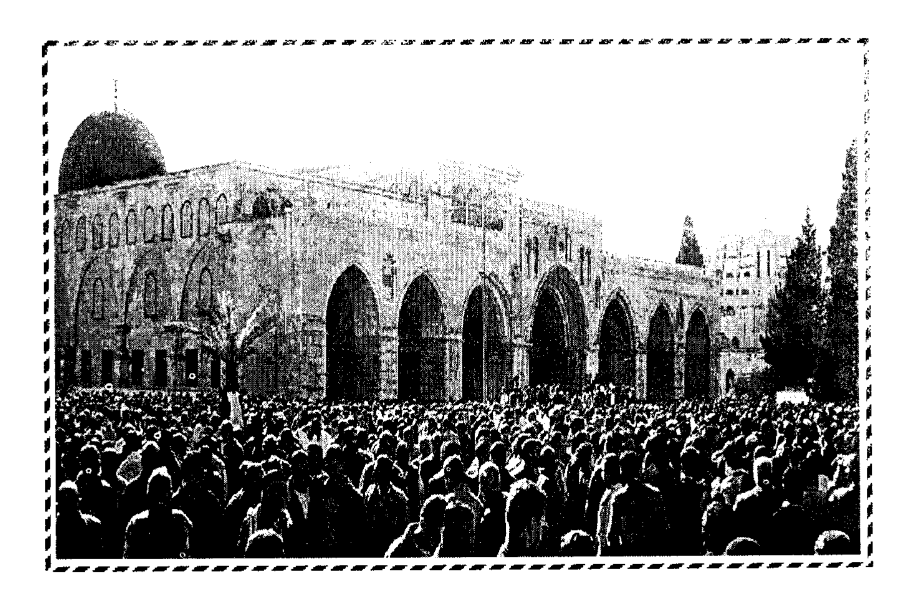
فبالنظر إلى هذا النص من المنظار المجرد عن التاريخ والزمان والمكان، وعلى أنه- كأي نص قرآني- صالح لكل زمان ومكان، وله حيثيات اتباع وتدبر في كل زمان ومكان، يتبين لنا أن القبلة الأولى (المسجد الأقصى) هي امتحان للمسلمين، ليشهد الله تعالى من يتبع الرسول وذلك بالدفاع عنه ممن ينقلب

على عقبيه وذلك بالتقاعس عن الجهاد في سبيل تحريره.

فالمسجد الأقصى كان معياراً لإسلام أفراد الجيل الأول حينما حولت القبلة منه إلى المسجد الحرام، وهو الآن معيار لإسلام أفراد هذا الجيل وذلك بالجهاد لتحريره وتطهيره وكامل الأرض المقدسة من دنس اليهود(١).

■ ■ ■

(١) المهندس: عدنان الرفاعي- انظر كتاب المعجزة.

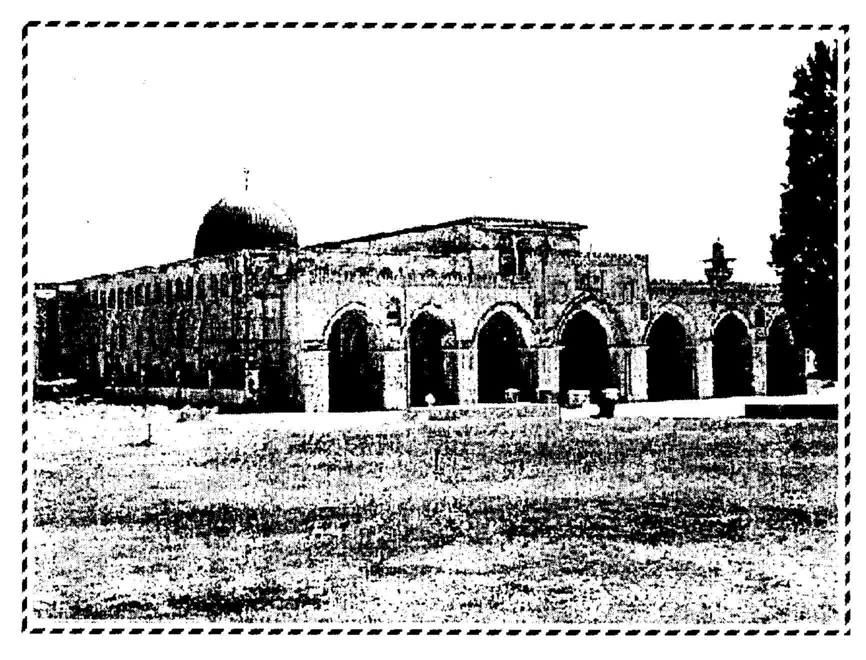


صورة للمسجد القبلي في ساحة المسجد الأقصى

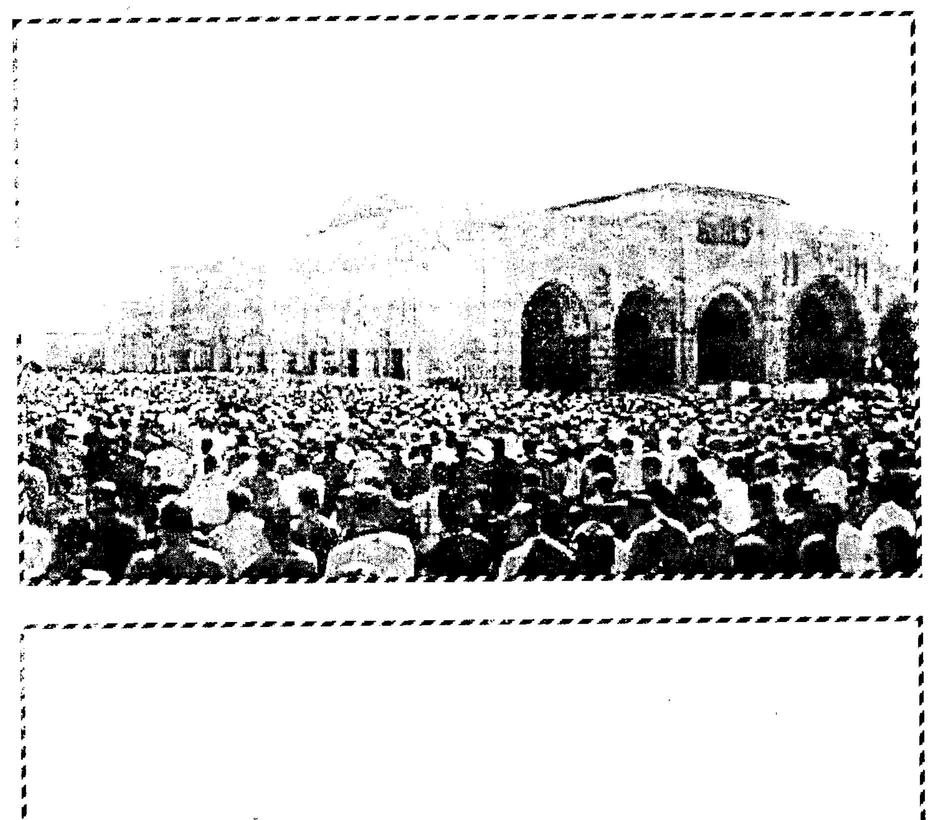
والذي يعرف بالمسجد الأقصى

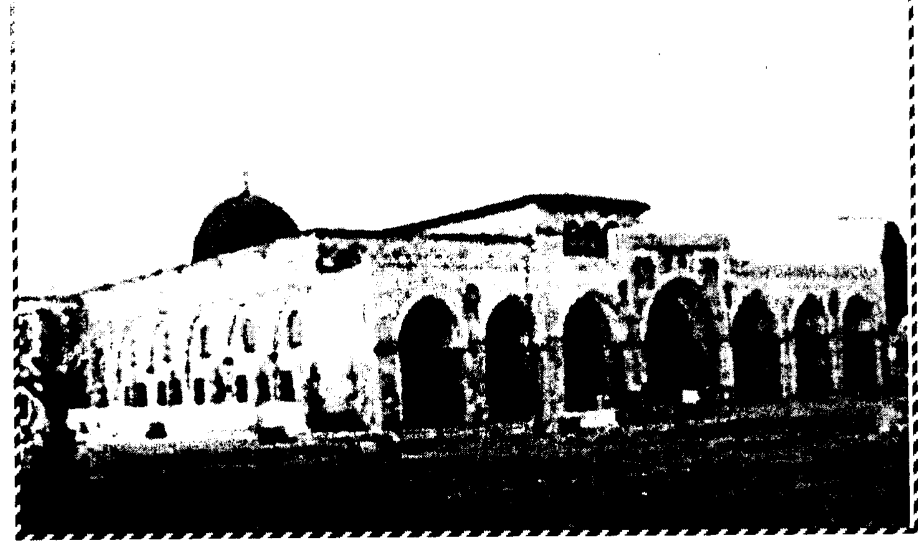


مصلي الأقصي القديم

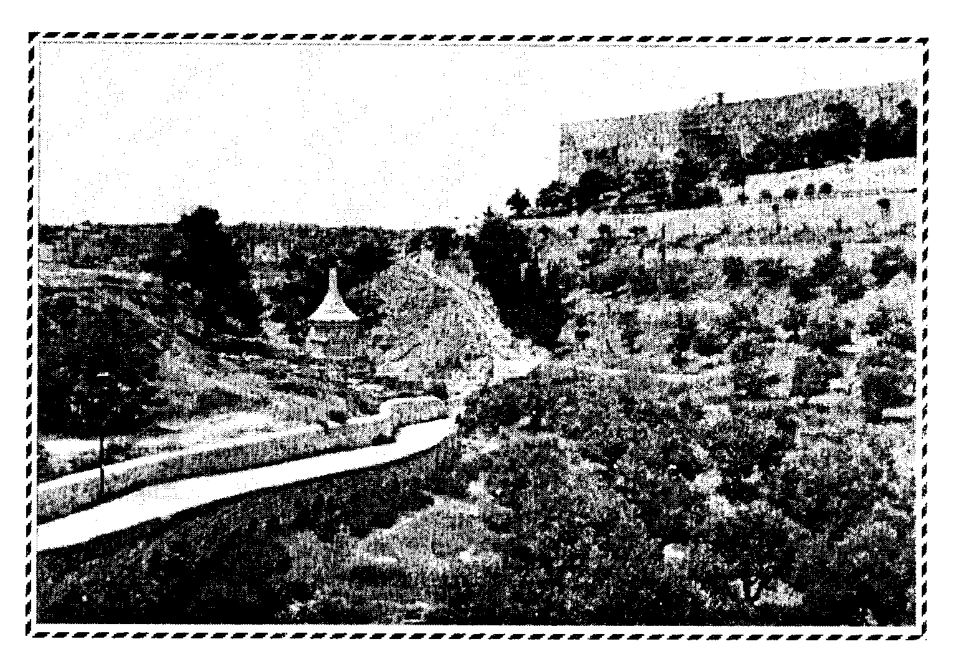


الجامع القبلي (بكسر القاف وتسكين الباء) هو الجامع المسقوف الذي تعلوه
قبة رصاصية، والواقع جنوبي المسجد الأقصي المبارك، جهة القبلة





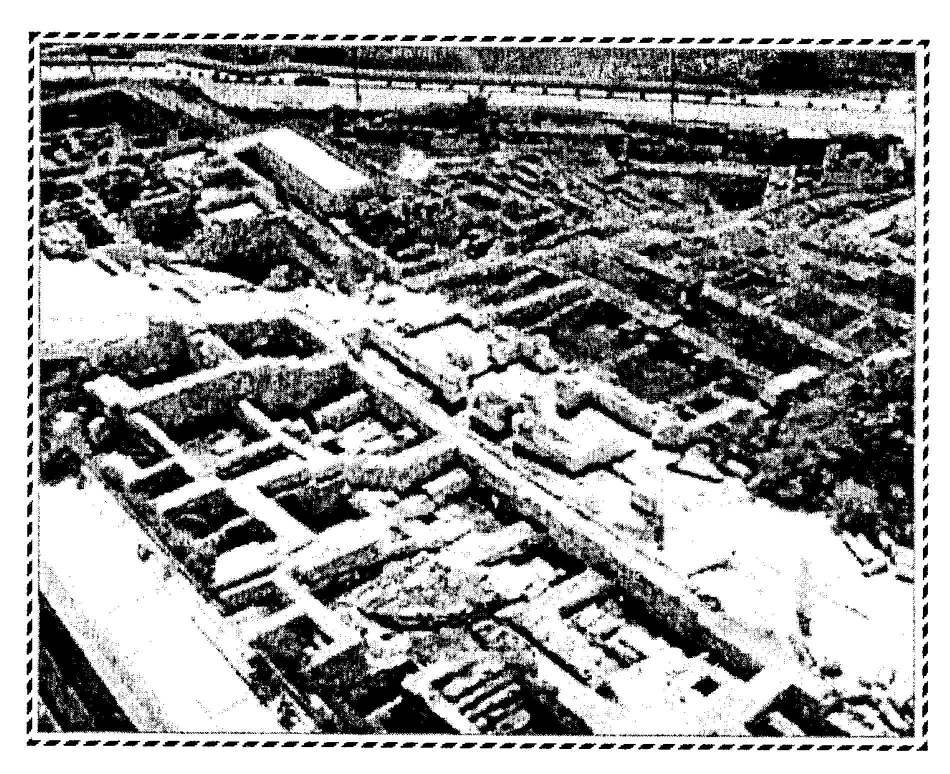
موقع ساعة المسجد الأقصى وموقعه الجغرافي من مدينة القدس وأهم المساجد والمعالم التاريخية في ساحة المسجد الأقصى



وادي قدرون: أو جيحون عين سلوان وادي جهنم أو وادي قدرون أو الوادي الشرق يبدأ هذا الوادي علي بعد ميل ونصف الميل إلى الشمال الغربي من المدينة ٣٥٠٠ متر (القدس)



قلعة داود: المعروف أيضاً باسم برج داود يسكنها اليوم متحف تاريخ القدس

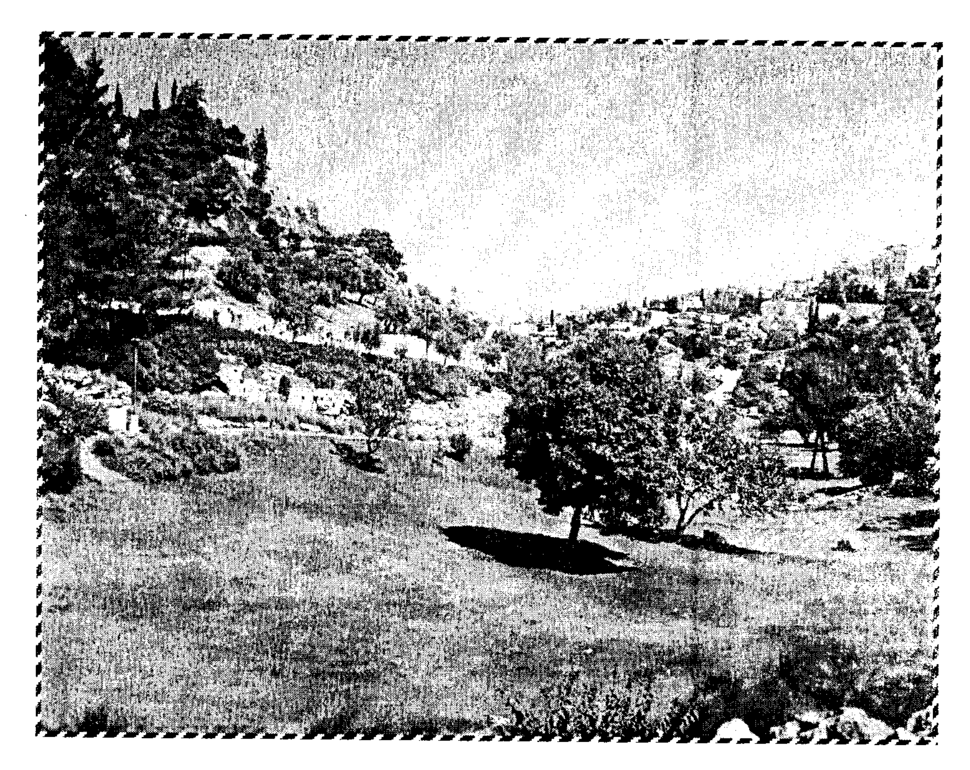


حديقة القصور الأموية الأثرية: تقع تحت الركن الجنوبي من المسجد الأقصى وتكشف عن ٢٥٠٠ سنة من تاريخ القدس، من خلال خمس وعشرين طبقة لآثار مبانٍ أقامها الحكام على مدى التاريخ



قبور السلاطين: هي مجموعة من الصخور المحفورة في الصخر كمقابر، وتقع في شرق القدس على بعد ٨٢٠ مترا إلى الشمال من جدران المدينة القديمة.

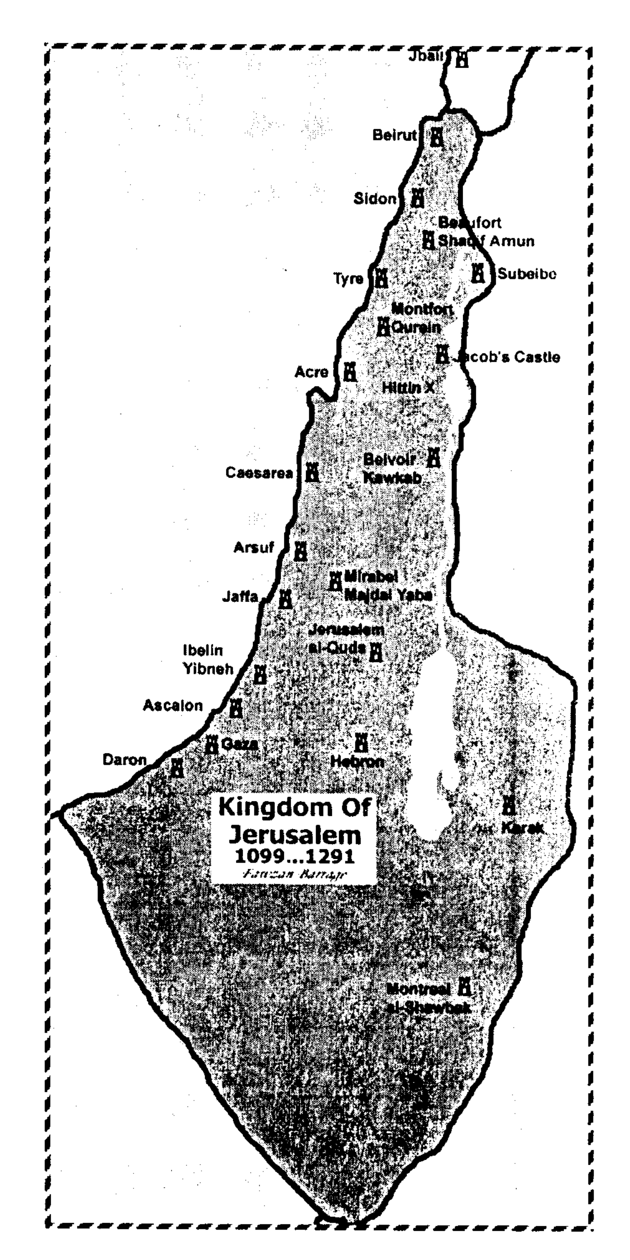
عظمة الموقع تتبع إلى الاعتقاد الخاطئ بأن القبور كانت في أحد الأيام مكان دفن لملوك يهوذا، ومن هنا جاءت تسميته «مقابر الملوك»



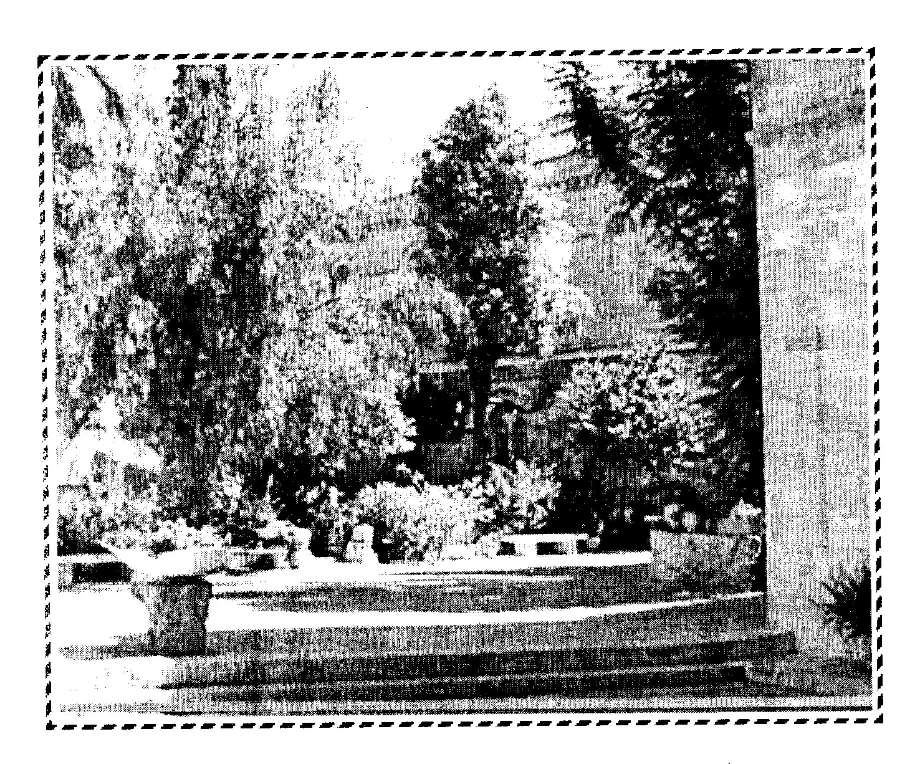
وادى الربابة الموجودة على جبل النبي داود بالقدس



شباب عرب فلسطين من حي البستان ببلدة سلوان جنوب المسجد الأقصي، اعترضوا علي إقامة مطعم (بؤرة استيطانية) وسط حي وادي الربابة في البلدة، واقتادتهم قوات الاحتلال لمركز «جبل المكبر» للتحقيق معهم، بتهمة إلقاء الحجارة



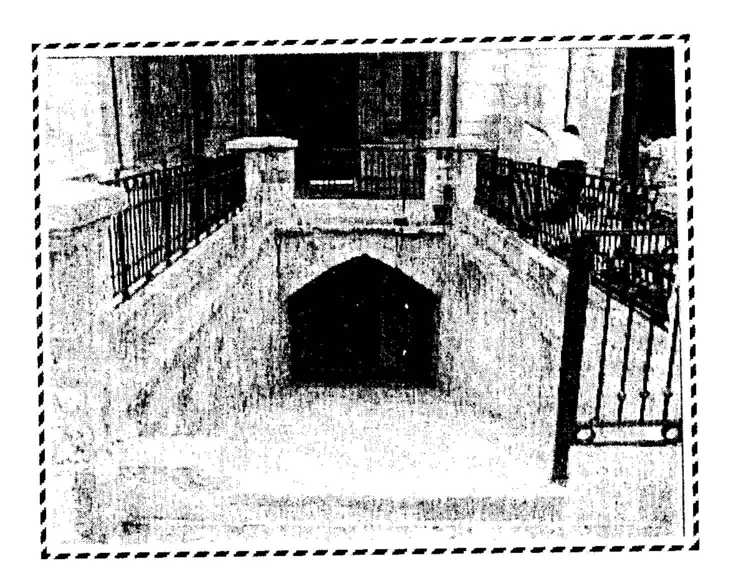
خريطة أورشاليم القدس في قاموس الكتاب المقدس



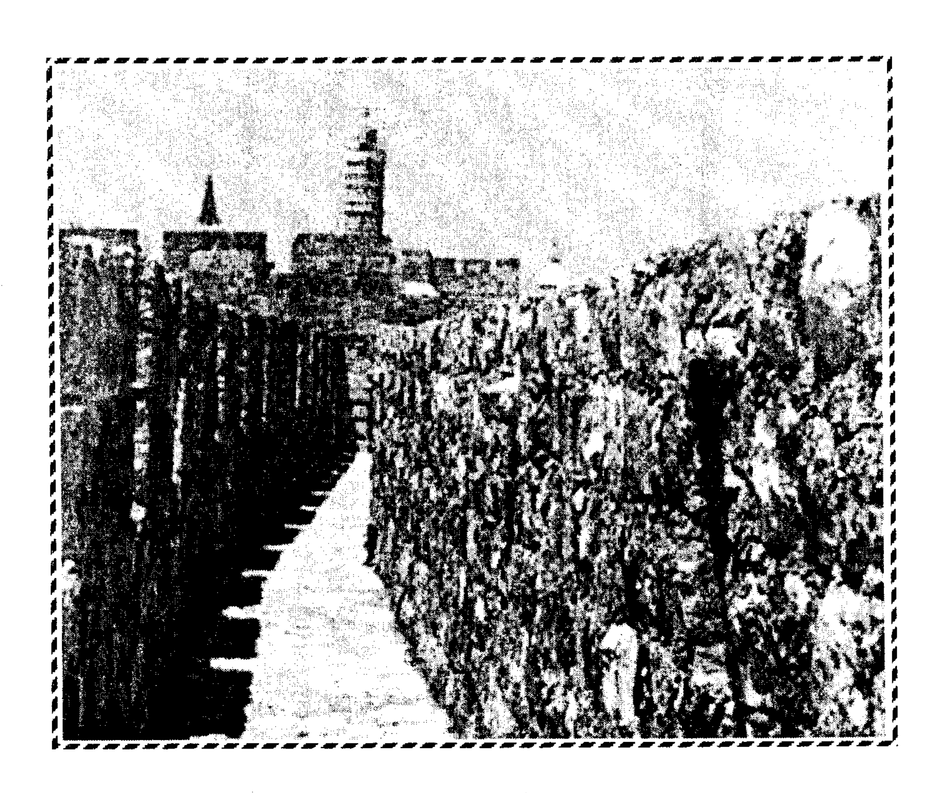
طبيعة المنازل في بيت المقدس ذات جمال مميز



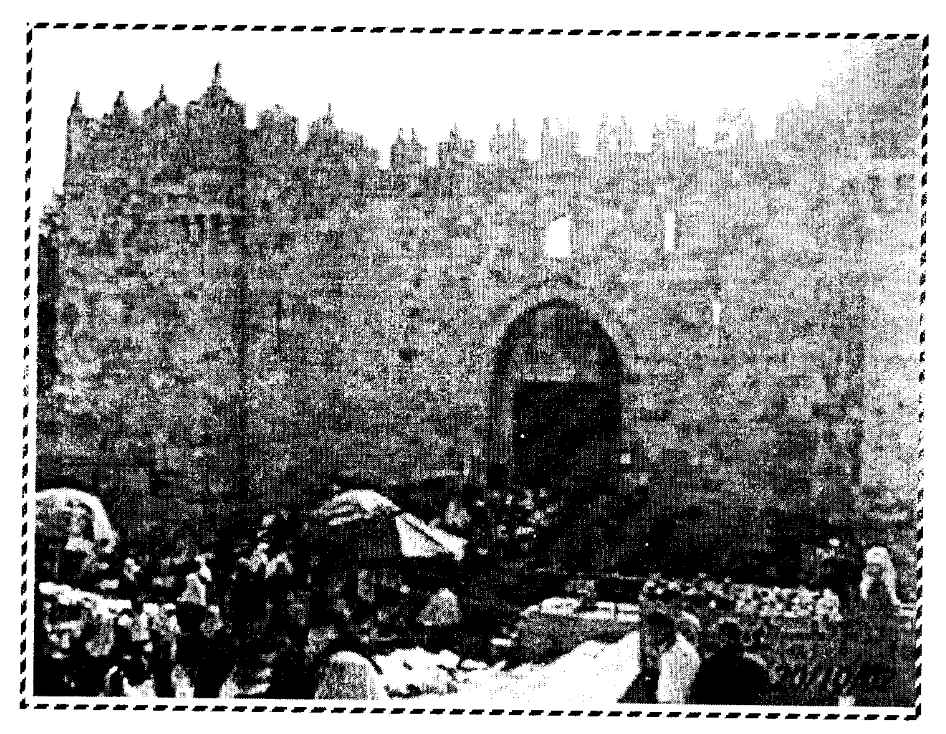
أسواق مدينة القدس



الدرج المؤدي إلى المصلى القديم للأقصى



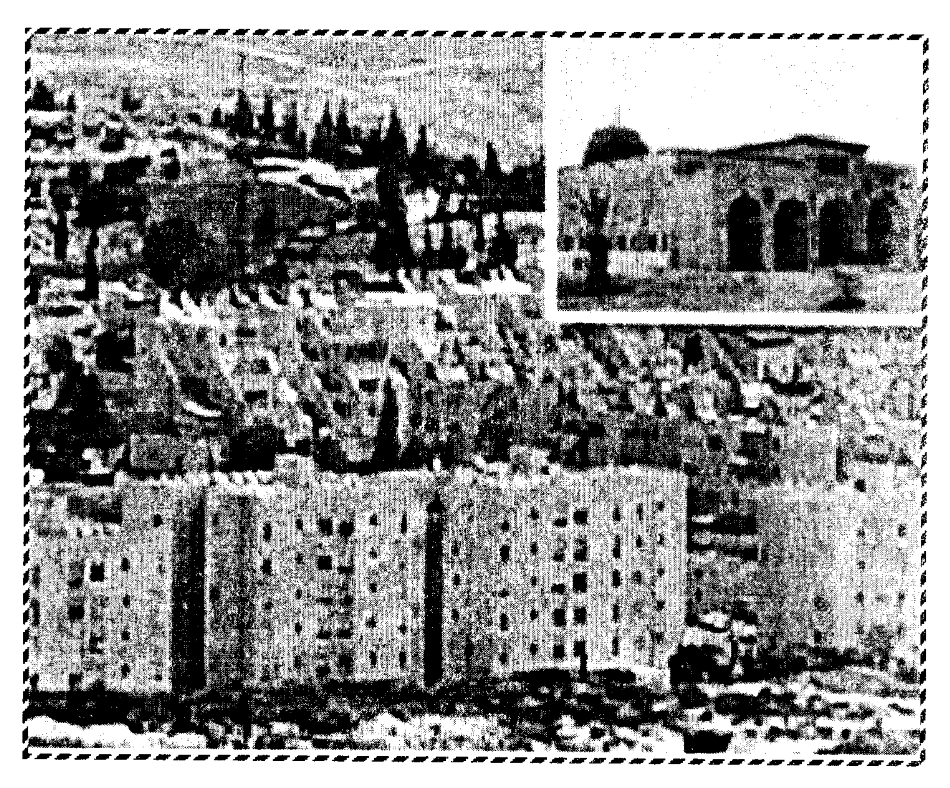
جانب من الأسوار العتيقة للقدس



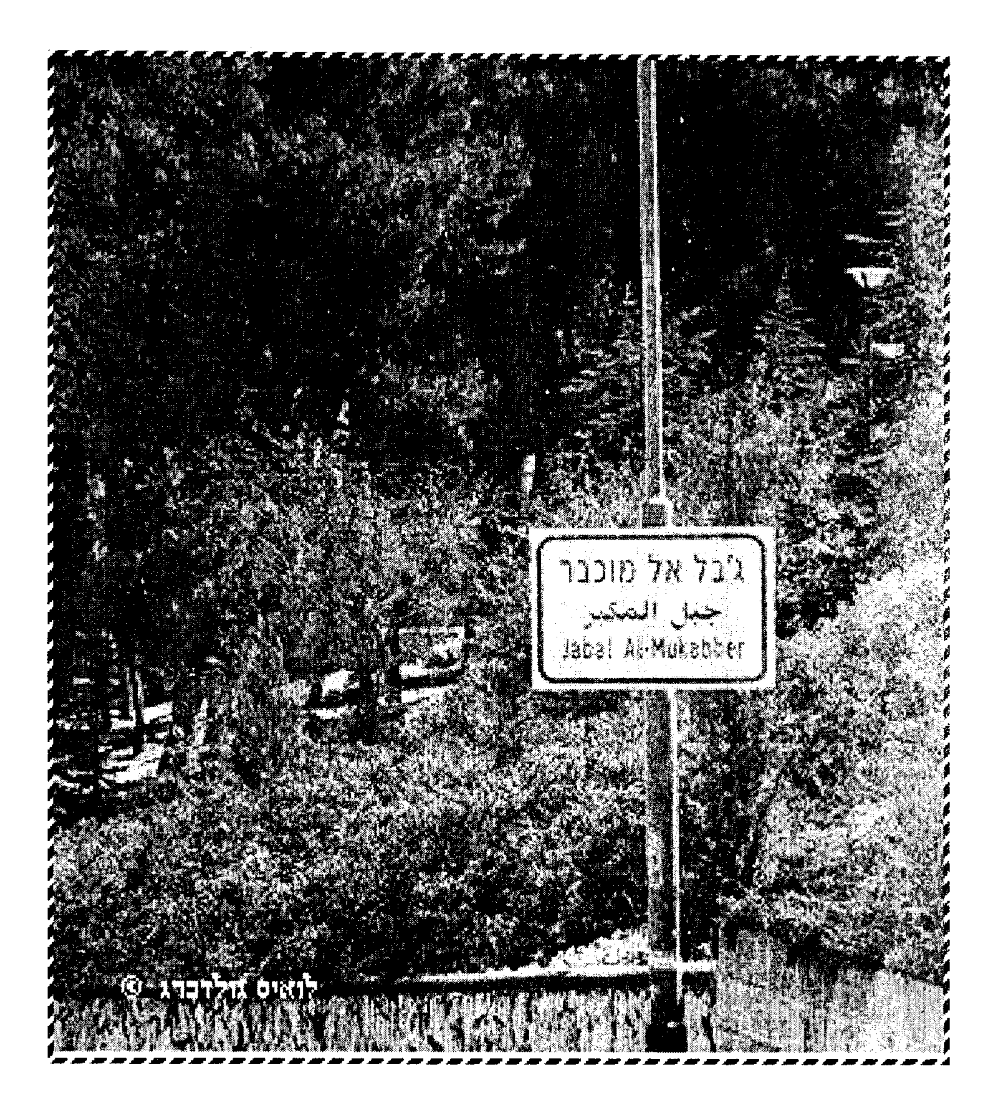
كنيسة القيامة بيت المقدس أهم المعالم التاريخية للمسيحيين



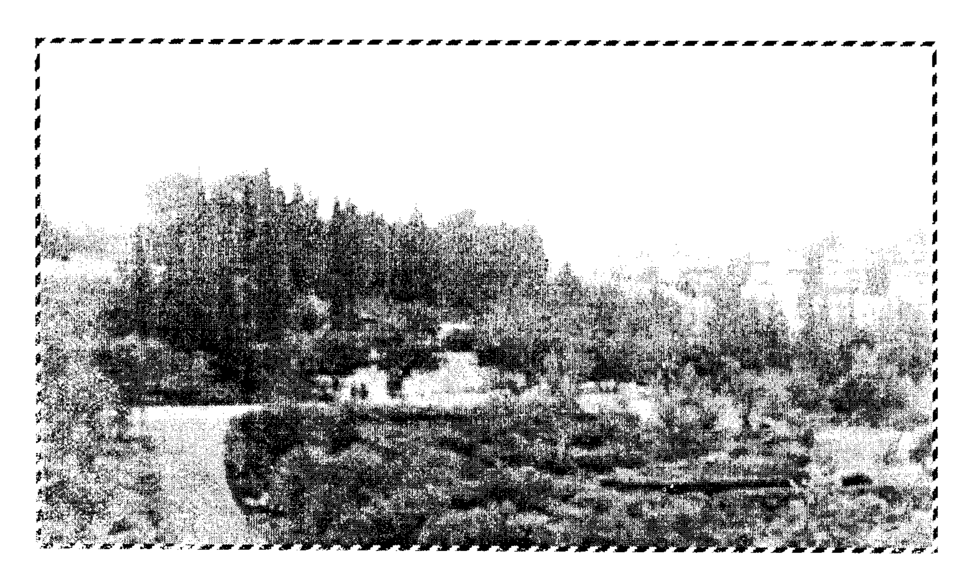
مدينة غزة الفلسطينية



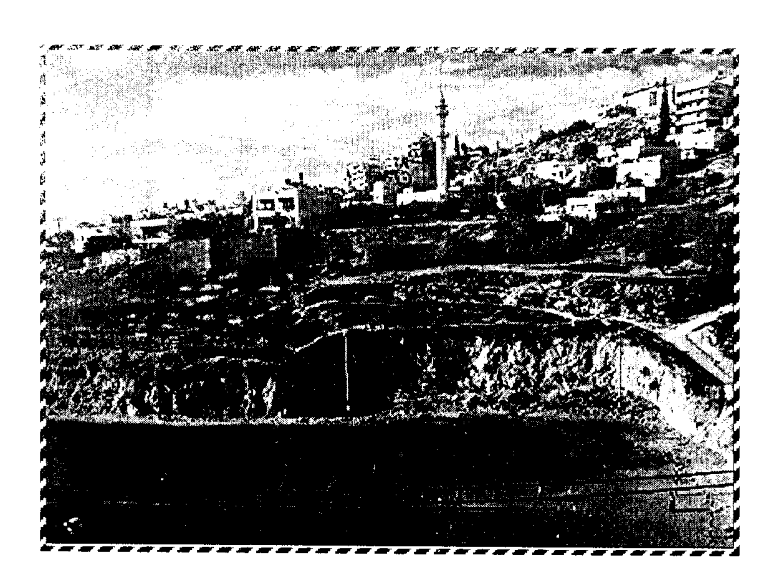
مخطط استيطاني جديد يستهدف منطقة جبل المكبر شرق مدينة القدس



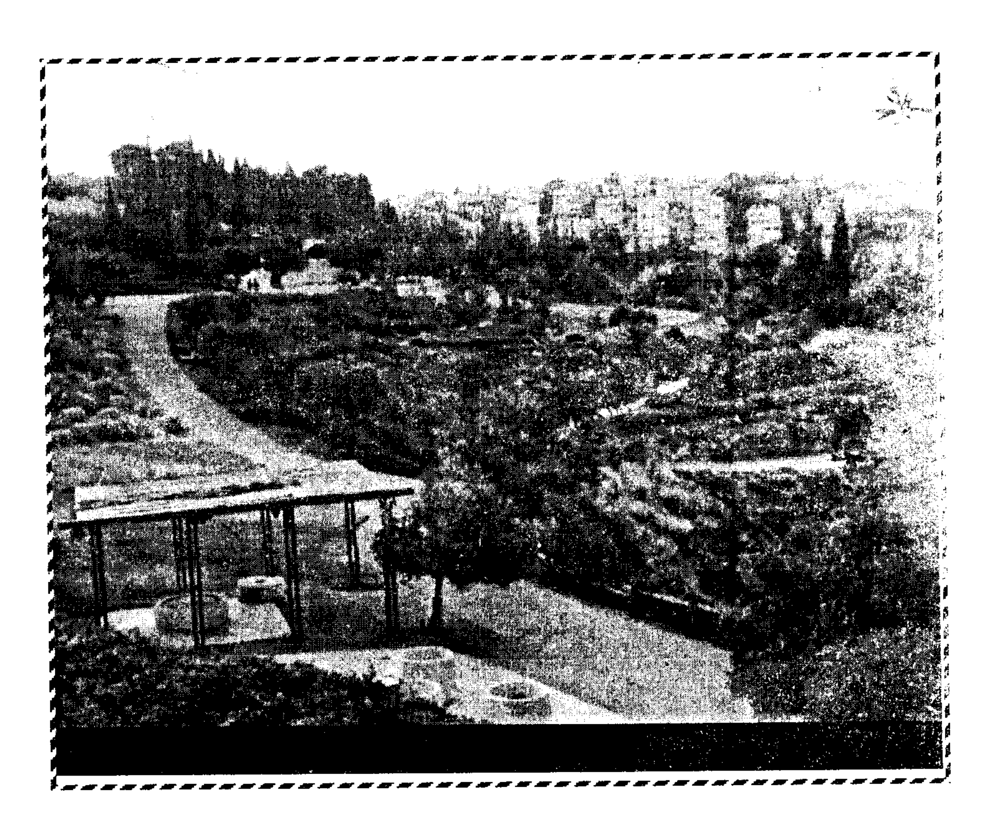
جبل المكبر قرية عربية تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة القدس وهي من أجمل قرى القدس الشريف، تبعد عن مدينة القدس أقل من ٥ كم



الأشجار في ضاحية جبل المكبر



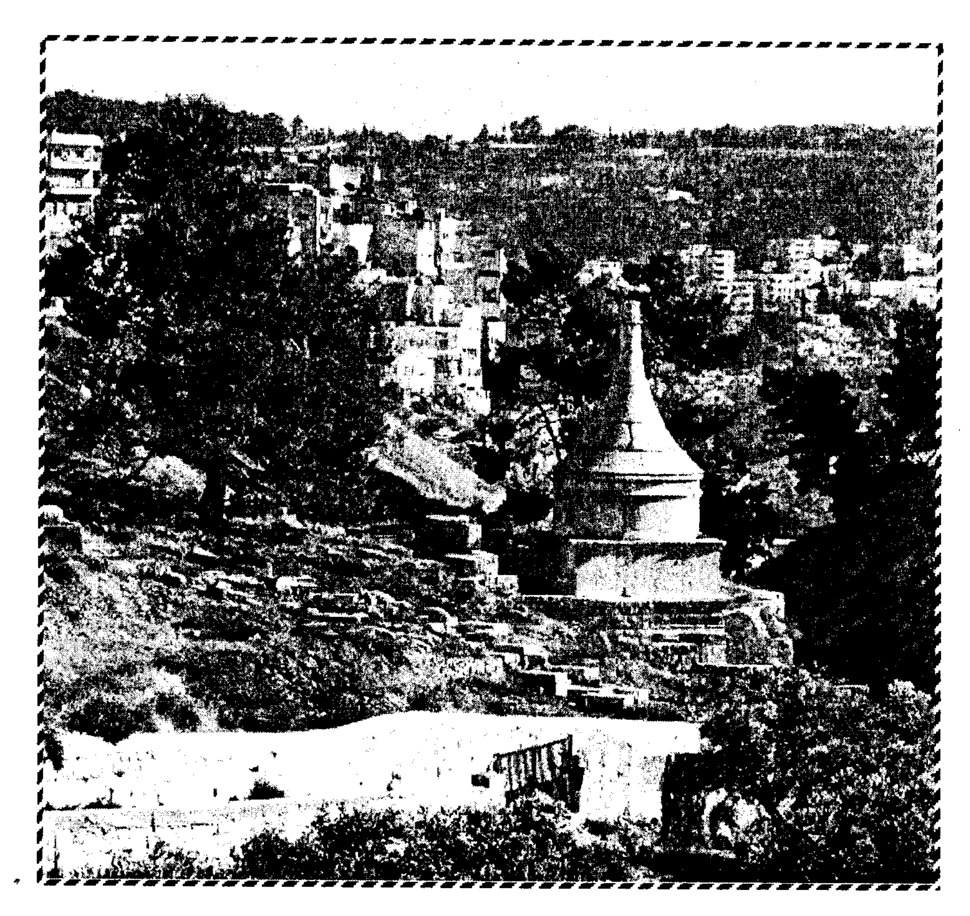
هذا المشهد لملعب كرة فلسطيني بضاحية جبل المكبر في القدس تم هدمه بواسطة سلطات الاحتلال اليهودي



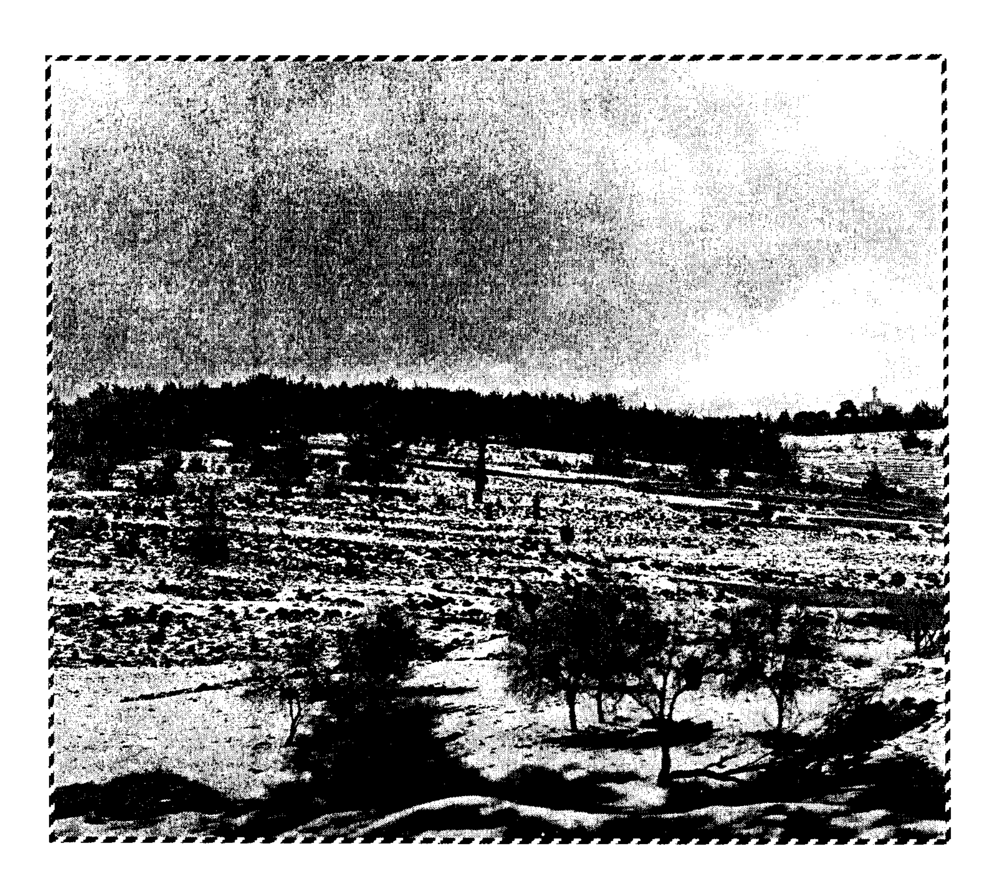
منظر لضاحية جبل المكبر أحد معالم القدس



جبل الزيتون أو طور الزيتون حيث طور بمعنى جبل، هو يقع في أراضي القدس الشرقية من معالم القدس



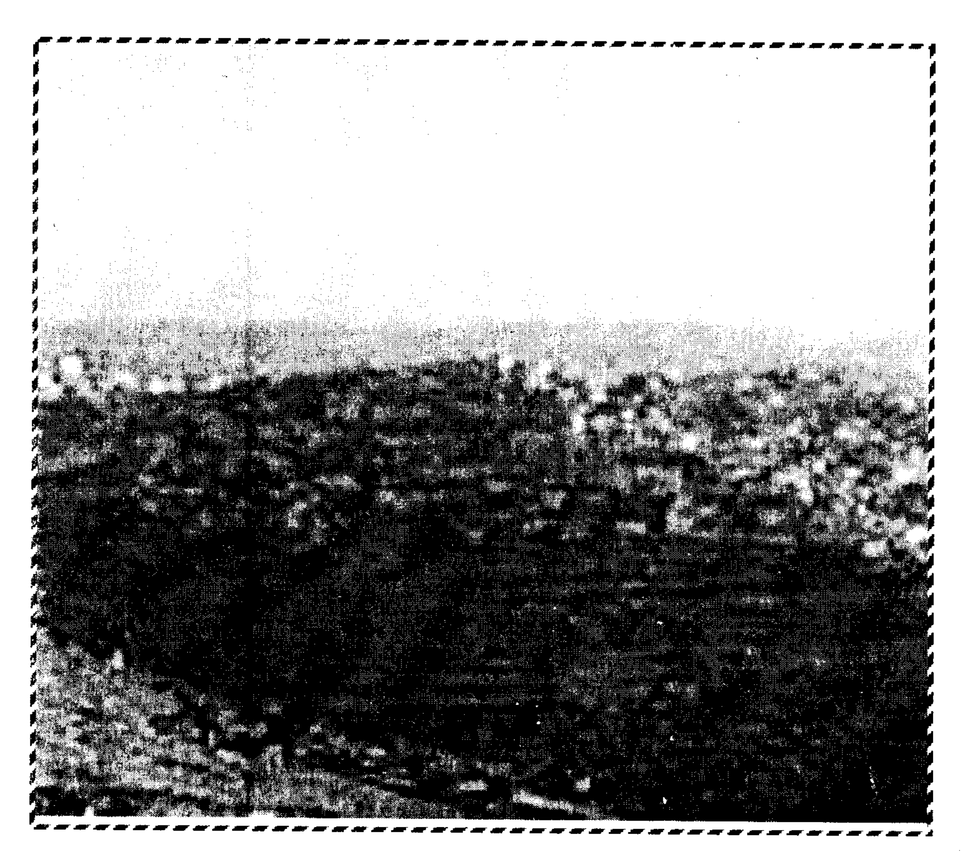
جبل المشارف يقع شمال غرب المدينة القدس



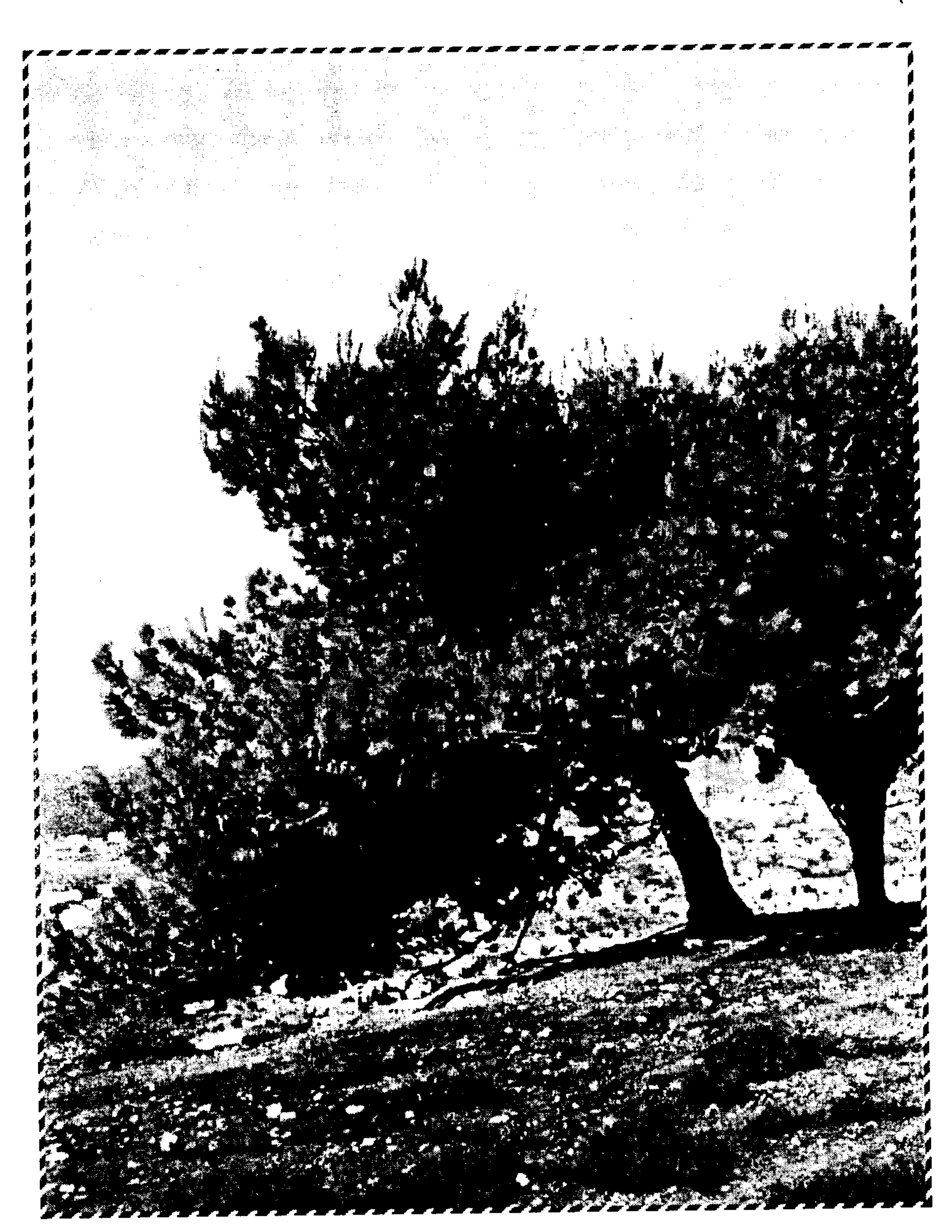
صورة للثلوج على جبل النبي صموئيل مأخوذة من سهل بدو



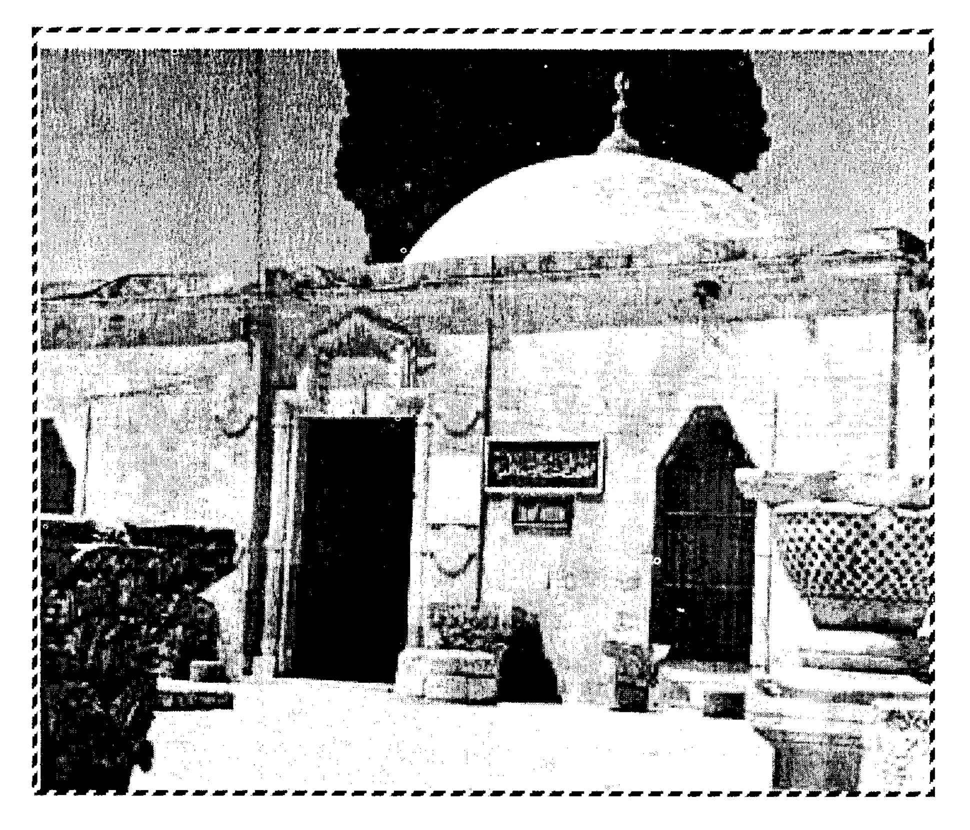
قرية النبي صموئيل تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس تبعد عنها ٨كم وهي مبنية على قمة جبل يرتفع (٨٨٥م) عن سطح البحر وهي بذلك من أعلى القمم القريبة من بيت المقدس ويصل إليها طريق داخلي يربطها بالطريق الرئيسي طوله ٣كم وتقوم هذه القرية على موقع بلدة مصفاة الذي تعني برج النواطير بالكنعانية تتبع إداريا لقضاء القدس ضمتها سلطات الاحتلال لقضاء رام الله



تل العاصور من معالم مدينة القدس



جانب من تل العاصور من معالم القدس



جامع المغاربة (المتحف الإسلامي)

بناء قديم جدا يقع في الرواق الغربي للمسجد الأقصي المبارك، إلى الجنوب من باب المغاربة، وله بابان: مغلق في جهته الشمالية، ومفتوح من جهته الشرقية المواجهة للجدار الغربي للجامع القبلي.

قيل إن صلاح الدين الأيوبي بناه سنة ٥٩٠هـ- ١١٩٣م، لصلاة المالكية. ويستعمل اليوم كقاعة عرض لأغراض المتحف الإسلامي ومقتنياته التي نقلت إليه من الرباط المنصوري، في سنة ١٣٤٨هـ- ١٩٢٩م. ويحتوي المتحف آثاراً كثيرة من العهود المختلفة للحكم الإسلامي لبيت المقدس، وبداخله ما تبقي من آثار منبر نور الدين زنكي بعد احتراقه علي يد اليهود سنة ١٩٦٩م.



كنيسة المهد - بيت لحم

4

السفياني وبلاد الشام

- ظهور السفياني في بلاد الشام وليس في العراق.
- الخسف بجزيرة العرب آخر الزمان هو الخسف بجيش السفياني.
- دولة السفياني تظهر قبل ظهور المهدي مباشرة.
- السفياني الأول والثاني والثالث.
- السفياني قائد ومحرك الثورات المضادة لثورات الربيع العربي.
- أهم معارك السفياني وتصورات العالم العربي عنها.

ذكر سفياني الخسف في بلاد الشام
عند علماء السنة والشيعة

السفياني الأخير من الشخصيات التي تظهر آخر الزمان مثل المهدي والدجال وبالطبع اسم السفياني ليس اسماً حقيقياً لتلك الشخصية وإنما هو لقب له كالمهدي الذي اسمه محمد بن عبدالله ولقبه «المهدي» إشارة إلى أن الله سيهديه لكل ما هو غامض ويهديه إلى الصراط القويم صراط الحق ويفرق بين الحق والباطل، كذلك السفياني إشارة إلى آل سفيان أو بمعنى أصح وأدق معاوية ابن أبي سفيان الذي حول الحكم من الخلافة الراشدة إلى الملك الوراثي، هذا هو المقصود بالسفياني، ومن خلال الآثار والأحاديث الصحيحة والضعيفة نرى أن هناك أكثر من سفياني عبر التاريخ آخرهم سفياني الخسف.

واختلف أهل العلم في شخصية السفياني فهو عند الكثير من علماء أهل السنة شخصية وهمية لأن الأحاديث النبوية الواردة فيه ضعيفة ولذلك فإنهم ينكرون وجوده أصلاً ومنهم من يقر بوجوده لأن تلك الأحاديث الواردة في حقه وإن كان بها ضعف في الإسناد أو غيره فإن مجموعها يقوي بعضها البعض، وقد ذكر الأصفهاني في الأغاني أن مؤلف تلك الشخصية «السفياني» هو خالد ابن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بعد أن انتزع الفرع المرواني الخلافة منه بعد موت أبيه يزيد بن معاوية وهذا الرأي لا يستند إلى دليل قوي.

ومن أصح ما روي من أحاديث عن السفياني ما رواه الحاكم في مستدركه وكذلك السيوطي في العرف الوردي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب - اسم قبيلة- فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجتمع له

قيس- اسم قبيلة من مصر- فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج من أهل بيتى في الحرة، فيبلغ السفياني من معه إذا صار بالبيداء - صحراء بالمدينة المنورة- من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر منهم)[1].

الأحاديث في السفياني كثيرة جدّاً، وقد روى جملة كبيرة منها نعيم بن حماد في الفتن وأبوعمرو الداني في الفتن.

وأما عند الشيعة الإمامية فالسفياني من المحتوم أي من الشخصيات والعلامات التي ستظهر حتماً آخر الزمان قبل ظهور المهدي والدجال وأنه سيظهر الهدي ونصرة الدين ويبطن عداوته للإسلام وأهله ويظهر السفياني نواياه وخططه حين يظهر المهدي ويبايعه أهل الشام والعراق فيرسل جيشاً لقتاله فيهزمه الله وتكون نهايته على يد المهدي.

ومن ذلك ما رواه الحاكم أيضاً عن ابن مسعود مرفوعاً: أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فذكر منها: وفتنة من بطن الشام وهي السفياني) (قال الحاكم صحيح الإسناد وقد ضعف الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة).

ومن ذلك ما رواه الحاكم أيضاً عن على بن أبي طالب موقوفاً: يظهر السفياني على الشام ثم يكون بينهم واقعة بقرقيسا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان ويقتلون شيعة آل محمد ﷺ بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي (قال الذهبي خبره واهٍ أي شديد الضعف).

ومن ذلك ما رواه الطبري في تفسيره عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعاً، ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل

(١) قال الحاكم صحيح الإسناد وعلى شرط الشيخين وقال الذهبي في التلخيص على شرط البخاري ومسلم.

دمشق، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزل بأرض بابل، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدا من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كان بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبريل اذهب، فأبدهم فيضربهم برجله ويخسف الله بهم).

وقد جاء ذكر السفياني ضمناً في البخاري ومسلم دون ذكر أنه السفياني حيث الحديث الشهير والمعروف بحديث جيش الخسف الذي يأتي لحرب المهدي وغزو الكعبة؛ وقد جاء ذكر جيش الخسف في الحديث السابق الذي رواه الحاكم وذكرناه وقد أوضح أنه جيش السفياني صراحة.

قال ﷺ: يغزو بجيش الكعبة فإذا كانوا بالبيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم. قال: يخسف بأولهم وآخرهم ويبعثون على نياتهم). (رواه البخاري في صحيحه).

فالحديث يشير إلى وجود جنود في الجيش يخرجون مكرهين دون إرادة منهم ويبعثون يوم القيامة على نياتهم لقوله ﷺ: رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (متفق عليه).

وهذا هو جيش الخسف جيش السفياني.

وهذا الجيش كما ذكرت في كتابي (السيناريو القادم) هو جيش من قوات التحالف الغربي ينضم إليهم بعض العرب المسلمين.

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ وهو عند السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: عبس رسول الله ﷺ في منامه فقلت: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تفعله؟

فقال: العجب لأناس من أمتي يؤمون البيت - الكعبة- رجل من قريش- المهدي- لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم.

فقلت: يا رسول الله إن الطريق قد تجمع.

فقال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله عز وجل على نياتهم.

وهناك جيش آخر يرسله السفياني بعد ذلك لقتال المهدي بعد أن يؤيده الله عز وجل بخسف الجيش كما جاء في الحديث الصحيح، وينتصر المهدي في قتاله مع هذا الجيش الثاني، والحديث الذي تحدث عن قتال السفياني للمهدي بعد الخسف بالجيش الأول فقد رواه أبوداود والطبراني ورجاله رجال الصحيح ثقات وذكره ابن الأثير في جامع الأصول وإسناده حسن ونص الحديث: (ويبعث إليهم بعثاً من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأي الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه).

(ثم ينشأ رجل من قريش أخواله من كلب (اسم قبيلة) فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بجرانة- أي يستقر- في الأرض، فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون).

فالحديث يشير إلى أحداث هامة تحدث آخر الزمان بطل تلك الأحداث هو السفياني والمهدي، وأما المكان فهي أرض العرب من بلاد الشام إلى أرض الجزيرة العربية حيث المدينة المنورة ومكة المكرمة، وخط سير جيش الخسف وجيش السفياني الثاني من أرض العراق عبر الحدود إلى مكة عن طريق

المدينة المنورة (البيداء).

والحديث يشير إلى جيش غير جيش الخسف المختلط، الأول ويحدث فيه قتال بين جيش السفياني وجيش المهدي وانصاره وينتصر جيش المهدي الذي يتقدم نحو الشام لقتال السفياني والقضاء عليه هناك.

ويستفاد مما سبق أن الجيش الأول الذي يخسف به غالبيته من غير المسلمين لأنه لا يستحل البيت الحرام أحد إلا أهله فإذا كان الجيش من الكفار يتصدى لهم الله عز وجل كما فعل بأبرهة الحبشي وجيشه.

روى أحمد في المسند بسنده عن رسول الله ﷺ: (يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل البيت - الكعبة- إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب ثم يأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه)(١).

والحديث يتكلم عن المهدي ومبايعته بين الركن والمقام بالكعبة المشرفة، الركن الحجر الأسود، والمقام مقام إبراهيم عليه السلام، ثم يتحدث عن هدم البيت آخر الزمان وقبل قيام الساعة مباشرة على يد الحبشة وفي حديث آخر أطلق على قائد الجيش (ذو السويقتين) ووقتها لا يوجد على الأرض أحد من المؤمنين أو من يقولون الله الله، أي لا يذكر أحد الله، أي يقبض الله أرواح المؤمنين(٢).

وجيش السفياني الثاني لا يخسف به لأن أتباعه من المسلمين، ولعلنا قد ذكرنا من قبل أن الجيش الأول وهو جيش الخسف يرسله الأمريكان الذين احتلوا العراق وذلك بمساعدة السفياني الذي يظهر في الشام، والظاهر في الحديث السابق أن غالبية الجيش من غير المسلمين أما الجيش الثاني فهو تابع للسفياني ومن يتبعه من أهل الإسلام غير مجبرين والله أعلم.

(١) قال الألباني إسناده صحيح.

(٢) انظر كتابي نهاية العالم وأشراط الساعة- الناشر دار الكتاب العربي.

فالسفياني شخصية تدعي الدفاع عن الإسلام، ومقدساته ويدعي أنه مهدي هذه الأمة ومحرر القدس؛ ولكنه يتحالف مع غير المسلمين حين يخرج المهدي ويبايع بين الركن والمقام في الكعبة حينها يظهر السفياني حقيقته ووجه القبيح ويتضح أنه دجال هذه الأمة فيرسل جيشاً فيه الكثير من غير المسلمين للقضاء على المهدي ومن اتبعه.

وقد ذكر القرطبي رحمه الله في كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعاً وذكر فيه فتنة بين المشرق والمغرب وخروج السفياني من الوادي اليابس حتى ينزل بدمشق فيبعث جيشين، أحدهما إلى المشرق والآخر إلى المدينة.

أما عند الشيعة الإمامية فإن السفياني من المحتوم أي أنه سيظهر مثل المهدي وأنه عدو للمهدي كما أن المسيح ابن مريم عدو للمسيح الدجال.

ومن وجهة نظري المتواضعة أن السفياني مثله مثل المسيح الدجال الذي يدعي الصلاح والفلاح ثم يدعي النبوة ثم الإلوهية ويدعي صفات المسيح ابن مريم ولهذا يسمي المسيح الدجال أو المسيخ الدجال، والسفياني شخصية تدعي المهدية ولكن أمره ينكشف فيحارب المهدي ويرسل إليه جيشا ليحاربه، ويكون مقتل السفياني على يد المهدي كما أن المسيح الدجال مقتله على يد المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام.

سئل الشيخ ابن العثيمين رحمه الله: هل صح حديث خروج السفياني في علامات الساعة؟ وكذا هل صحت أيضاً أحاديث خروج الرايات السود؟

فأجاب رحمه الله بقوله: حديث السفياني أخرجه الحاكم في مستدركه وقال حديث صحيح الإسناد، ولكن الحاكم رحمه الله معروف بالتساهل بالتصحيح. فالله أعلم.

وأما الرايات السود فلا أدري.

وحول سؤال:

هل هناك حديث ما يسمى بحديث السفياني وأنه من فتن آخر الزمان وأنه هو الذي يدمر إسرائيل؟

كانت الإجابة:

فقد وردت في السفياني أحاديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها كلها، ولكن لا بأس بذكر طرف منها فمن ذلك:

■ ما رواه الحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجمع له قيس فيقتلها.. ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم. قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط الشيخين، قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

■ ومن ذلك ما رواه الحاكم أيضاً عن ابن مسعود مرفوعاً: أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فذكر منها: وفتنة من بطن الشام وهي السفياني.. قال الحاكم صحيح الإسناد، قال الذهبي هذا من أوابد نعيم بن حماد، وقد ضعف الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة.

■ ومن ذلك ما رواه الحاكم أيضاً عن على بن أبي طالب موقوفاً: يظهر السفياني على الشام ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان ويقتلون شيعة آل محمد ﷺ بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي. قال الذهبي خبر واهٍ (يعني شديد الضعف).

■ ومن ذلك ما رواه الطبري في تفسيره عن حذيفة مرفوعاً: ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزل بأرض بابل فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هذا من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلوهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبريل اذهب، فأبدهم فيضربها برجله ويخسف الله بهم.

والأحاديث في السفياني كثيرة جداً، وقد روى جملة كبيرة منها نعيم بن حماد في الفتن وأبوعمرو الداني في الفتن، ونعيم بن حماد ضعيف في الحديث بل إنه قد اتهم بالوضع.

ودراسة أسانيد هذه الأحاديث تحتاج إلى وقت طويل، وذلك ليس بمقدورنا نظراً لضيق الوقت وكثرة الأسئلة المهمة الملحة التي ينتظر أصحابها الإجابة عنها، ونشير في الختام إلى أمرين:

الأول: أن وجود هذه الشخصية ثابت بمجموع الأحاديث، ولكن آحاد الأحاديث لا تخلو من مقال.

الثاني: أن بعضهم قد حمل أحاديث السفياني على شخصيات معاصرة، وبعضهم يجزم بذلك، وهذا من الغلط الكبير، مع مخالفته للروايات التي تقول إن السفياني يخرج من الشام. والله أعلم[1].

---

(١) http://www.islamlight.net

فتوي للشبكة الإسلامية

عنوان الفتوي: حمل أحاديث السفياني على الشخصيات المعاصرة غلط كبير.

تاريخ الفتوي: ٢١ صفر ١٤٢٤/ ٢٤-٤-٢٠٠٣.

الخسف بجزيرة العرب والخسف بجيش السفياني

صح عن النبي ﷺ أنه عد من علامات القيامة الكبرى وقوع خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ففي صحيح مسلم وغيره عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

هذه الخسوف المذكورة من العلامات الكبري قبل قيام الساعة والظاهر هو أن هذه الخسوف خسوف لها تأثير كبير بحيث تتميز عن غيرها من الخسوف والزلازل، قال صاحب تحفة الأحوذي عند شرحه للحديث المذكور: وقد وجد الخسف في مواضع لكن يحتمل أن يكون بالخسوف الثلاثة قدر زائد على ما وجد، كأن يكون أعظم قدرا وأكبر مكانا وأعظم تأثيراً.. وقد تحدث خسوفات أخرى أصغر على مر التاريخ البشري مثل ما يحدث من خسف بجيش السفياني الذي يريد مكة المكرمة والقضاء على المهدي وتلك من العلامات الصغرى.

وهناك من يرى أن خسف جزيرة العرب سيكون في سباخ البصرة للحديث الذي أخرجه أبو داود وصححه الألباني.

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (يا أنس إن الناس يمصرون أمصاراً

فإن مصرا منها يقال له: البصرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير) (رواه أبو داود)[1].

ذكرنا أنه يحدث خسف بجيش السفياني الذي يرسله للقاء المهدي في أول ظهور له وهذا الخسف بجيش السفياني يكون علامة للأمة الإسلامية على ظهور المهدي عليه السلام، فتأتيه أبدال الشام وعصائب أهل العراق للانضمام إلى صفوف جيشه الذي يخرج لنصرة دين الله تعالى ثم يرسل السفياني جيشا آخر يقاتله المهدي وأتباعه وينتصر عليهم.

في البخاري ومسلم عن السيدة أم سلمة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: (يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارها؟، قال: يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القايمة على نيته). وفي تفسير قوله تعالي: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبا: ٥١)، قال الطبري، والرازي، والآلوسي، وابن كثير والقرطبي.. وغيرهم إنها نزلت في الجيش الذي يخسف به في البيداء ما بين مكة والمدينة.

عن عائشة قالت: (عبس رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم في منامه فقلت: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟، فقال: العجب إن إناساً من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله عز وجل على نياتهم)[1].

(١) صحيح الجامع – الألباني.

(٢) متفق عليه.

عن السيدة صفية أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا ينتهي الناس عن غزوة هذا البيت حتى يغزو جيش، حتى إذا كانوا بالبيداء أو ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ولم ينج أوسطهم قلت: يا رسول الله فمن كره منهم؟، قال يبعثهم الله على ما في أنفسهم)(١).

عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأي الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون). قال أبوداود: قال بعضهم عن هشام: تسع سنين، وقال بعضهم: سبع سنين(٢).

عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لي: (يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، فقال: كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف يعني القبر؟، قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: عليك بالصبر، ثم قال لي: يا أبا ذر، قلت: لبيك وسعديك، قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم؟، قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: عليك بمن أنت منه، قلت: يا رسول الله أفلا آخذ سيفي وأضعه على عاتقي؟، قال: شاركت القوم إذن، قلت: فما تأمرني؟، قال: تلزم بيتك، قلت: فإن دخل عليَّ بيتي؟، قال: فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه)(٣).

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أبوداود.

(٣) رواه أبوداود.

فالسفياني (الثاني) الذي يخسف بجيشه هو عميل موالٍ للغرب ولهذا يكون الجيش الأول جيشا مختلطا غالبيته من الغرب المسيحي فيخسف بهم كما فعل الله بجيش إبرهة الحبشي، وهذا السفيانى هو الأشد عداوة لآل بيت النبي ﷺ، حتى إنه يطاردهم أينما كانوا في الشام والعراق والجزيرة العربية، ولا يكون له همة إلا مطاردة المهدي ومن يؤيده، فيبعث بعثا من الشام إلى الكوفة فيصيب أناسا من أنصار المهدي، ويبعث بعثاً من الكوفة إلى المدينة فيخربها بحثا عن المهدي عليه السلام، فيهرب المهدي وصاحبه المنصور منها خائفاً يترقب حتى يقدم مكة، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحدا إلا قبض عليه وحبس، ويقتل النفس الزكية منهم عند أحجار الزيت ويعلق جثته على باب المسجد الحرام، ويخرج جيش السفياني في طلب الرجلين (المهدي عليه السلام وصاحبه)، حتى إذا كان بالبيداء ما بين مكة والمدينة ساخت الأرض من تحت أقدامهم وابتلعتهم عن آخرهم، ولا ينجو منهم إلا رجلين يتجه أحدهما إلى مكة ليخبر أهلها، والآخر إلى الكوفة[١].

وخلاصة القول فشخصية السفياني شخصية محيرة فهو حاكم مستبد ظالم علماني يدعي الصلاح والإسلام ويحارب كل من يقف أمامه حتى ينتهي به الأمر إلى خبر المهدي المنتظر فتكون نهايته- كما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب- اسم قبيلة- فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان، فتجتمع له قيس- اسم قبيلة من مصر- فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة ويخرج من أهل بيتي في الحرة، فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار بالبيداء - صحراء بالمدينة المنورة- من الأرض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم. أخرجه الحاكم والسيوطي في العرف الوردي.

(١) اقرأ كتابنا السفياني صدام آخر على وشك الظهور، دار الكتاب العربي.

وعن اسمه واسم ابيه ونسبه ذكر العلامة محمد السفاريني في كتابه أهوال يوم القيامة: (فأما السفياني فاسمه عروة واسم أبيه محمد ولقبه عتبة).

وذكر السفاريني عن كعب أنه يخرج من واد يقال له اليابس يؤتى في منامه فيقال له: قم فاخرج، يحدث له ذلك ثلاث مرات في المنام.

وذكر القرطبي في التذكرة من حديث حذيفة بن اليمان- ضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة كذلك، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، فيسير جيش نحو المشرق حتى ينزل بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، قال: (فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هذا من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدنية فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

فلا يبقى منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة. ولذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين.

ومن وصف السفياني أنك لو رأيته رأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول: (يا رب ثأري ثم النار يا رب يا رب يا رب ثأري ثم النار، ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تكشف سره. وهذا يدل أن خروج السفياني للانتقام.

■ ■ ■

السفياني الأول والسفياني الثاني والسفياني الثالث

في الحديث الذي رواه الحاكم وغيره يوجد سفيانان يظهران في آخر الزمان يقتل أحدهما بمرض عضال يصيبه والآخر الثاني هو سفيان الخسف الذي يرسل جيشه لقتال المهدي فيخسف الله به الأرض ثم يقتل على يد المهدي في معركة القدس؛ ولكن هناك من يري أن هناك أكثر من سفيانين من عائلة واحدة ظهر الأول في العصر العباسي في خلافة المأمون وادعى الخلافة وبايعة البعض واستولى على دمشق، ثم يظهر آخران آخرهما سفياني الخسف ويخرج من الوادي اليابس وهو المشهور عند غالبية أهل العلماء وهو سفياني الخسف، والوادي اليابس منطقة على حدود الأردن وسوريا.

ومن الذين ذكروا أن السفيانين ثلاثة الهيتمي رحمه الله وغيره ولهم أكثر من مكان للظهور سواء في الشام أو في الحجاز ومصر.

وقد ذكر الكاتب فهد سالم في كتابه السفياني (وقد أطلعني على الكتاب مؤخراً) أن خروج هؤلاء الثلاثة ترتيباً من ثلاث مناطق هامة هي دمشق ومصر والأردن حيث أطلق على السفياني الأول سفياني النسب وقد خرج بدمشق وهو ليس بشيء والسفياني الثاني هو سفياني الإمارة ويخرج من مصر ليحكم إمارة الحجاز في عصر والي مصر محمد على باشا وهو المؤسس الخطير لأسرة السفياني في العصر الحديث ثم سفياني الخسف الأخير ويخرج من الأردن واسمه عبدالله!!.

وأضاف أن السفياني الأول وهو ليس بشيء من الخطورة وادعى الانتساب لبني هاشم وهو من نسل أبي سفيان واسمه أبوالعميطر ومات سنة

والسفياني الثاني هو محمد بن عون وهو أول من أسس إمارة للهاشميين «ذوي عون» وهم من أصل عائلة معاوية بن أبي سفيان وقد ولاه محمد على باشا والي مصر إمارة الحجاز ومكة واستمر يحكمها هو وأولاده وأحفاده حتى العصر الحديث وكان آخرهم الملك عبدالله الأول أحد أجداد ملك الأردن الحالي.

والسفياني الثالث والأخير وهو ما يعرف بسفياني الخسف ويخرج من الأردن وهو أحد أحفاد شريف محمد بن عون.. وهذا السفياني الأخير أيضاً يخرج باسم الهاشمي.

وسبب ادعاء السفياني الأول أبي العميطر (واسمه على بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) أن أمه كانت هاشمية الأصل كما ستعرف حين نتعرف على موجز لسيرته.

وعلينا إلقاء الضوء على سيرة هؤلاء الثلاثة الذين يخرجون ويطلق عليهم اسم السفياني.

■ ■ ■

(١) المصدر السابق.

ظهور السفياني الأول زمن العباسيين وادعاؤه أنه الهاشمي

ذكر الهيتمي رحمه الله وغيره أن السفياني ثلاث شخصيات تظهر على مدار التاريخ آخرهم سفياني الخسف.. ويخرجون من مناطق ثلاث هي الشام (دمشق) ومصر والشام (الأردن).. لكنهم يظهرون وينتسبون لبني هاشم.. وهم ينتسبون لخالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي يرى البعض أنه الذي وضع حديث السفياني.

وفي زمن الخليفة العباسي الأمين ظهر حفيد لخالد بن يزيد وأمه من بني هاشم أعلن نفسه أنه السفياني المنتظر فصدقه بعضهم في عام ١٩٥ هجرية وهو على بن عبدالله بن خالد ولما ظهر بويع بالخلافة وطرد عامل العباسيين من دمشق وأخيرا قاتله العباسيون وهزموه فاختفى بالمزة وأقام بها أياما ومات.. فهذا السفياني الأول على قول الهيثمي وغيره..

فمن هو ذلك السفياني الأول:

هو على بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، القرشي الأموي الدمشقي، ويعرف بأبي العميطر.

كان سيد قومه وشيخهم في زمانه، بويع بالخلافة بدمشق زمن الأمين، وغلب على دمشق في أول سنة ست وتسعين، وكان من أبناء الثمانين، وداره غربي الرحبة.

قال أحمد بن حنبل للهيثم بن خارجة: كيف كان مخرج السفياني بدمشق أيام ابن زبيدة بعد سليمان بن أبي جعفر؟ فوصفه بهيئة جميلة وعزله للشر، ثم ظلم، وأرادوه على الخروج مراراً فأبي، فحفر له خطاب بن وجه الفلس

سربا، ثم دخلوه في الليل، ونادوه: اخرج فقد آن لك، قال: هذا شيطان، ثم في ثاني ليلة، وقع في نفسه، وخرج فقال أحمد: أفسدوه.

وقيل: ولي سليمان بن أبي جعفر دمشق عقيب فتنة، وعصبية بن العرب. وكانوا- بنو أمية- يروون في أبي العميطر الروايات، وأن فيه العلامات أن كلبا أنصاره، فمالوا إليه، وتوددهم، وخافوا محمد بن صالح بن بيهس، فاندسوا إلى سليمان، وكثرو على ابن بيهس، فحبسه، فتمكنوا ووثبوا، وأحاطوا بسليمان وهو في قصر الحجاج، فبعث إلى ابن بيهس، وهو في حبسه بالقصر، فخرج به. وهربا على البرية، ولما خرج على في اليمانية، تتبعوا القيسية، وحرقوا دورهم، وقتلوا في بني سليم، وتابعه أهل الغوطة وحمص وحلب والسواحل، وهربت قيس، وكان الحرس ينادون على السور: يا على يا مختار، يا من اختاره الجبار، على بني العباس الأشرار.

وجرت له أمور، ثم هرب، وخلع نفسه، واختفي، ومات.

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي عنه:

قال على بن عبدالله وقال الزبير كانت أم أبي العميطر هي نفيسة بنت عبيد الله بن عباس بن على بن أبي طالب فقيل كان يفتخر ويقول أنا ابن شيخي صفين وقيل إنه سألهم مرة ما كنية الحرذون قلنا لا ندري قال أبوالعميطر فلقبناه به فكان يغضب وروي أبوزرعة النصري عن أبيه قال كان أبوالعميطر يفتخر يقول أنا ابن العير وابن النفير وأنا ابن شيخي صفين ثم ينتسب وقيل كان يسكن المزة فخرج بها وهو ابن تسعين سنة. ابن جوصا حدثنا موسى بن عامر سمعت الوليد بن مسلم غير مرة لو لم يبق من سنة خمس وتسعين ومائة إلا يوم لخرج السفياني قال موسى فخرج أبوالعميطر فيها وروى هشام بن عمار نحوه عن الوليد قال الميموني قال أحمد: السفياني الأمير أبوالحسن، على بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، القرشي الأموي الدمشقي، ويعرف بأبي العميطر.

كان سيد قومه وشيخهم في زمانه، بويع بالخلافة بدمشق زمن الأمين، وغلب على دمشق في أول سنة ست وتسعين، وكان من أبناء الثمانين، وداره غربي الرحبة كانت.

قال الهيثم بن مروان: سمعت أبا مسهر يقول: سمعت شيخا من قريش أثق به يقول: سأل المهديُّ ابن علاثة: لم رددت شهادة ابن إسحاق؟ قال: لأنه كان لا يرى جمعة ولا جماعة!!، فسألت أبا مسهر: من الشيخ؟ قال: على بن عبدالله.

وقال الزبير: كانت أم أبي العميطر، هي نفيسة بنت عبيد الله بن عباس ابن على بن أبي طالب، فقيل: كان يفتخر ويقول: أنا ابن شيخي صفين.

■ ■ ■

السفياني الثاني: محمد بن عوف وخروجه من مصر

هو الأمير محمد بن عبدالمعين بن عون المشهور بمحمد بن عون ملك الحجاز، حكم الحجاز لفترتين متقطعتين، وهو أول أمراء الأشراف آل عون العبادلة ابتداءً من عام ١٢٤٣هـ واستمر حكم أبنائه وأحفاده إلى عام ١٣٤٣هـ عام دخول الشريف خالد بن لؤي العبدلي قائد الجيش السعودي.

لم يعرف مولده بالتحديد ولكنه نشأ بمكة المكرمة كغيره من الأشراف آنذاك في ظل حكم الأشراف آل زيد أبناء عمومتهم ولم تكن الأوضاع مستقرة بين البيت الزيدي كما يطلق عليهم وذلك بسبب كثرة المنازعات والمصادمات بسبب الحكم كما تشير الكثير من المصادر.

وقد كانت أنظار الأشراف تتجه إلى بعض كبار الأشراف من العبادلة ليكونوا بديلاً عن الأشراف آل زيد وكان منهم الشريف محسن بن عبدالله بن حسين جد محمد بن عون ولكن لوفاته المبكرة ظل الوضع يتداول بين أمراء آل زيد وهكذا حتى اتجهت الأنظار إلى محمد بن عبدالمعين آل عون عام ١٢٤٣هـ.

كان محمد بن عون في شبابه يعيش في مصر للارتباط الوثيق بين الأسرتين آل عون مع الأسرة الملكية في مصر أسرة محمد على باشا وقد أشير إلى أنه كلفه ببعض المهمات القتالية ونجح فيها.

ولوجود تنافس كبير وقوة إرادة ورغبة استغلالية كما تشير المصادر في رغبة محمد على باشا في مصر في الابتعاد والانفصال عن دولة تعيين والي على الحجاز من قبله يرشحه هو بحيث يكون الحجاز تابعا لملكيته اتجهت الأنظار إلى أن يكون الشريف محمد بن عون أمير الحجاز بترشيح منه عند

الدولة العثمانية وتم ذلك بالفعل بإجراء التكاليف السلطانية من الدولة العثمانية ورحل الشريف محمد بن عون إلى الحجاز كأمير في عام ١٢٤٣هـ وجوبه ببعض المشاكل والاعتراضات من قبل أمراء الأشراف آل زيد ولم تقف في وجهه طويلاً حتى إنه استطاع أن يتغلب عليها ويحكم مكة المكرمة وبالتالي الحجاز كاملاً(١).

وقد تولي محمد بن عون حكم الحجاز (مكة والمدينة المنورة) مرتين منذ عام ١٢٣٤هـ- ١٢٦٧هـ حين ولاه الحكم محمد على باشا والي مصر حيث كانت مكة والمدينة والشام تحت سيطرته وحكمه وحين قام محمد على باشا بحرب الدولة العثمانية التي كانت تحكم الدول العربية تحت غطاء الخلافة الإسلامية، تم عزل محمد بن عون عن حكم مكة سنة ١٢٦٧هـ، ولجأ

---

(١) يشير «ران دال بيكر» في كتابه مملكة الحجاز إلى أن أمراء آل عون الذين حكموا الحجاز هم:

١- محمد بن عون (عوني) ١٨٢٧م- ١٨٥١م.
٢- عبدالمطلب (زيدي) ١٨٥١م- ١٨٥٦م.
٣- محمد بن عون مكرر (عوني) ١٨٥٦م- ١٨٥٨م.
٤- عبدالله بن محمد (عوني) ١٨٥٨م- ١٨٧٦م.
٥- الحسين بن محمد (عوني) ١٨٧٦م- ١٨٧٩م.
٦- عبدالمطلب مكرر (زيدي) ١٨٧٩م- ١٨٨٢م.
٧- عون الرفيق (عوني) ١٨٨٢م- ١٠٩٥م.
٨- عبدالاله بن محمد (عوني) ١٩٠٥م توفي بعد تعيينه مباشرة.
٩- على بن عبدالله (عوني) ١٩٠٥م- ١٩٠٨م.
١٠- الحسين بن على (عوني) رائد الثورة العربية ١٩٠٨م- ١٩١٦م.

وأصبح الحسين بن على ملكاً على الحجاز من عام ١٩١٦م إلى ١٩٢٥م حتى تم إجباره عن التنازل عن الحكم ونفيه إلى قبرص من قبل بريطانيا.

ويتضح أن مؤسس الحكم في الأسرة العونية هو محمد بن عون ونسبه هو محمد بن عبدالمعين ابن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله- جد الأشراف العبادلة- ابن الحسين المتوفي عام ١٠٤١هـ.

ويتفرع الأشراف آل عون إلى فرعين:

آل عبدالمعين وهم إلى فرعين والفرع الثاني آل ناصر بن فواز بن عون وهم يسكنون الطائف حالياً ومكة وجدة والأردن.

محمد بن عون إلى بريطانيا التي أعادته للحكم مرة أخرى وحكم مكة والحجاز مرة أخرى من ١٢٧٢هـ إلى وفاته ١٢٧٤هـ ثم توارث أولاده وأحفاده حكم مكة والحجاز حتى استطاع الملك عبدالعزيز ضم الحجاز لدولته ومملكته والقضاء على حكم آل عون الذي أسس حفيده الملك عبدالله المملكة الأردنية الهاشمية في الأردن.

وقد توفي الشريف محمد بن عون عام ١٢٧٤هـ عن سبعين عاماً ومن سلالته يخرج السفياني الأخير من الوادي اليابس بالأردن.

ويطلق على محمد بن عون سفياني مصر لخروجه من مصر إلى حكم الحجاز كما ذكرنا ويقال عنه إنه الأخنس الأموي، الذي ذكره في الحديث النبوي: (أنه سيكون رجل من بني أمية في مصر بل سلطاناً ثم يغلب على سلطانه أو ينتزع منه فيفر إلى الروم فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام فتلك أول الملاحم)(١).

وفي رواية أخري: (سيكون رجل أخنس من بني أمية يلي سلطان بمصر.. الحديث).

وقد رجح الكاتب فهد سالم أن يكون محمد بن عون هو المقصود في الحديث السابق حيث إنه كان يعيش بمصر زمن محمد على باشا وأنه من نسل بني أمية ويدعي أنه هاشمى من بني هاشم وأن هذا هو معني الأخنس، وأنه لما نزع منه حكم مكة والحجاز لجأ إلى القسطنطينية، واستطاعت القوي الماسونية هناك من إعادته مرة أخري لبلاد الحجاز عام ١٨٥٦م، وكان ثمن إعادته لسلطانه بمكة أن قرر فتح سفارة لإنجلترا في مدينة جدة وهذا معنى: (فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام..) وكانت تلك بداية الملاحم حيث اتفاقية «سايكو بيكو» التي قسمت الدولة العربية مناصفة بين إنجلترا وفرنسا ثم الاحتلال اليهودي لفلسطين أضف إلى ذلك قيام إنجلترا بضرب مدينة جدة

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

في آخر أيام محمد بن عون.

وكان حفيد محمد بن عون[1] وهو الشريف الحسين بن على بن محمد ابن عون[1] الذي حكم الحجاز وقاد ثورة عسكرية ضد الدولة العثمانية عرفت بالثورة العربية الكبرى قد ساهم في نهاية الحكم العثماني والخلافة العثمانية في بداية القرن العشرين وساهم ابنه الملك عبدالله في ضياع أرض فلسطين العربية.

■ ■ ■

(١) تولى الإمارة بعد محمد بن عون ابنه عبدالله، وأبناء محمد بن عون هم عبدالله وعلي وحسين وعون الرفيق وسلطان وعبدالإله.

(٢) الشريف الحسين بن على تولى الحكم سنة ١٩٠٨- ١٩٢٥ وكان عضواً في الماسونية بتركيا وهم من قاموا بتنصيبه على مكة والحجاز.

دولة السفياني
تظهر قبل ظهور المهدي مباشرة

السفياني شخصية عدائية تقف في مواجهة المهدي بعد أن تدعي المهدية، وذكرت بعض الآثار أن زمان ظهور دولته بعد حصار العراق والقضاء على قوته العسكرية فيسهل على السفياني الاستيلاء عليه وأن مدة حكمه تسعة أشهر كحمل المرأة.

ذكر القرطبي في التذكرة خبراً عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وقد ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب»: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزل بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة.

قال: فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفتضون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها أكثر من ثلاثمائة كبش- رجل- من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش على ليلتين فيقاتلونهم حتى لا يفلت منهم مخبر ويستفيدون ما في أيديه من السبي والغنائم.

وعلى جيشه الثاني بالمدينة فينهبونه ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء- الصحراء- بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل أذهب فأبدهم.

فيضربها برجله- أي الأرض- ضربة يخسف الله بهم.

وذلك قوله تعالى عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن

مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ: ٥١).

فلا يبقي منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة ولذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين.

وقد قال القرطبي معلقاً على هذا الحديث فقال: حديث حذيفة فيه طول وكذلك حديث ابن مسعود فيه: (ثم إن عروة بن محمد السفياني يبعث جيشاً إلى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشاً آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه.. فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة فيتغلب عليها ويسبي من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ من يجد فيها من الأموال ثم يرجع، فتقوم صيحة بالمشرف فيتبعهم أمير من أمراء بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من السبي- الأسرى- ويرد إلى الكوفة.

أما الجيش الثاني فإنه يصل إلى مدينة رسول الله ﷺ فيقاتلونهم ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد.

ثم يسيرون نحو مكة أعزها الله لمحاربة المهدي ومن معه فإذا وصلوا إلى البيداء- طريق معروف على طريق المدينة المنورة مكة- مسخهم الله أجمعين فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ: ٥١)(١).

هكذا جاءت الأخبار والآثار كلها تشير إلى سيطرة السفياني على الشام ودخوله العراق ثم محاربته للمهدي إذا خرج في مكة المكرمة، وهو صاحب الجيشين اللذين منهما جيش الخسف الذي ذكرناه.

وقد ذهب البعض أن السفياني هو صدام حسين الرئيس العراقي وهذا خطأ كبير، ونحن لا نسقط الأحاديث والنبوءات على الشخصيات الحالية، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم وغيره أن هناك سفياني أول يقتل

(١) التذكرة للقرطبي.

ثم يأتي بعده سفياني ثان وهو المقصود بالسفياني في حديثنا ويكون مقتله على يد المهدي.

ويذكر البعض آثاراً وأخباراً عن وصول حكم وسيطرة السفياني على بلدان عدة منها ليبيا ومصر وهذه من الأخبار الضعيفة التي لا تصلح والله أعلم.

ومن الآثار الحسنة التي خرجها نعيم بن حماد بسنده في الفتن عن أرطأة بن المنذر- تابعي- قال: يدخل الأزهر بن الكلبية الكوفة فتصيبه قرحة، فيخرج منها فيموت في الطريق.

ثم يخرج رجل آخر منهم بين الطائف ومكة أو بين مكة والمدينة من شبب وطياف وشجر بالحجاز، مشوه الخلق، مصفح الرأس، حمش الساعدين، غائر العينين، في زمانه تكون الهدَّة.

ومما ذكره أيضاً عن السفياني وحروبه ما رواه عن أرطأة أيضاً قال:

السفياني الذي يموت الذي يقاتل أول شيء الرايات السود، والرايات الصفر في سرة الشام، مخرجه من (المنذرون) شرقي بيان، على جمل أحمر عليه تاج.. يهم الجماعة مرتين.. ثم يهلك وهو يقبل الجزية ويسبي الذرية ويبقر بطون الحبالي.

هذه أوصاف السفياني الأول وهو بخلاف السفياني الثاني، والسفياني الأول عند الشيعة الإمامية يسمي الشيصباني.. فالسفياني الأول يموت بعد قتال الروم وأصحاب الرايات السود أيضاً أنصار المهدي، ولهذا قيل إنه صدام حسين الرئيس العراقي الراحل حين حارب أمريكا ومن معها وهم الجماعة مرتين وحارب أصحاب الرايات السود الإيرانيين والله أعلم[1].

فمن أوصافه: (أي السفياني الثاني) أنه مصفح الرأس، وحمش

(١) اقرأ كتابنا السفياني صدام آخر على وشك الظهور، ففيه المزيد عن تلك الشخصية وما قيل عنها، الناشر دار الكتاب العربي.

الساعدين وغائم العينين.

والأول جاء في وصفه أنه أبيض اللون ذو شعر مجعد يعطي أتباعه ومن سافر معه وأيده الأموال والمعونات.

وفي تلك الآثار أيضاً أنه ترفع ثلاث رايات:

راية للأبقع وراية للأصهب وراية السفياني.

والراية هي العَلَم الذي يرفع للدلالة على الدولة أو في الحروب في مقدمة الجيوش.

ومن العلامات أيضاً حدوث فتن وحصار في الشام وقتال في دمشق يظهر على أثره السفياني الثاني فيقاتل الترك الدولة التركية الغرب في (قرقيسياء) وهي أرض المعركة التي تشهد معركة كبري.

والسفياني الأول يهلك في منطقة تقع بين الشام والعراق يظهر بعده السفياني الثاني بعمق دمشق يطالب بالثأر فيقول: رب ثأري والنار!!

ففي الأثر الذي رواه نعيم بن حماد بسنده عن سلمة بن يزيد الزهري قال: يبايع السفياني أهل الشام، فيقاتل أهل المشرق فيهزمهم من فلسطين حتى ينزلوا مرج الصفر.. ثم يلتقون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلوا مرج الثنية.. ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يأتوا الحصي.. ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يبلغوا المدينة الخربة- يقصد قرقيسياء بالشام- ثم يقتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق فيحوز السفياني الأموال ثم يخرج في حلق السفياني قرحة.. ثم يدخل الكوفة غدوة ويخرج منها بالعشي بجيوشه فإذا كان بأفواه الشام توفي (هذا هو السفياني الأول وتلك نهايته).

وكان أهل الشام قد بايعوا ابن الكليبة اسمه عبدالله بن يزيد ابن الكلبية، غائر العينين مشوه الوجه، فيبلغ المشرق وفاة السفياني «الأول»

فيقولون: (ذهبت دولة أهل الشام.. فيثورون ويبلغ ابن الكلبية فيثور إليهم، فيقتتلون بالأولوية فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يدخلوا الكوفة.. فيقتل المقاتلة- الرجال المقاتلون- ويسبي الذرية والنساء ثم يخرب الكوفة ثم يبعث منها جيشاً إلى الحجاز).

نعود إلى وصف السفياني كرب دولة وحاكم فهو حاكم مسلم علماني عميل للغرب يكون بالشام، ويعمل على تنفيذ الأجندة الغربية على أبناء الأمة العربية وفرضها بالقوة العسكرية، وفي سبيل ذلك يهلك أرواح كثيرين، وينتهك المحرمات، ويدوس المقدسات، وينكل بالدماء الزكية.

وبناء على ما سبق فيحتمل أن ينتهي نسب السفياني إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، أو أنه يسير في المسلمين بسيرة آل أبي سفيان، وهناك من الآثار ما تناوله كثيرون يدلنا على أن انتهاء نسب السفياني إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، ومن تلك الآثار تأويل المفسرين لآيات القرآن الكريم.

عن سهل بن سعد عن أبيه عن جده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال سهل: إما هذه الرؤيا هي أن رسول الله ﷺ كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات ﷺ، فنزلت هذه الآية مخبرة أن ذلك من تملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا.. وكلمة ينزون تعني: يعلون ويقفزون كما تفعل القردة(١).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لمروان بن الحكم: (سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن)(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشجرة بنو أمية يعني الحكم بن أبي العاص، قال: «رأى رسول الله ﷺ في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره»، ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضي الله عنها لمروان: «لعن الله أباك

(١) تفسير القرطبي والطبري وابن كثير والآلوسي والفخر الرازي وغيرهم.

(٢) رواه أبن مردويه.

وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنة الله»[١].

وفي زمن السفياني تقع حروب طاحنة تفتك بالأمة، وطاعون يحصد أرواح الناس، وزلازل تخسف بالعباد، وصراعات تقسم الأمة إلى أحزاب متحاربة، فتنهال عليها الخطوب من كل جانب، وهو ما ورد في سنن أبي داود عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: (كيف أنت يا أبا ذر وموتا يصيب الناس حتى يقوم البيت بالوصيف (يعني القبر)؟، قلت: ما خار الله لي ورسوله، أو قال: الله ورسوله أعلم، قال: تصبر، قال: كيف أنت وجوعاً يصيب الناس حتى تأتى مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك، ولا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟، قلت: الله ورسوله، قال: الحق بمن أنت منه، قلت: يا رسول الله أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك؟، قال: شاركت القوم إذاً.. ولكن ادخل بيتك، قلت: يا رسول الله فإن دُخل عليَّ بيتي؟، قال: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمة وإثمك فيكون من أصحاب النار[٢].

روي الإمام أحمد في مسنده عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن هذا الحي من مضر لا تدع لله في الأرض عبداً صالحاً إلا فتنته وأهلكته، حتى يدركها الله بجنود من عباده فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعة).

عن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحي الله تعالي إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ...﴾.

من خلال مطالعتنا لآثار وأحاديث السفياني عن أهل التسفير والحديث والتي ذكرنا بعضها عند أهل السنة والشيعة وخاصة عند نعيم بن حماد وما رواه عن الزهري قال: (يبايع السفياني «الأول» أهل الشام، فيقاتل أهل

(١) تفسير الفخر الرازي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر وذكره صاحب فتح الباري.

المشرق فيهزمهم فى فلسطين حتى ينزلوا مرج الصفر، ثم يلتقون فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى ينزلوا مرج الثنية، ثم يقتتلوا فتكون الدبرة على أهل المشرق حتى يأتوا الحص، ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق، حتى يبلغوا إلى المدينة الخربة يعني قرقيسياء، ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق، حتى ينتهوا إلى عاقرقوفا، ثم يقتتلون فتكون الدبرة على أهل المشرق، فيحوز السفياني الأموال.. ثم تخرج في حلق السفياني «الأول» قرحة ثم يدخل إلى الكوفة غدوة ويخرج منها بالعشي بجيوشه فإذا كان بأفواه الشام توفي، وثار أهل الشام فبايعوا ابن الكلبية اسمه عبدالله بن يزيد ابن الكلبية «السفياني الثاني»، غائر العينين مشوه الوجه فيبلغ أهل المشرق وفاة السفياني «الأول» فيقولون ذهبت دولة أهل الشام، فيثورون ويبلغ ابن الكلبية فيثور بمجموعه إليهم فيقتتلون بالألوية فتكون الدبرة على أهل المشرق، حتى يدخلوا الكوفة فيقتل المقاتلة.. ويسبي الذرية والنساء، ثم يخرب الكوفة، ثم يبعث منها جيشاً إلى الحجاز).

ففي هذا الأثر نرى أن السفياني اثنان متتاليان وهما أهم ما في أحداث آخر الزمان، وترجمة مفردات الأثر كالتالي:

■ مرج الصفر مكان في جنوب دمشق وليس بعيد عن بلدة الكسوة.

■ مرج الثنية: ثنية العقاب «الثنايا» والمرج مرج عذراء على مقربة من دمشق.

■ يأتوا الحص: على مقربة من حلب.

■ قرقيسياء: هي بلدة البصيرة حالياً في سوريا حيث يلتقي الخابور بالفرات.

■ ابن الكلبية: نسبة إلى ميسون ابنة مجدل أم يزيد بن معاوية.

■ عاقرقوفا: عقرقوف قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ.

■ جيشا إلى الحجاز: وهو الجيش الذي يخرب المدينة، ويبقر البطون،

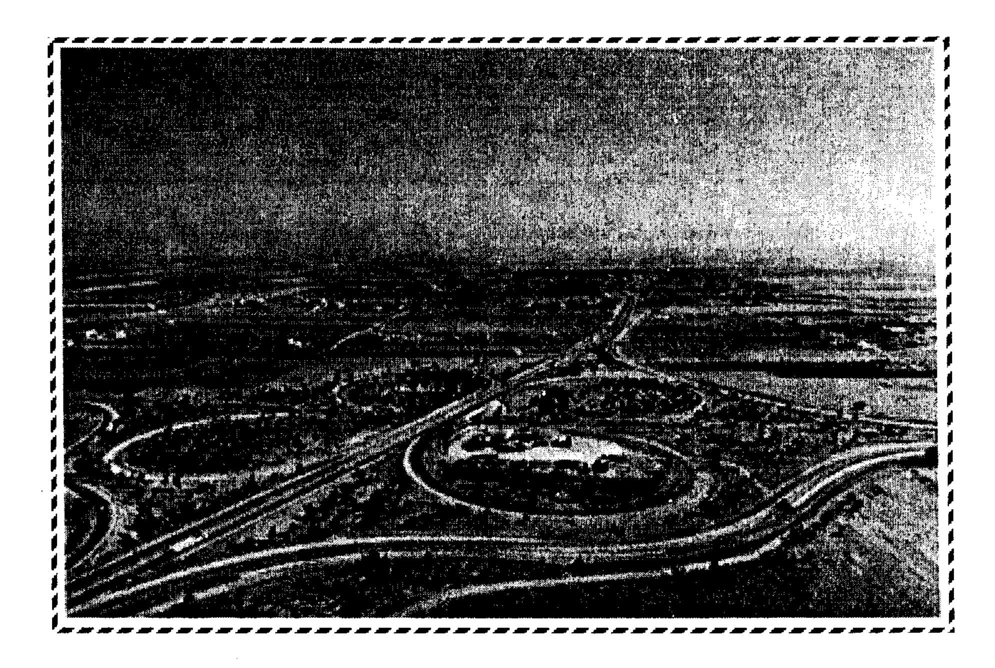
ويقتل بني هاشم وأهل بيت رسول الله ﷺ، ويسفكون الدم الزكي عند أحجار الزيت، ويعلقون الجثث الشريفة على باب المسجد النبوي كما روي نعيم بن حماد في الفتن: عن أرطأة قال: «يدخل الأزهر ابن الكلبية (السفياني الأول) الكوفة فتصيبه قرحة فيخرج منها فيموت في الطريق، ثم يخرج رجل آخر منهم (السفياني الثاني) بين الطائف ومكة أو بين مكة والمدينة من شبب وطباق وشجر بالحجاز مشوه الخلق مصفح الرأس حمش الساعدين غائر العينين في زمانه تكون هدة.

ونفهم أيضاً أن السفياني الأول يخرج فيملك ثلاث سنين ونصفا، ووصفه في بعض الآثار بأنه: الأزهر أو الأزهري ابن الكلبية أو ابن آكلة الأكباد، وهو رجل أبيض جعد البشرة.

والسفياني الثاني: يأتي بعد السفياني الأول فيملك حمل امرأة[1]، اسمه عبدالله بن يزيد، وما عبدالله يوما، ويقال أيضاً: ابن الكلبية والصخري وينعت بالسفياني المشوه والله أعلم.

■ ■ ■

(١) أي نحو تسعة أشهر أو ستة أشهر وهي أقل مدة الحمل.



منطقة وادي حوران أو وادي اليابس محاذية لفلسطين المحتلة

وأطلق عليه وادي الرّيان أيضاً، ويقع إلى الشمال من مدينة عجلون- الأردن..
إنه الوادي اليابس (بالأردن) الذي يخرج منه السفياني الأخير

السفياني هو محرك الثورات المضادة لثورات الربيع العربي

الثورات العربية التي تجتاح الوطن العربي تواجه ثورات مضادة عنيفة ويعتبر السفياني هو الثورة المضادة التي سيصنعها الغرب والأمريكان ويستبقون بها ظهور المهدي لوأد حركته في المهد بصنع شخصية بديلة ومناقضة له تحقق لهم مصالحهم في المنطقة وتنفذ مخططاتهم الشيطانية، وسيحشدون له كل الوسائل الإعلامية والدعائية لتحسين صورته وإظهاره في صورة المُخلص للأمة الإسلامية (المهدي المنتظر) المرسل من الله لتحقيق الوحدة الإسلامية لهم من خلال تظاهره بالحرص على الوحدة الإسلامية والعداء لليهود والغرب والأمريكان، أي أنه سيقود الثورة المضادة لعودة الأنظمة القمعية التي أطاحت الثورات الشعبية بقادتها.

فالسفياني سيكون عميلاً للغرب والأمريكان واليهود يظهر بالشام ويتظاهر بالتدين والحفاظ على المقدسات الإسلامية والقومية العربية، ثم يقوم بثورة كبرى في هذه المنطقة ويتولي على أثرها الحكم في سوريا ويخضع الكُوَرَ الخمس لحكمه (سوريا والأردن وفلسطين ولبنان والعراق)، ويثير بعد ذلك فتنا كبري في المنطقة بين أهل السنة والشيعة في المنطقة العربية تنفيذاً للمخططات الصهيوأمريكية، ويستخدمه الغرب والأمريكان لقمع كل الثورات العربية في المنطقة وحركات المقاومة المؤيدة للمهدي المنتظر والمترقبة لإعلانه عن نفسه في أي لحظة عندما يأتيه الأمر الإلهي بذلك حيث ستكون معظم علامات خروجه قد تحققت وأهمها ظهور هذا السفياني، وسيرتكب الكثير من الأعمال الإجرامية والمجازر الوحشية في سوريا والمنطقة العربية.

فالسفياني هو أحد الذين يأتون على دبابات أمريكية أو غربية كالذين رأيناهم في أعقاب غزو أفغانستان أو العراق، وسيحدث ذلك لا محالة مع نزول الجيوش الغربية بدابق أو الأعماق، وهو ضمن الملاحم التي تحدث في فتنة الدهيماء، عندئذٍ يكون مصير الشام كمصير العراق وتلحق بهما مصر كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم)، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه (رواه مسلم).

وإذا بدأت فتنة الشام التي تشمل فتنة فلسطين وسوريا انتهت بظهور المهدي عليه السلام، والمسيح الدجال، والمسيح عيسي ابن مريم عليه السلام.. ولقد بدأت فعلا ونحن نعيش الآن في كنفها، وللمزيد نرجو أن تضغط هنا.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أحذركم سبع فتن تكون بعدي، فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشام وهي السفياني)، قال ابن مسعود: منكم من يدرك أولها.. ومن هذه الأمة من يدرك آخرها. قال الولي ابن عياش: فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنة عبدالله بن الزبير، وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ومن خلال قراءتنا للآثار الصحيحة والضعيفة عن السفياني ويمكن إجمال الأحداث منذ ظهور السفياني إلى هزيمته على يد جيش المهدي ومقتله على النحو التالي:

وجود فتنة خاصة ببلاد الشام، يكون محورها فلسطين، تسمي: فتنة الدهيماء، والتي بدأت فعلاً وينتج عنها القتل والتشرذم والضعف والضائقة

الاقتصادية للأمة الإسلامية.

صراع بين فئتين رئيسيتين يقع على أرض الشام، وهو أهل الغرب والمسلمين.

حدوث زلزلة في دمشق تسبب هدم غربي سور مسجدها الغربي، وخسف بعض ضواحيها يصل إلى حرستا.

صراع ثلاثة زعماء على السلطة في بلاد الشام: الأبقع والأصهب والسفياني، وغلبة السفياني وسيطرته على سوريا والأردن، وتوحيد المنطقة تحت حكمه.

دخول قوات الغرب إلى بلاد الشام واتخاذها قاعدة لهم، ناحية دابق أو الأعماق قريبا من حلب حيث على أرضها تكون الملحمة الكبري.

عن الإمام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا اختلف الرمحان بالشام، لم تنجل إلا عن آية من آيات الله، قيل وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام، يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك، فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، والرايات الصفر، تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فانظر خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي)[1].

وآكلة الأكباد: هند زوجة أبي سفيان وأم معاوية؛ والسفياني من أولاد معاوية.

والوادي اليابس: يقع في منطقة حوران عند درعا، في منطقة الحدود السورية الأردنية الحالية.

عن مكحول أن رسول الله ﷺ قال: «للترك خرجتان خرجة منها خراب

(١) الفتن- لنعيم بن حماد.

أذربيجان، وخرجة يخرجون في الجزيرة يحتقبون ذوات الحجال فينصر الله المسلمين فيهم ذبح الله الأعظم.. لا ترك بعدها» «رواه نعيم بن حماد»(١).

أما خرجتهم الأولى: انقضت في احتلالهم لأذربيجان قبل الحرب العالمي الثانية وبعدها، خرجتهم الثانية: فتكون إلى الجزيرة وهي اسم لمنطقة بين العراق وسوريا قرب منطقة قرقيسيا ويكون خروجهم إليها في وقت ظهور السفياني الأخير.

ومعنى أن النصر فيها للمسلمين بهلاك أعدائهم الجبارين بقتال يقع فيهلك الظالمين بالظالمين.

عن على بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «يظهر السفياني على الشام، ثم يكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان، ويقتلون شيعة آل محمد ﷺ بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي» «رواه الحاكم في المستدرك».

عن ابن أرطأة قال: إذا خسف بقرية من قرى دمشق وسقطت طائفة من غربي مسجدها فعند ذلك تجتمع الترك والروم يقاتلون جميعاً وترفع ثلاث رايات بالشام ثم يقاتلهم السفياني حتى يبلغ بهم قرقيسيا. (هي بلدة البصيرة حاليا في سوريا حيث يلتقي الخابور بالفرات)(٢).

وسبب معركة قرقيسيا التي تفني الجيوش المتحاربة فهو انحسار الفرات على جبل من ذهب: وهو ما ورد في البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو)، وأورد ابن ماجه والإمام أحمد في ذات الحيث «فيقتل من كل

---

(١)، (٢) الفتن- لنعيم بن حماد.

عشرة تسعة»، وفي حديث آخر: «من كل تسعة سبعة».

وهو سبب اندفاع الناس للانضمام بكثرة إلى الجيوش المتقاتلة على ذلك الكنز، وبخاصة أن الناس قد بلغ بهم الجهد والجوع في تلك السنة الجدباء، وكل واحد منهم يقول: (لعلي أكون أنا الذي أنجو).

ومن علامات ظهوره كما روى نعيم بن حماد في الفتن: (في الرايات الثلاث) عن أرطأة قال: «إذا اجتمع الترك والروم، وخسف بقرية بدمشق (حرستا)، وسقط طائفة من غربي مسجدها (المسجد الأموي)، رفع بالشام ثلاث رايات: الأبقع والأصهب والسفياني، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه، ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني، فإذا أقبلت مادة الأبقع من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم، فيقتل الترك والروم بقرقيسيا حتى تشبع سباع الأرض من لحومهم).

عن محمد ابن الحنفية قال: «إذا اختلفوا بينهم رفع بالشام ثلاث رايات راية الأبقع وراية الأصهب وراية السفياني»[١].

عن سعيد بن الأسود عن ذي قريات قال: «يختلف الناس في صفر ويفترق الناس على أربعة نفر، رجل بمكة العائذ، ورجلين بالشام أحدهما السفياني والآخر من ولد الحكم أزرق أصهب، ورجل من أهل مصر جبار فذلك أربعة»[٢].

عن ابن مسعود قال: «يتبدي نجم، ويتحرك بإيليا رجل أعور العين، ثم يكون الخسف بعدُ».

وجفاف نهر الفرات متوقع سنة ٢٠١٥ بسبب قيام تركيا بتنفيذ أضخم المشروعات الإنمائية في العالم في العصر الحديث، وهو عبارة عن مشاريع متعددة هي:

(١)، (٢) الفتن- لنعيم بن حماد.

■ مشروع جنوب شرق الأناضول (الغاب)، ومشروع سد اليسو، والذي بدأ العمل بهما في العام ١٩٨٣ ويفترض أن يكون في العام ٢٠١٠ إتمام بناء ٢٢ سداً و١٩ محطة لتوليد الطاقة الكهربائية بالماء، ومشروعات أخرى متنوعة في قطاعات الزراعة والصناعة والمواصلات والري والاتصالات.

■ ومن أهم سدود مشروع الغاب، سد أتاتورك، وقد دشن ذلك السد في يوليو ١٩٩٢، ويقع على نهر الفرات، على بعد ٢٤ كلم من مدينة بوزرفا، وهو يعد الثالث في العالم من حيث حجم قاعدته ٨٤,٥م٣، والثامن من حيث الارتفاع ١٩٠م والخامس عشر من حيث حجم المياه في بحيرة السد، والثامن عشر من حيث إنتاج الطاقة الكهربائية.

■ مشروع سد أورفة: الذي شرعت تركيا في بنائه، ويستطيع سد أورفة بعد إتمامه بحلول العام ٢٠١٣ أن يحبس مياه دجلة والفرات لمدة ٦٠٠ يوم، مما يعني تجفيف مياه النهرين تماماً، وهو الأمر الذي أثار مخاوف دمشق وبغداد اللتين تعتبران التعاون المائي التركي- الإسرائيلي بداية لحرب أقسى بكثير من الحروب العسكرية.

■ المشروعات الأخري: وإلي جانب سد أتاتورك وسد اليسو هناك سدود أخرى عديدة تنفذها تركيا اعتماداً على مياه نهري دجلة والفرات منها: بريجيك، قرة قايا، غازي عنتاب، كيبان، ودجلة.. إلخ.

سوف تؤدي تلك المشروعات الإنمائية الأضخم في العالم والتي تجري حالياً في تركيا إلي: انخفاض منسوب المياه الجارية في نهر الفرات بنسبة حوالي ٩٠٪ من المنسوب الحالي بحلول عام ٢٠١٣، وبعدها يبدأ العمل على امتلاء خزان السد الكبير، حيث يحتاج ذلك إلى استيعاب كل مياه نهر الفرات ودجلة إلا قليلاً، وعندها ستقع الكارثة بالبلاد لا محالة ويجف نهر الفرات كما ورد بالأحاديث وهو من دلائل النبوة.

مشروع الغاب من حيث المساحة هو أضخم مشروع في العالم، ويشمل

ثماني محافظات، وعند إتمامه تقارب مساحة الزراعة المروية من خلاله ٨,٥ مليون هكتار أي نحو ١٩٪ من مساحة الأراضي المروية في تركيا، وتوفير ١٠٦ مليون فرصة عمل جديدة في هذه المناطق ذات الأكثرية الكردية، وفي حال امتلاء السد ستبلغ كمية المياه المخزنة ٤٨,٧ مليون م٣ والارتفاع الأقصي لمنسوب المياه ١٦٢م بعرض ١٥ متراً، أي ما مجموعة ٨٨٢ ألف هكتار، ومن المقرر أن يتم ري ١,٧ مليون هكتار من الأراضي- أي ما يساوي مساحة بلجيكا.

ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو».

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»، وفي رواية أخرى أنه قال: يحسر عن جبل من ذهب». (رواه البخاري في صحيحه).

وجاء في سفر الرؤيا، قوله: «ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات، فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس»، الإصحاح ١٦/١٢.

■ ■ ■

أهم معارك السفياني وتصورات العالم الغربي عنها

هناك معركة فاصلة بين المشرق والغرب تحدث عنها الكثيرون في الغرب والشرق وكذلك تحدثت عنها الكتب المقدسة في الإسلام واليهودية والمسيحية واهتم بها الكُتاب قديماً وحديثاً ولها مسميات عدة ومختلفة منها هرمجدون والملحمة الكبري وقرقيسيا.

وعند الشيعة الإمامة فإن معركة قرقيسيا، من أهم المعارك التي تسبق ظهور السفياني ففي غيبة النعماني عن الإمام الباقر أن «لولد العباسي والمروافي لواقعة بقرقيسياء يشيب فيها الغلام الحزور، يرفع عنهم النصر ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض شبعى من لحوم الجبارين ثم يخرج السفياني».

وحسب هذا الرأي فإن هذه المعركة «قرقيسيا» تسبق ظهور السفياني حيث إنها تكون بين العباسيين وبني مروان وهم أحد فروع بني أمية أصل السفياني الذي آلت إليهم الخلافة بعد يزيد بن معاوية وينتهي الصراع لصالح السفياني أي فرع معاوية بن أبي سفيان.

ومما قيل عن تلك المعركة أن سببها الذهب وجبل الذهب، وتلك المعركة تشسبه معركة هرمجدون عند أهل الكتاب والملحمة الكبرى عند المسلمين السنة، ومعنى العباسيين والأمويين هنا إشارة إلى فريقين مختلفين أو من هم امتداد لهما في النسب أيضاً.

وقرقيسيا مدينة صغيرة تقع عند مصب نهر الخابور على نهر الفرات على الحدود السورية العراقية أي إنها من المدن السورية الشمالية على أطراف بادية الشام وعلي بعد ١٠٠كم، من الحدود العراقية؛ وهي اليوم

أطلال قرب مدينة الزور السورية ويتم التنقيب عن البترول فيها، وقال عنها حمزة الأصبهاني إن أصل التسمية هي «كركيسيا»، ومأخوذة من «كركيس» وهو اسم لإرسال الخيل المسمي بالعربية «الحَلبَة».

ولا يوجد اختلاف بين أهل الكتاب وما جاء عن معركة قرقيسياء، أو الملحمة الكبرى إلا في مكان المعركة.

وقد ذكر الكاتبَ البريطاني «سيمون بيرسون»[1] في كتابه الحرب الشاملة عام ٢٠٠٦م، وقد اعتمد في نبؤاته وتوقعاته على نصوص التوراة «العهد القديم» وخاصة سفر «أرميا».

ويري سيمون بيرسون أن الحرب الشاملة ستقع بين التحالف الإسلامي وروسيا من جانب والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من جانب آخر، وتبدأ تلك الحرب بحرب البلقان، ثم الحرب الكورية الثانية، ثم ثورات عربية إسلامية في البلاد العربية يؤدي إلى توحيدها تحت راية صلاح الدين الجديد نصفه كردي والآخر ألماني!!.

ويبلغ الأمر مداه حين تتوحد البلدان العربية تحت راية واحدة وزعيم واحد كما حدث في عصر صلاح الدين الأيوبي وتقوم مملكة فلسطين الإسلامية التي تضم الأردن يقودها العاهل الأردني.

وعن الكاتب البريطاني تقوم ثورة جديدة في روسيا تأتي بحكومة جديدة يسيطر عليها صلاح الدين الحالي من مقره في مدينة «قم» الإيرانية ثم تحدث انتفاضة إسلامية في بلدان الغرب بفرنسا وإيطاليا وبريطانيا.

ثم تمضي الأحداث سريعة حيث تهدد الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام السلاح النووي، لكن صلاح الدين الجديد يسبقها باستخدام السلاح الكهرجومغناطيسي الجديد الذي طوره علماء المسلمين حيث يدمر

(١) شغل بيرسون منصب مساعد رئيس الأركان في الجيش البريطاني لشؤون السياسة.

هذا السلاح الجديد الترددات الكهربائية المستخدمة في الأجهزة الإلكترونية حتى في الطائرات والأقمار الصناعية والصواريخ، وفي لحظات تتحول دولة إسرائيل إلى مجتمع العصر الحجري.

يرى الكاتب البريطاني أن هذا يحدث حتى تعتلي رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية امرأة فهل تتحقق توقعات الكاتب البريطاني وخاصة بعدما نافست هيلاري كلينتون في السنوات السابقة «أوباما» على مقعد الرئاسة؟!

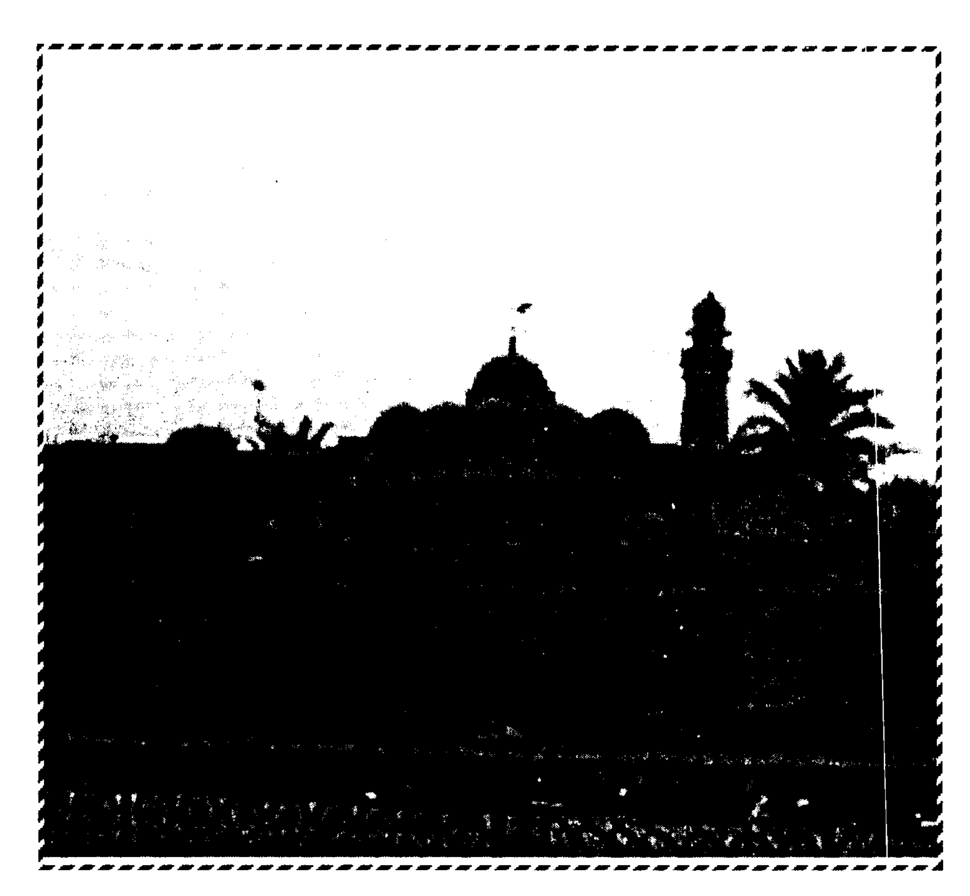
إننا نرى أن الكاتب كان يرمز إلى شخصية المهدي الموجودة في التراث الإسلامي على أنه صلاح الدين الجديد ولكنه يراه من منظور الشيعة الإمامية في إيران حيث تحاول إيران الإسلامية امتلاك السلاح النووي في مواجهة الغرب بينما العرب غافلون عنه.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها تستعد لهذا اليوم ببناء حوائط دفاعية ضد أي هجوم محتمل حسبما يتوقع الغرب، إضافة إلى منع إيران من بناء مفاعلها النووي تحسباً لما يمكن أن يحدث مستقبلاً، فهم يؤمنون بعقيدة الهرمجدون الإنجيلية وهي المعركة الفاصلة عند الإنجيليين الجدد في أمريكا وهي العقيدة التي تروج لها الصهيونية الحديثة المتحالفة مع الإنجيلية الأمريكية، وهم يعتمدون على ما جاء في سفر الرؤيا بالإصحاح السادس عشر وهو النص الذي يصف معركة هرمجدون: (لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء ها أنا آتي كلص، طوبي لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عورته فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبراني هرمجدون...) سفر الرؤيا ١٦: ١٢ - ١٦.

ولكن إذا أمعنا النظر في المعارك التي ستدور على أرض الشام آخر الزمان من وجه نظر أهل الكتاب والمسلمين بطوائفهم ومذاهبهم نرى أن كل معركة من تلك المعارك لها مسميات مختلفة حسب مكان المعركة كما ذكرنا وإنها بالتالي ليست معركة واحدة إلا في وصفها بأنها معركة الحسم،

وبالتالي فإنها معارك متعددة وليست معركة واحدة، وبالتالي تكون تلك المعارك سلسلة في أحداث آخر الزمان، ونرى أن المعركة الحاسمة هي التي نسميها الملحمة الكبرى والتي أخبرنا بها رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحة والتي ستكون البوابة لفتح وغزو أوروبا بقيادة المهدي والله أعلم.

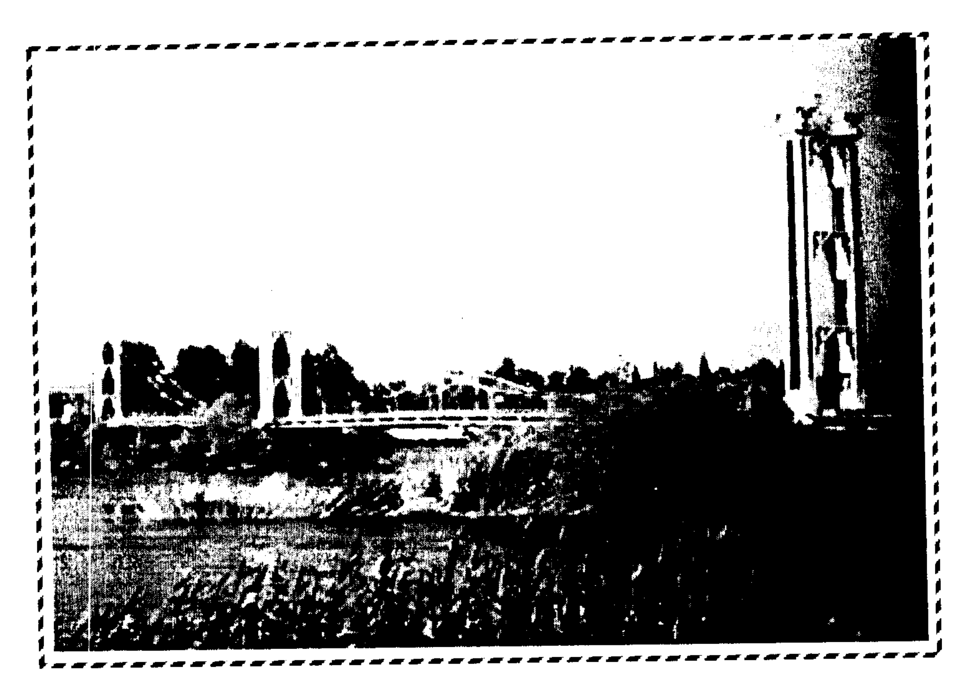
■ ■ ■



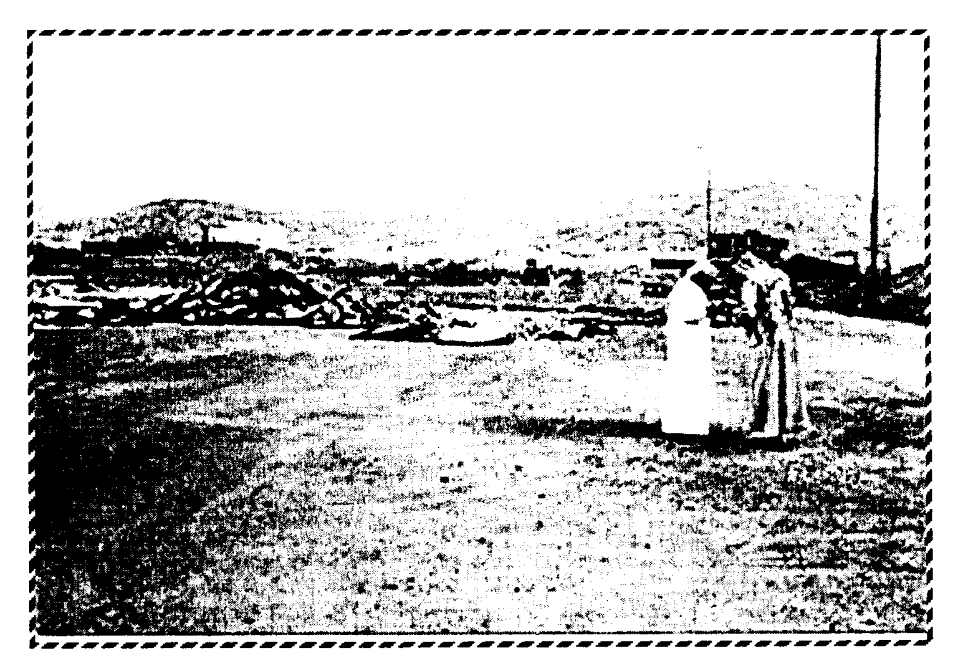
مدينة قرقيسيا «البصيرة»

تقع قرقيسياء شرقي مدينة دير الزور بمسافة ٤٣ كم عند ملتقى نهر الخابور بالفرات في منطقة زراعية خصبة

كان اسمها تاباكان ثم شويرا ثم سوكي بالعهد الآشوري سماها اليونان تركبسون وسماها الرومان سيرسيوم وعندما فتحها العرب كان اسمها قرقيسياء نسبة إلى قرقيسيان الملك طمهور.



صور مدينة قرقيسيا «البصيرة» التي تشهد أهم المعارك بين الشرق والغرب عند الشيعة الإمامية في عصر ظهور السفياني



بلدية البيداء بالمدينة المنورة

تشهد واقعة الخسف بجيش السفياني (الجيش الأول)



معاوية (أطم بني): الأطم والأجم بمعنى واحد، وهي الحصون بالمدينة المنورة.

المُعرَّس (الثنية المُعرَّس)

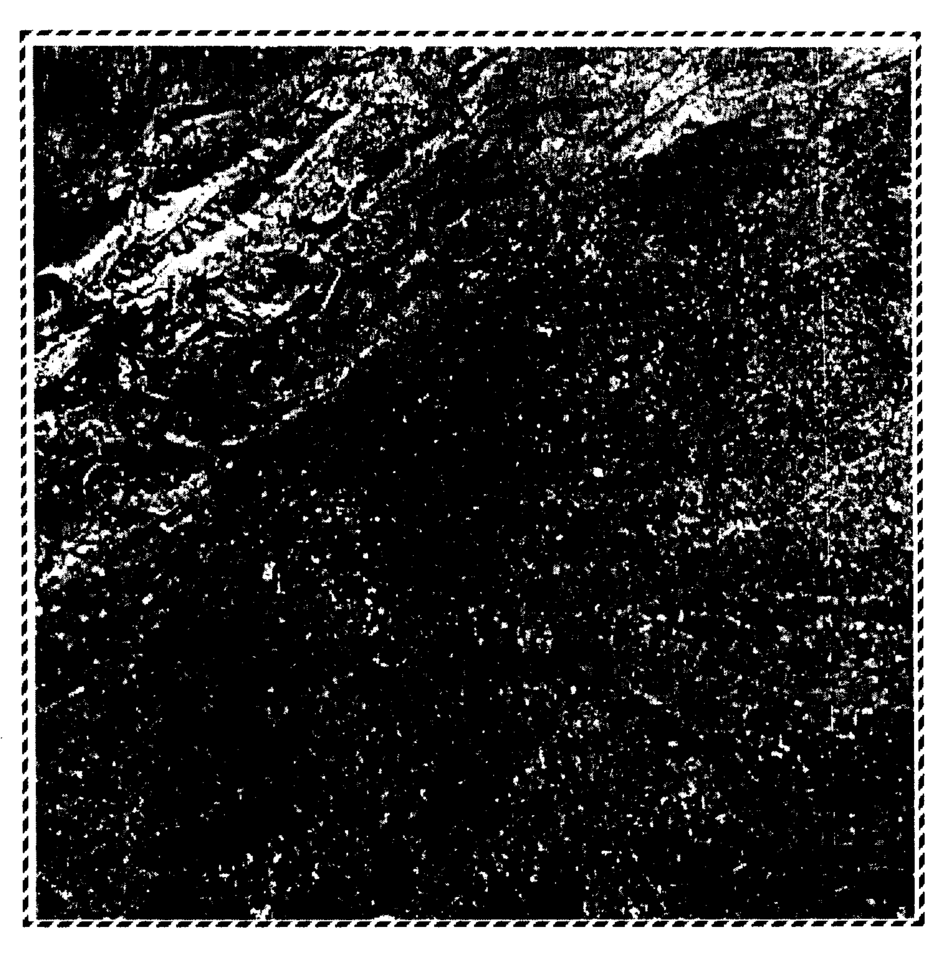
البخاري	مسلم	أبو داود	الترمذي	النسائي	ابن ماجه

التعريس: نومة المسافر بعد إدلاجه من الليل، فإذا كان وقت السَّحر أناخ ونام نومة خفيفة، ثمَّ يثور مع انفجار الصُّبح لوجهته.

والمُعرَّس (وثنية المعرَّس): على طريق مكَّة المكرمة، عند الحليفة، ببطن الوادي، قرب المدينة المنورة.

(معجم البلدان ١٥٥/٥)

مخطط لمنطقة البيداء وما حولها- على مشارف المدينة المنورة



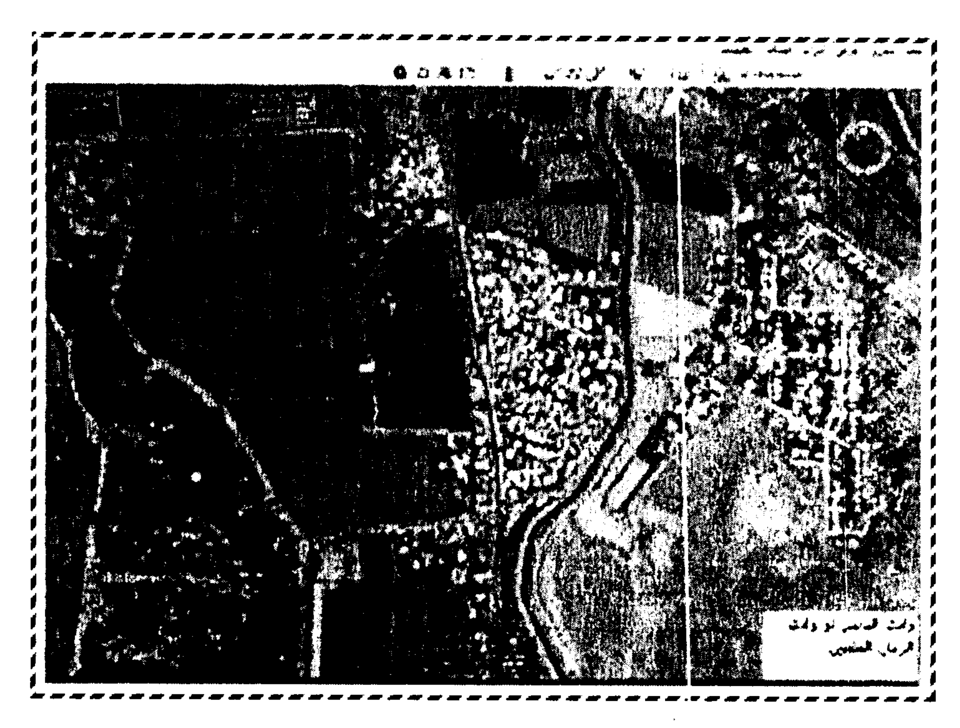
الوادي اليابس أو وادي الريان الذي يخرج منه السفياني



الوادي اليابس أو وادي الريان

ويقع في الجزء الجنوبي من لواء الكورة، ويمتاز بوجود خمس طواحين تعمل بقوة حركة المياه يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر الميلادي، جُدد بناؤها عدة مرات خلال الفترات اللاحقة.

رممت دائرة الآثار إحداها (طاحونة عودة) وأعادت استعمالها كنموذج لطواحين الوادي.



الو دي اليابس على حدود الأردن والعراق

5

أرض الشام تشهد أهم المعارك في التاريخ البشري

- الهرمجدون اسم معركة تقع على أرض فلسطين ذكرها العهد الجديد.
- أرض الشام تشهد الملحمة الكبرى على أرض «دابق».
- نزول الروم بأرض الشام آخر الزمان «بالأعماق».
- معسكر المسلمين في معركة الملحمة الكبرى بغوطة دمشق «ريف دمشق».
- المهدي يقود الملحمة الكبري ومعارك أخرى من أرض الشام.

الهرمجدون اسم معركة تقع على أرض فلسطين ذكرها العهد الجديد

لم يأت ذكر معركة هرمجدون في مصادر المسلمين ولا اليهود وإنما جاء ذكرها في سفر الرؤيا الإصحاح ١٦ وهذا السفر تابع للعهد الجديد الذي يشمل أيضاً الأناجيل الأربعة.

وكلمة هرمجدون أو أرمجدون وهي كلمة عبرية مكونة من كلمتين هي: «هار» بمعني تل أو جبل و«مجدو». اسم مدينة تقع شمال فلسطين يطلق عليها اسم «مجيدو» على بعد ٩٠كم، شمال مدينة القدس و٣٠كم جنوب شرق مدينة حيفا وهي مدينة ضاربة في التاريخ الإنساني تعود إلى ما قبل الميلاد.

وهي تمثل عند المسيحيين مكانا يحدث على أرضها معركة فاصلة بين قوي الخير والشر وتجتمع عليها جيوش وملوك العالم حيث يجمعهم الله للحساب ويسمى أيضاً يوم الرب القدير.

ويستند اليهود إلى النص الوارد في سفر الرؤيا ١٦ (معركة هرمجدون) ستقع في الوادي النسيح المحيط بجبل مجدون في أرض فلسطين وأن المسيح سوف ينزل من السماء ويقود جيوشهم ويحققون النصر على الكفار، والنص كما يلي:

(ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير- الفرات- فنشف ماؤه لكي يُعدَّ طريق الملوك الذي من مشرق الشمس، ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرجه على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء، ها أنا آت كلص، طوبي لمن

يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً، فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون).

وقد صرح القس (بيلي جراهام) عام ١٩٧٧ (بأن يوم مجدو على المشارف، وأن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو، وأن الجيل الحالي يكون آخر جيل في التاريخ، وأن هذه المعركة ستقع في الشرق الأوسط).

وكذلك قال رئيس القساوسة الإنجليكانيين: (سيدمر الملك المسيح تماماً القوى المحتشدة بالملايين للديكتاتور الفوضى الشيطاني).

وهذه الاعتقادات ظهرت عند السياسي اليهودي تيودور هرتزل حيث يقول: (إنه ظهر لي- في عالم الرؤيا- المسيّا- المسيح- الملك على صورة شيخ حسن وخاطبني قائلاً: اذهب وأعلم اليهود بأني سوف آتي عما قريب لاجترح المعجزات العظيمة وأسدي عظائم الأعمال لشعبي وللعالم كله).

وجاء ذكر يوم الفصل على الأرض في العهد القديم أيضاً كما قال النبي يؤئيل: (انفخوا في البوق في صهيون، اهتفوا في جبلي المقدس، ارتعدوا يا جميع سكان العالم، يوم الرب مقبل، وهو قريب، يوم ظلمة وغروب، يوم غيم وضباب). ولأنه يوم الرب قيل إنه يشير إلى الهرمجدون وحكم هذا غير صحيح.

وقد استغل الصهاينة أتباع الدجال إلى تثبيت فكرة المعركة بتفسيرها اليهودي لدي الشعوب للحصول على مكاسب سياسية رخيصة وتنفيذاً لمآرب الصهيونية العالمية وإرضاء لدولة إسرائيل العنصرية، وبهذا تقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل في كتابها النبوءة والسياسة (إن النبوءات التوراتية تحولت في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس نسق معتقداتهم ومن بينهم أنس يرشحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الأمريكية وكلهم يعتقدون قرب نهاية العالم ووقوع معركة هرمجدون، ولهذا فهم يشجعون التسلح النووي ويستعجلون وقوع هذه المعركة باعتبار أن

ذلك سيقرب مجيء المسيح).

وكان الرئيس الأمريكي ريجان يعتقد أنه سيقود تلك المعركة أو يحضرها وذكر ذلك عام ١٩٨٠م مع المذيع الإنجيلي جيم بيكر في مقابلة متلفزة أجريت معه قال: (إننا قد نكون الجيل الذي سيشهد معركة هرمجدون).

وفي تصريح آخر له: (إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون). وهلك ريجان لم يشاهد ولم يحضر تلك المعركة!!

أما الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش عام ٢٠٠٨م قد نقلت عنه مجلة دير شبيغل الألمانية ما يلي: (منذ ذلك الوقت أصبح بوش واحداً من الستين مليون أمريكي الذين يؤمنون بالولادة الثانية للمسيح وهذا ما دعاه إلى القول: بأن المسيح هو أهم الفلاسفة السياسيين في جميع الأزمنة لأنه ساعدني على التوقف عن شرب الخمر).

وللبهائية رأي في معركة هرمجدون يخالف ما ذهب إليه أصحاب الديانات الثلاث، ففي كتاب «معركة هرمجدون» للبهائي كارلوتاجيزن يقول:

(يدَّعي اليهود السامريون والعبرانيون أن النبي المنتظر الملقب بالمسيح الرئيس (المسيّا) إلى الآن لم يظهر) وهو يفسر العبارات التي وردت في سفر الرؤيا إصحاح ١٦ بقوله: (إن الوحوش الثلاثة هي: الذي يخرج من فم التنين: صدام حسين، وإن الذي يخرج من فم الوحش: الرئيس الأمريكي، والنبي الكذاب هو الباب).

كما يربط بين أحداث العراق عام ١٩٩١م عند غزو صدام حسين للكويت وما بعدها من حروب وبين هذه المعركة فيقول: (إن معركة هرمجدون هي معركة دينية بين الإسرائيليين والمسيحيين والمسلمين، والأحداث التي تدور في العالم وبصفة خاصة منذ عام ١٩٩١م تمهد المسرح الدولي لمعركة هرمجدون، كما أن المسائل والقضايا الراهنة تشير بوضوح إلى أن هذه

المعركة ستحدث عما قريب).

ويري البهائيون: (قبل معركة هرمجدون سيكون هناك ١٤٤ ألف فرد على معرفة بالله وفهم ميثاقه، وسيأتي هؤلاء الأفراد من المجموعة التي جرت الميثاق البهائي وخالفوا في سنة ١٩٥٧م خطة الرب وألقوا بميثاقه بعيداً وسيستطيع هؤلاء القوم أن يتغلبوا على الكذبة التي آمنوا بها وستطولهم فيها أحكام الميثاق وسيجتمع هؤلاء الـ ١٤٤ ألف مؤمن بعد تفجير نيويورك، بعدها ستبدأ معركة هرمجدون الكبرى وعند نهايتها سيكون ثلثا العالم قد دمر وهلك).

ولا يوجد في ديننا الإسلامي أي ذكر لهذه المعركة ولا مكانها وإنما جاء ذكر الملحمة الكبرى بدابق قرب دمشق كما سنذكر ذلك.

ويذكر أنه في عام ١٩٨٤م أجرت مؤسسة يانكلوفينش استفتاء ظهر منه أن ٣٩٪ من الشعب الأمريكي أي حوالي ٨٥ مليونا يعتقدون أن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار- قبل قيام الساعة- بحرب نووية فاصلة. وهذا الاعتقاد قد صب في اختيار الرئيس بوش الأب والابن لرئاسة أمريكا ومن قبلهما ريجان أيضاً.

وعند المسلمين فإن هناك إيمان بمعركة كبرى في آخر الزمان تقع بين المسلمين والغرب المسيحي دون الإشارة إلى اسم هرمجدون تحديداً، وينتهي الأمر بانتصار المسلمين في المعركة، ثم معركة أخرى فاصلة بين المسلمين بقيادة المهدي واليهود بقيادة الدجال.

وجاء في قاموس يانج للكتاب المقدس عن «الهرمجدون»:

هذه الكلمة لموقع (معركة اليوم الأعظم للرب القادر) حسب النص (في اليوم العظيم، يوم الرب القدير، فجمعهم في المكان الذي يدعى بالعبرية هرمجدون وهذه الكلمة تعني جبال مجدون في الوادي الكبير بمدينة مجدون

القديمة حيث دارت، معارك الأزمنة الغابرة، وهي تشير إلى معركة شرسة مدمرة ستدور رحاها في ذلك الوادي (وادي يزرعيل).

لقد شهد هذا المكان عدة حروب وقد دمرت المدينة وأعيد بناؤها في غضون عشرين عاماً، وتوجد هذه المدينة حالياً التي كانت إحدي أهم مدن سليمان والملك آخاب على انقاض المدينة القديمة وتحمل نفس الاسم (هرمجدون)، هذا باختصار ما قيل عن الهرمجدون عند أهل المسيحية والغرب المسيحي واليهود أيضاً.

■ ■ ■

أرض هرمجدون (تل المسلم) تشهد حملة عسكرية هامة قادها الفرعون تحتمس الثالث

أرض تل المسلم التي تعرف أرض مجيدو أرض معارك، وحروب منذ أيام الفراعنة حيث شهدت حملة عسكرية موثقة في التاريخ، والتي قادها الملك الفرعوني تحتمس الثالث، والذي حكم من عام (١٤٩٧- ١٤٢٥) ق.م، وذلك بسيرها وتنظيمها وخططها العسكرية وسجلت أحداثها على جدران صالة الحولياته في معبد آمون بالكرنك في مصر (الأقصر حالياً) تخليدا لانتصاراته، حيث إنها تبرز رواية الملك الفرعوني في دوافع انطلاق الحملة، وأحداثها، ونتائجها، وقد وثقت من قبل المساعد المرافق والكاتب الخاص لتحتمس الثالث، والذي يدعي (تاجيني).

أرض هرمجدون «مجيدو» تعد من القدم منطقة هامة ومثلت حلقة الوصل بين الطرق التجارية، والعسكرية المارة من السهل الساحلي الفلسطيني باتجاه سهل مرج ابن عامر، ومن ثم إلى سوريا وبلاد ما بين النهرين. فالموقع يرتفع من ٤٠- ٦٠م عن المنطقة المحيطة به، وبلغت مساحته في قمة التل حوالي ٦٠ دونما، وشهدت المنطقة العديد من الحروب القديمة.

امتلك تحتمس الثالث سجية الحاكم العظيم، وكان قائدا عسكريا ذكيا لدرجة أنه لم يخسر معركة في حياته، وتفوق بإدارة نظام الحكم، وعرف بأنه رجل دولة قوي، وتميز بصفات عسكرية قتالية، كممارسته للرياضة، وأتقن رماية السهام، وامتاز بالجدية والاتزان وسبب تلك الحملة إعلان المناطق المجاورة لمصر حالة التمرد على الملك الجديد عند اعتلائه للعرش، لذا فقد وجد نفسه في صراع مباشر مع تحالف الأمراء الخارجين عن حكمه، وكان

التمرد برئاسة حاكم مدينة قادش الواقعة على نهر العاصي بسوريا، وحاكم مدينة مجدو في فلسطين، والذين عملوا على حشد جيش كبير اشترك فيه أكثر من ٣٣٠ حاكما من أمراء المدن الكنعانية في بلاد الشام، والتي رفضت دفع الضرائب واستقلت في إدارة شؤونها لذا فقد قرر تحتمس الثالث الانطلاق في حملة عسكرية من القنطرة بمصر (قلعة سيلة)، فاجتاز صحراء سيناء، ليمر من مدينة غزة التي حافظت على ولائها له، ووصلها في تسعة أيام، ليكون معدل سيره ١٥ ميلا في اليوم، واتجه شمالا نحو مدينة مجدو التي تجمع فيها وحولها ائتلاف الجيوش الكنعانية، لذا أصبح تقدمه بشكل أبطأ داخل الأراضي الكنعانية، وهذا مؤشر على تنقل الجيش داخل مناطق قد تكون لها قوات معادية وبحاجة للحذر، فعمل على وضع حامية عسكرية في مدينة يافا للإبقاء على الاتصال والإمداد، وتوفر الحماية لجيشه في حال أي انسحاب مفاجئ.

ووصول منطقة عارة بعد أحد عشر يوما، والتي تبعد حوالي ٨٠ ميلا عن مدينة غزة، وعقد اجتماعا عسكريا مع قادته من أجل أخذ مشورتهم في اتجاه تقدم سير الجيش، لأن الطريق المؤدية إلى المدينة تتفرع عند تلك النقطة إلى ثلاث طرق، طريقين تمتازين بأن أرضيتها مستوية وسهلة العبور، ولكنها طويلة، وتأخذ وقتا أطول، الأولى: جنوب مجدو وتمر من موقع تعنك، والطريق الثاني يمر من يوكنعام يقود إلى الشمال من مجدو أما الطريق الثالث فهو ممر وادي عارة الواقع بين منتصف الطريقين السابقين، والذي يمتاز بصعوبة استخدامه للجيوش وبضيق ممره كما أنه لا يسمح للجنود إلا أن يمروا منه بشكل فرادى.

وكانت مشورة القادة العسكريية بأن يتجنب تحتمس الثالث والجيش طريق (وادي عارة) لخطورتها على سلامة الجيش، إلا أن تحتمس رفض الاستماع إلى مشورتهم، وقرر السير عبر هذا الوادي، لأن خصمه لا يتوقع منه أن يمر

منه، وأنه يحقق المباغتة، وهذا الممر أقصر من الطرق الأخرى، ويجعل الجيش يعبر إلى سهل مرج بن عامر ليكون على مسافة لا تزيد بميل واحد عن مدينة مجدو. يبدو أن تحالف الكنعانيين أهمل أهمية ميزة العربات الفرعونية، بأنها مركبات خفيفة ويمكن حملها على الخيول في الطريق الضيقة.

واعتقد الكنعانيون أن تحتمس وجيشه سيأتون إما من الطريق الواقع من الجنوب أو الشمال لمدينة مجدو، لذلك فقد وضعوا جيوشهم وعرباتهم على مداخل هذه الطرق وأهملوا طريق وادي عارة.

ومن المؤكد أن تحتمس قد عرف عبر الاستطلاع أن قوات التحالف الكنعاني توقعت قدوم الجيش الفرعوني من ممر تعنك الجنوبي، ورسمت خطتها بأن تكون بداية القتال بالعربات التي تجرها الخيول، والتي تركزت على هذا المدخل، ومن ثم القتال بقوات المشاة المزودين بالسهام الطويلة، وبالتالي يتم إيقاع أكبر الخسائر الجسيمة بجيش تحتمس الثالث قبل خوضهم غمار المعركة.

وتسرد الحوليات على أن الملك الفرعوني ألقي خطبة في قادته، وأخبرهم أنه سيجتاز طريق وادي عارة، وأن عليهم أن لا يشكوا فيها، وأنه أشرف بنفسه على سير الجنود وتنظيمهم في وادي عارة حتى مروا بسلام. اجتاز الوادي في ثلاثة أيام واستكمله قبل غروب الشمس بقليل، ولم يستبعد إمكانية الاشتباك خلال الليل.

وما ذكره في خطبته أنه أوصى جنوده بأن يبقوا ثابتين، ويقظين حتى الصباح، وأن تبقي أسلحتهم مستعدة للقتال، وعمل على تقسيم جيشه إلى ميمنة، وقلب وميسرة. وفي الصباح ترأس الجيش وأمر بالاستعراض خلفه وهم متألقون ويرتدون زيهم العسكري، وبدروعهم اللامعة، والخيول المصطفة بانتظام، والأعلام ترفرف، والبيارق مرفوعة عاليا، ودوت الأبواق وطبول الحرب، وهتافات وصيحات الجنود العالية.

وكان لهذا العرض العسكري الأثر الأكبر في تثبيط معنويات الخصم، وتذكر أيضاً جلوسه في عربته الحربية، وتبرز قوته كشعلة النار عند حمله لسيفه، ومسددا بضرباته، قاتلا وآسرا لأمراء الكنعانيين، وتظهر لنا الرواية المكتوبة الباغتة التي حققها تحتمس الثالث، ونتج عنها أن دبت الفوضى في صفوف جيوش الحكام الكنعانيين، فبدأوا يفرون إلى داخل مدينة مجدو، وتركوا سلاحهم، ومعداتهم الحربية، وعرباتهم وأحصنتهم علما أن البوابات لم تفتح للفارين، وأنه كان يتم سحب الجنود عبر الأسوار وعندما رأي جيش تحتمس فرارهم انشغلوا في جمع الغنائم بدل مطاردتهم وأخذ تحتمس يوبخ جنده على فعلتهم التي أعطت فرصة لجيوش الكنعانيين إعادة تنظيم دفاعاتهم داخل المدينة. حوصرت المدينة، وحفر خندق حولها، ووضع حزام من الأوتار الخشبية حوله، واستمر الحصار سبعة شهور، وقام جيش تحتمس بنهب حقول المدينة حتى استسلم سكانها له.

وهنالك سجل بالغنائم الكثيرة التي جمعها الفرعون من أسرى وعبيد، وحوالي ٩٢٤ عربة، وخيول.. إلخ، وكان لديه سياسة تقوم على استدعاء أبناء أمراء الأقاليم الآسيوية إلى طيبة بمصر، ليتعلموا في مدارسها العادات والتقاليد المصرية ويثقفهم بالثقافة الفرعونية، ويغرس في نفوسهم حبها، حتى إذا ما عادوا إلى بلادهم وتولوا الحكم فيها أصبحوا من أتباعه المخلصين، وبعد ثماني سنوات استطاع الاستيلاء على مدينة قادش التي تزعمت التمرد عليه وتبرز الدلال الأثرية التي كشف عنها في الطبقة الثامنة من الموقع والتي تلت الحملة العسكرية على مجدو أنها شهدت ازدهارا كبيرا وليس تراجعا فقد جرى توسيع القصر ليصل طوله ٥٠م وأحيط بسور عرضه ٢م وعثر بداخله على كنز من المواد العاجية المزخرفة والأواني الذهبية والمجوهرات وأقيم معبد محصن ووجد نقش كتابي باللغة الأكادية على لوح من الطين المشوي يتحدث عن ملحمة جلجامش. بعد إخضاع البلاد الكنعانية

بني أسطولا بحرياً كبيراً ساعد في مد نفوذه، وأصبح قادرا على الوصول إلى أي مدينة ساحلية في فلسطين وسوريا خلال مدة تتراوح من ٣ - ٤ أيام، في حين أن التنقل البري يصل إلى فترة تتجاوز الأسبوعين.

لقد خاض في حياته ست عشرة حملة عسكرية على فلسطين وسوريا، والنوبا، ولم يخسر أيا منها. أظهرت الحملة الأولى لتحتمس بأن قائد عسكري محنك، وعلى أنه مدرك لأهمية تواصل خطوط الإمدادات العسكرية للجيش، من حيث تنقل الجنود السريع، وإيوائهم وتموينهم والمباغتة في الهجوم، والتي تربك الخصم.

وهكذا حقق الفرعون تحتمس الثالث نصراً مؤزراً وربما يكون من أقدم القادة في التاريخ الذين استخدموا الأسطول البحري في دعم الحملات العسكرية.

■ ■ ■



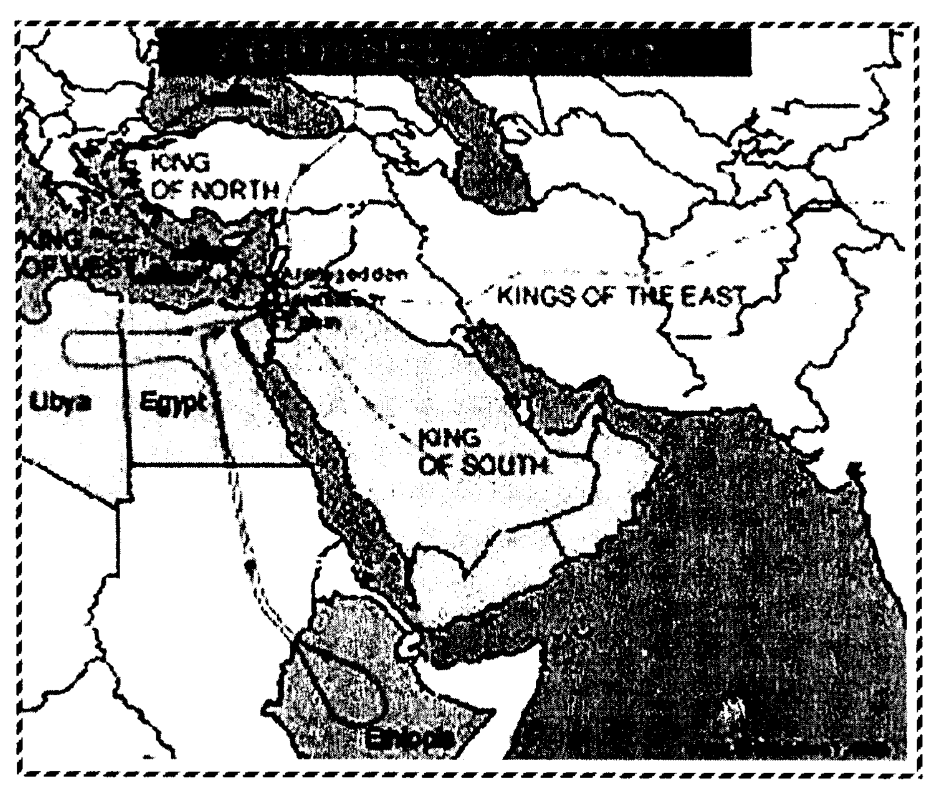
لوحة تعبر عن الدمار الذي من المتوقع أن يحدث في معركة هرمجدون



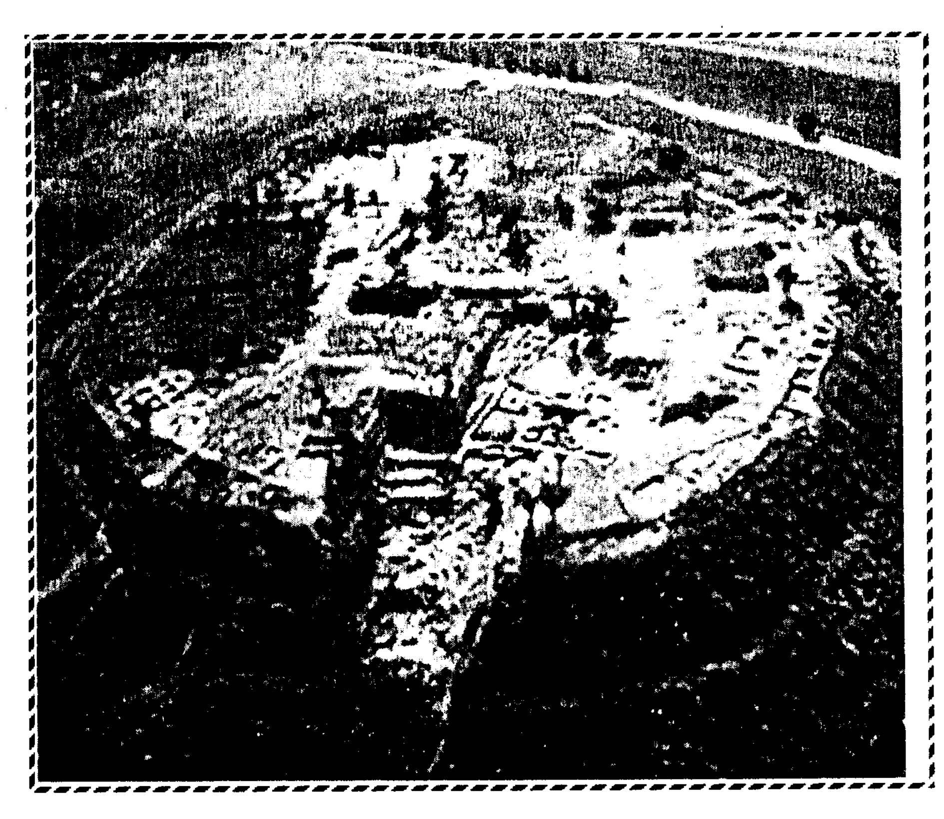
منظر عام لأرض هرمجدون



سهل هرمجدون



خريطة ارمجدون أو هرمجدون



منظر عام لأرض أرمجدون



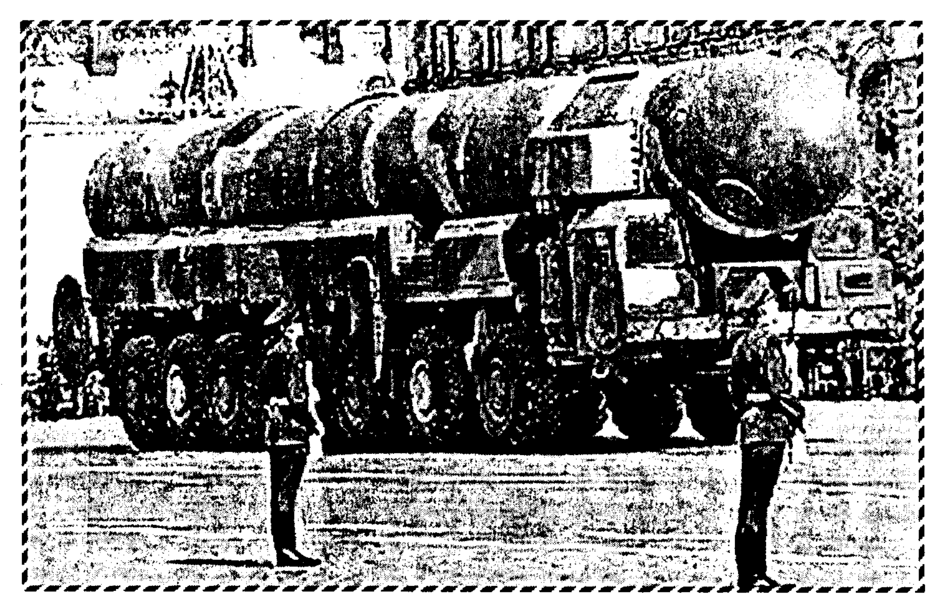
القس (بيلي جراهام) يصرح عام ١٩٧٧: (بأن يوم مجدو على المشارف وأن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو، وأن الجيل الحالي يكون آخر جيل في التاريخ، وأن هذه المعركة ستقع في الشرق الأوسط)



نيويوورد هرتزل يقول: (إنه ظهر لي- في عالم الرؤيا- المسيّا- المسيح- الملك على صورة شيخ حسن وخاطبني قائلاً: اذهب وأعلم اليهود بأني سوف آتي عما قريب لاجترح المعجزات العظيمة وأسدي عظائم الأعمال لشعبي وللعالم كله)



سهل مجيدو مسرح عمليات حرب النهاية



أسلحة الدمار الشامل في إرمجدون



تل المتسلم شهد تل المتسلم أو (سهل مجيدو) أقدم حملة عسكرية موثقة في التاريخ والتي قادها الملك الفرعوني تحتمس الثالث، والذي حكم من عام (١٤٩٧- ١٤٢٥) ق.م، وذلك بسيرها، وتنظيمها، وخططها العسكرية، وسجلت أحداثها على جدران صالة الحواليات في معبد آمون بالكرنك في مصر.

أرض الشام تشهد الملحمه الكبرى

يرى البعض أن الملحمة الكبرى توازى الهرمجدون يوصفها مصطلحا إسلاميا ورد فى الأحاديث النبوية كمعدكه عالمية بين المعسكر الإسلامى والمعسكر الغربى الصليبى، ولكن إذا قرأنا النصوص نجد أن الهرمجدون فى العهد الجديد تقع على أرض فلسطين كما ذكرنا والملحمة الكبرى تقع على أرض الشام بسوريا قرب دمشق بدابق، وقد يأتى هذا الخلط فى أهداف المعركه وأطرافها.

وعلينا التعرف على الملحمة الكبرى من خلال الأحاديث النبوية التى أشارت إليها بوصفها مقدمة لخروج الدجال وتعاصر المهدى، وتحدد تلك الأحاديث أطراف الملحمة وأسباب حدوثها.

عن أبى إدريس الخولانى قال: سمعت عوف بن مالك رَضِوَاللَّهُ قال: أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال: أعدد ستاً بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً.

(رواه: البخارى، وابن ماجه، وهذا لفظ البخارى).

ولفظ ابن ماجه: قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو فى غزوة تبوك وهو فى خباء من أدم، فجلست بفناء الخباء، فقال رسول الله ﷺ (ادخل يا عوف!) فقلت: بكلى يا رسول الله؟ قال: «بكلك». ثم قال: «يا عوف احفظ خلالاً ستاً بين يدى الساعة، إحداهن: موتى». قال فوجمت عندها وجمة شديدة، فقال:

«قل إحدى، ثم فتح المقدس، ثم داء يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم ويزكى به أعمالكم، ثم تكون الأموال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، وفتنة تكون بينكم لا يبقى بيت مسلم إلا دخلته، ثم تكون بينكم وبين بنى الأصفر هدنة، فيغدرون بكم، فيسيرون إليكم فى ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.

ورواه الحاكم أيضاً من حديث الشعبى عن عوف بن مالك الأشجعى رضي الله عنه: قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ورسول الله ﷺ فى قبة من أدم؛ إذ مررت فسمع صوتى، فقال: «يا عوف بن مالك! ادخل» فقلت: يا رسول الله! أكلى أم بعضى؟ فقال: «بل كلك» قال: فدخلت، فقال: «ياعوف أعدد ستّاً بين يدى الساعة». فقلت: ما هن يارسول الله؟ قال: «موت رسول الله». فبكى عوف، ثم قال رسول الله ﷺ: «قل إحدى». قلت: إحدى. ثم قال: «وفتح بيت المقدس، قل: اثنين» قال: «وموت يكون فى أمتى كقعاص الغنم قل: ثلاث». قلت: ثلاث. قال: «وتفتح لهم الدنيا حتى يعطى الرجل المائة فيسخطها، قل أربع، وفتنة لا يبقى أحد من المسلمين إلا دخلت عليه بيته، قل: خمس «قلت: خمس» وهدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر؛ يأتونكم على ثمانين غاية، كل غاية اثنا عسر ألفاً، ثم يغدرون بكم حتى حمل امرأة. قال: فلما كان عام عمواس؛ زعموا أن عوف بن مالك قال لمعاذ بن جبل: إن رسول الله ﷺ قال لى: اعدد ستّاً بين يدى الساعة؛ فقد كان منهن ثلاث، وبقى الثلاث. فقال معاذ: إن لهذه مدة، ولكن خمس أظلتكم، من أدرك منهن شيئاً، ثم استطاع أن يموت فليمت: أن يظهر التلاعن على المنابر، ويعطى مال الله على الكذب والبهتان، وسفك الدماء بغير حق، وتقطع الأرحام، ويصبح العبد لا يدرى أضال هو أم مهتد.

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة»، ووافقه الذهبى فى التلخيص.

فهناك هدنة ومصالحة تكون بيننا وبين الروم (أوروبا - أمريكا) وهذه آخر علامة صغرى لأنه يكون فى أعقابها وعلى إثرها الملاحم الأخيرة.

فالهدنة التى بيننا وبين الروم أو بنى الأصفر أو أمريكا وأوروبا هى آخر علامة من علامات الساعة الصغرى وذلك لأن الملحمة الكبرى التى سيقود المسلمين فيها «المهدى» ستكون فى أعقاب هذه الحرب القادمة التحالفية (العالمية).

أما عن وصف هذه المعركة: فهى معركة عالمية تحالفية مدمرة تدور رحاها فى أرض فلسطين يكون المسلمون والروم (أمريكا - أوروبا) فيها حلفاء فيقاتلون عدوا لهم كما أخبر عن ذلك النبى ﷺ: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائهم فتسلمون وتغنمون ثم تتزلون بمرج ذى تلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله فيغدر الروم وتكون الملاحم فيجتمعون لكم فى ثمانين غاية مع كل غاية اثنا عشر ألفاً» (رواه أحمد وابن ماجه وأبو داود وصححه الألبانى).

وفى هذه المعركة ينتصر المسلمون والروم على عدوهم ويهزم الأعداء شر هزيمة فيرفع رجل من الروم الصليب ويقول انتصرنا بفضل هذا، فيقوم رجل من المسلمين ويقتله كما ذكر رسول الله ﷺ ذلك بالحديث، فيغدر الروم بالمسلمين ويقومون بتجهيز جيش لقتال المسلمين يستغرق تجهيزه تسعة أشهر ويكون القتال فيه بالسيوف والخيول والرماح كما كان فى أول الزمان وذلك لأن هذه المعركة تدمر جميع الآليات والأسلحه النووية وغيرها.

ويتبع ذلك (الملحمة الكبرى) وهى التى تكون بين المسلمين والروم، ففى أثناء تجهيز الروم لقتال المسلمين يخرج المهدى المنتظر، ذلك الرجل الشاب وهو من المسلمين من آل بيت النبى ﷺ من ولد الحس بن فاطمة بنت الرسول ﷺ كما بين ذلك النبى ﷺ فى الحديث الطويل الذى رواه أبو داود أن

رسـول الله ﷺ قـال: «لا تنقضى الدنيا حتى يملك العـرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسـمـه اسـمى واسم أبيـه اسم أبى»، وهو كذلك فـإن اسـمـه مـحـمـد ابن عبد الله ووصفه لنا الرسـول ﷺ بأنه أقنى الأنف، واسـع الجبهة، ومعنى أقنى الأنف. أى أن أنفه طويل مع حدب بوسطه مع دقة فى أرنبته.

وهـذا المهدى المنتـظر يمـلأ الأرض قسطاً وعـدلاً كمـا ملئت ظلمـاً وجوراً، ويحكم الأرض سـبـع أو ثمـان أو تسـع سنوات كـمـا بـين ذلك النبـى ﷺ، ومن العـلامـات التى تدل على أن هذا هو المهدى المنتظر هى أنه يبـايعـه قـوم ليس لهم عدد ولا عدة عند الكعبة المشرفة بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم، ومن العــلامــات الدالة أيضــاً علـى أنه المهـدى هى: أنه يـأتى جـيش من المسلمين ليقاتل المهدى ومن بايعه ويقضى عليهم، ولكن الله تعالى يخسف بهذا الجيش الأرض فتنشق الأرض وتبـتلعهم ولا ينجـوا منهم إلا رجل أو رجلان لكى يخـبرا العالم بأمرهم فيسمع بذلك الناس فيأتون من كل مكان لمبايعة المهدى المنتظر عليه السلام وهذا فى التسعـة الأشهر التى يجهز فيهـا الروم للقتـال وبعد ذلك تقـوم الحـرب بين المسلمين والروم وينتصـر فيهـا المسلمـون على الروم ويكون المهدى من ضمن جيش المسلمين[1]. وبعد هـزيمة العدو ينقلب الروم على المسلمين.

عن حـسـان بن عطيـة، قـال: مـال مكحـول وابن أبى زكـريا، إلى خـالد بن معدان، وملت معهم، فحدثنـا عن جبيـر بن نفير، عن الهدنة، قال: قـال: جبير: انطلق بنا إلى ذى مخبر، رجل من أصحاب النبى ﷺ فأتيناه فسأله جبير عن الهـدنة، فقـال: سمعت رسول الله ﷺ، يقـول: «سـتصـالحون الروم صلحـاً آمنـا، فـتـغـزون أنتم وهـم عـدوّاً من ورائكم، فـتنتصـرون، وتغنمـون، وتسلمـون، ثم ترجعون، حتى تنزلوا بمرج ذى تلول، فيرفع رجل من أهل النصـرانية الصليب، فيـقـول: غلب الصليب، فـيـغضب رجـل من المسلمين فـيـدقـه فعند ذلك تـغـدر

(١) اقرأ كتابنا نهاية العالم وأشراط الساعة، الناشر دار الكتاب العربى وكذلك كتابنا المهدى فى مواجهة الدجال أيضاً للتعرف على شخصية المهدى المنتظر.

الروم وتجمع للملحمة» (رواه أبو داود، وصححه الألبانى وأخرجه ابن ماجه وأحمد والحاكم والبيهقى).

وتكملة للحديث فى رواية أخرى بسند آخر لابن ماجه «فيجتمعون للملحمة، فيأتون حينئذ، تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

٨٠ × ١٢٠٠٠ = ٩٦٠٠٠٠ جندى منهم... أقل من المليون بقليل.

فيقول الروم للمسلمين: (خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم) أى: اتركوا لنا أولاً هؤلاء الذين تركوا صفوفنا وتركوا ديننا وذهبوا إليكم، (فيقول المسلمون: لا والله! لا نخلى بينكم وبين إخواننا، قال: فيقتتلون، فينهزم ثلث من المسلمين لا يتوب الله عليهم) لأنهم خونة ارتدوا وخانوا الله ورسوله والمؤمنين، (ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث الأخير لا يفتتون أبداً). إذاً: يرتد ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل الثلث، وهم أفضل الشهداء عند الله ويبقى ثلث المسلمين من كتائب التوحيد ينتصرون ويبيدون الروم عن بكرة أبيهم.

وتفاصيل الملحمة الكبرى جاء فى صحيح مسلم: إن رجلاً جاء إلى عبدالله بن مسعود... فكان فيما ذكره له قول رسول الله ﷺ: «فيقتلون مقتلة عظيمة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، هؤلاء وهؤلاء وكل غير غالب ـ أى: أن الحرب فى أول يوم تكون سجالاً ـ فيشترط المسلمون فى اليوم الثانى شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيرجع هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، حتى إذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام ـ أى: نهضوا وتقدموا ـ فيجعل الله الدائرة على الروم، فيقتتلوم مقتلة لم ير مثلها.

حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً ـ أى: لشدة نتتهم، ورائحة الجثث فى أرض المعركة ـ وينظر أهل البيت كانوا مائة، فلا

يجدون قد بقى منهم إلا الرجل الواحد، فبأى غنيمة يُفرح؟! وأى ميراث يقسم؟! فبينما هم كذلك إذا وقع بهم بأس هو أكبر من ذلك: إذا جاءهم الصريخ ـ أي: من يصرخ فيهم ـ لقد خلفكم الدجال فى ذراريكم (قيل فى المسلمين وفتوحاتهم)، قال: فيرفضون ما فى أيديهم من الغنائم، ويبعثون عشرة فوارس طليعة) أى: ينظرون ما الذى وقع، وما الذى حدث.

قال رسول الله ﷺ: (والله! إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ) هذا الثلث الأخير من المسلمين الذى لا يفتن أبداً هو الذى كتب الله له النصر، وهو الذى يخوض المعركة الرابعة، وهى كرامة من الله للموحدين وللأولياء الأصفياء، فيفتح الله عز وجل لهم القسطنطينية بلا قتال.

والنبى ﷺ يصف المعركة وصفاً عجيباً، ويبين أين ستقع؟ وهكذا اليوم الأول ماذا يكون فيه، واليوم الثانى والثالث؛ لأن أيام المعركة أربعة أيام. روى مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق) وهما موضعان قريبان من حلب.

وهكذا تكون الملحمة الكبرى عقب صلح بين المسلمين والغرب المسيحى فيتم نقض الصلح بعد أن تتكشف نوايا الغرب المسيحى، وذلك بعد أن ينتصر الطرفان على عدو لهما: «فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: انتصرنا بالصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة..»

ولكن قبل ذلك أى قبل أن تحدث المعركة يكون حال المسلمين غير الذى نراه من فرقة وتفرق وشقاق، وهذا أمر بديهى فمواجهة الأعداء توحد الصفوف، وقد قال فى ذلك رسولنا ﷺ: (لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين: سيفاً منها وسيفاً من عدوها[1].

(١) صحيح الجامع.

ومعنى سيفاً منها أى قتال بعضهم بعضاً وهى الفتن أى قتال بعضكم بعضاً.

ومعسكر المسلمين فى تلك المعركة الهامة بالغوطة جانب مدينة دمشق التى هى خير مدائن الشام كما قال ﷺ[1]، ومعسكر الأعداء بدابق أو الأعماق وهو المكان الذى ينزلون فيه.

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ـ موضعين قريبين من حلب ـ فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله ـ أى لا يلهمهم التوبة ـ عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفهم فى أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج: فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ: فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه، لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه فى حربته)[2].

---

(١) «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغولجة إلى مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام» وفى رواية «خير منازل المسلمين يومئذ».

(٢) يكون ترتيب الأحداث كما يلى حسب الحديث النبوى: بداية يكون هناك صلح آمن بين المسلمين ونصارى الغرب فيقاتلون عدوا مشتركا لهما.

يقوم الغرب الصليبى المسيحى بنسبة النصر له، ويكون ذلك بأن يرفع أحدهم الصليب، يثير غضب المسلمين.

يثور رجل من المسلمين فيقتل رافع الصليب ويكسره، فيتخذ النصارى ذلك ذريعة للغدر، تبدأ الملاحم باستشهاد بعض من المسلمين على أيدى النصارى، ويبدؤون بجمع جموعهم لقتال المؤمنين، فيأتون تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً. =

نزول الروم بأرض الشام آخر الزمان «بالأعماق»

قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق... الحديث)(١).

= يكون مكان تجمع المسلمين الرئيسى بالغوطة، ومركز تجمع الروم بالقرب من حلب، إما بالأعماق أو دابق، وكان الروم قد أخذوا هذه الأماكن من بلاد المسلمين فى ذلك الوقت بسبب الصلح الآمن الذى يكون بيننا وبينهم.

يبدأ القتال بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام لا غلبة لأحد يباد خلالها معظم جيش المسلمين.

ويأتى فى اليوم الرابع بقية أهل الإسلام وهو الذى يخرج من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. قيل المدينة المنورة وقيل دمشق.

ويطلب الروم عند مقابلة هذا الجيش أن لا يتدخل فى القتال، وأن الروم يريدون فقط قتال من سبوا منهم، وهم أهل الشام وأهل مصر، كما جاء فى شرح النووى للحديث النبوى لصحيح مسلم.

يرفض جيش المدينة هذا الطلب ويقولون: لا نتخلى عن إخواننا، فيحدث بينهم القتال، فينقسم جيش المدنية ثلاثة أقسام:

- قسم ينهزم، وهو الثلث، فلا يلهمون التوبة أبداً.
- قسم يستشهد، وهو أفضل الشهداء عند الله.
- قسم، وهو الثلث الأخير، يفتح الله على أيديهم لا يفتنون أبداً.

تكون نتيجة تلك المعركة التى تعد بالفعل ملحمة كبرى فارقة فى التاريخ تكون مقتلة عظيمة ومهلكة لنصارى الغرب ويفتح الله بعدها على المسلمين مدينة القسطنطينية كما ذكر ذلك رسولنا ﷺ.

(١) أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بأعماق ـ أو بدابق ـ فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بينا وبين الذين سُبُوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، كيف نخلى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم؟ فينهزم ثلث ولا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثلهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح الدجال قد خلفكم فى أهاليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبيناهم يعدون للقتال، يسوون صفوفهم، إذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب فى الماء فلو تركه لانزاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده ـ يعنى المسيح ـ فيريهم دمه فى حربته». أخرجه مسلم.

قال الإمام النووى رحمه الله فى شرحه للحديث: الأعماق بفتح الهمزة وبالعين المهملة، ودابق بكسر الباء الموحدة وفتحها، والكسر هو الصحيح المشهور، ولم يذكر الجمهور غيره، وحكى القاضى فى المشارق الفتح، ولم يذكر غيره، وهو اسم موضع معروف. قال الجوهرى: الأغلب عليه التذكير والصرف لأنه فى الأصل اسم نهر. قال: وقد يؤنث ولا يصرف و(الأعماق ودابق) موضعان بالشام بقرب حلب.

وقوله ﷺ: (قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منا).

روى (سبوا) على وجهين: فتح السين والباء، وضمهما.

قال القاضى فى المشارق: الضم رواية الأكثرين. قال: وهو الصواب.

قلت (أى النووى): كلاهما صواب، لأنهم سُبوا أولاً، ثم سَبوا الكفار، وهذا موجود فى زماننا بل معظم عساكر الإسلام فى بلاد الشام ومصر سُبوا، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد سبوهم فى زماننا مراراً كثيرة، يسبون فى المرة الواحدة من الكفار ألوفا، ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه.

قوله ﷺ: (فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم).

أى لا يلهمهم التوبة.

قوله ﷺ: (فيفتتحون قسطنطينية).

هى بضم القاف وإسكان السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون، هكذا ضبطناه، وهو المشهور، ونقله القاضى فى المشارق عن المثقفين والأكثرين، وعن بعضهم زيادة ياء مشددة بعد النون، وهى مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم.

وتقع قرية دابق من القرى التاريخية التابعة لناحية اخترين وهى تقع

شمال مدينة حلب على مسافة ٤٥ كم وتبعد عن الحدود التركية حوالى ١٥ كم تقريباً. نزل بها الخليفة سليمان بن عبد الملك عندما أرسل أخاه مسلمة ابن عبد الملك لفتح القسطنطينية وتوفى فيها. خلفه فيها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتوجه إلى حمص. يوجد فيها قبر سليمان بن عبد الملك والتابعى عبد الله بن مسافع. وقعت فيها معركة عظيمة بين العثمانيين بقيادة سليم الأول والمماليك بقيادة قنصوه الغورى عام ١٥١٦م انتصر فيها العثمانيون ومنها دخلوا الوطن العربى حيث دام حكمهم له أكثر من ٥٠٠ عام. تقع على سهل واسع وخصيب وتشتهر بالزراعة وخصوصاً الحبوب. سكان قرية دابق من قبيلة النعيم.

ونستخلص من الحديث نقاطا ومواضيع كثيرة...

أن النبى ﷺ يتنبأ بقيام حرب من المسلمين والروم حتمية فى آخر الزمان فى منطقة قرب حلب اسمها (دابق أو الأعماق) وطبيعة أرض دابق من أفضل الأماكن لقيام معارك أنها تقع فى سهل واسع منبسط لا يحتوى على جبال ولا وديان وهو من أنسب الأماكن لمعارك كبيرة وفاصلة.

وهى تقع قريبة من البحر المتوسط ولهذا يقول الشيخ محمد حسان تعليقاً على الحديث: وأنا أتوقع أنه سوف يكون هناك إنزال بحرى للروم أثناء غزوهم للشام... ولم يذكر الحديث سوى الروم وأنا أتوقع أنه سوف تزول وتضمحل أمريكا فى آخر الزمان ربما بكارثة طبيعية كما حدث بقوم عاد ويصبح هنا ما يسمى اتحاد الروم أو دولة الروم أى أوروبا حالياً والله أعلم.

ويشير الحديث إلى فتح القسطنطينية بعد هذه الملحمة الهائلة وهذا دليل أكيد أن القسطنطينية سوف يتم احتلالها وما حولها وهى تركيا حالياً فى آخر زمان من قبل الروم لأن نزول الروم فى دابق لم يتم بعد، أو لكونها دولة علمانية فهى كالدول الأوروبية، وأنه سوف يسلم الكثير من الروم ويعيشون مع المسلمين فى الشام أو يتم سبيهم من الروم ويشهرون إسلامهم ثم

يقاتلون مع المسلمين ضد الروم (قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون:

ـ لا والله، كيف نخلى بينكم وبين إخواننا).

وقد تنبأ النبى ﷺ بوجود قرية دابق وهذا من دلائل النبوة لأنها قرية صغيرة فى شمال حلب كثير من أهل حلب لم يسمعوا بها فى هذا العصر على الرغم من التكنولوجيا والمعلومات فكيف بالنبى ﷺ قبل ١٤٠٠ سنة وهو الذى لم يأت إلى حلب فى حياته فمن أخبره بهذا الخبر.

وكذلك يشير الحديث إلى أنه سوف يكون للشام فى آخر الزمان شأن كبير فيها يقتل الدجال وفيها ينزل المسيح عيسى ابن مريم وفيها ينتصر المسلمون على الروم.

وأيضاً يشير إلى أن القتال سوف يكون آخر الزمان بالسيف وهذا دليل على أن الحضارة والتكنولوجيا الحديثة سوف تضمحل وتزول ويعود الناس إلى الخيل والسيف بعد نضوب النفط الذى يقدر العلماء أنه خلال الخمسين سنة القادمة سوف ينضب بشكل كامل كما أن العالم الآن يجنح إلى الابتعاد عن الطاقة النووية لما لها من مخاطر هائلة على الناس والبيئة فى حال الكوارث وأكبر مثال حالياً هو كارثة اليابان.

كما أن المفاعلات النووية تكلف مبالغ هائلة وكمية اليورانيوم أيضاً قليلة وسوف تنضب خلال فترة قريبة أما الطاقة الشمسية فتكاليف تصنيع الخلايا الشمسية مكلفة مقارنة مع استخراج النفط.

يشير الحديث إلى أن خيار أهل الأرض سوف يجتمعون فى المدينة المنورة في آخر الزمان ويخرجون منها مجاهدين إلى الشام للقاء الروم فى دابق ويكون النصر على أيديهم وهناك من يرى أن المقصود بالمدينة في الحديث

هى مدينة دمشق والله أعلم.

ودابق تقع فى مكان يفصل بين الشرق الإسلامى والغرب الرومى النصرانى وهى مكان المواجهة فى آخر الزمان، حيث ينزل جيش الروم أما معسكر المسلمين وتجمعهم فى غوطة دمشق كما سنوضح ذلك إن شاء الله.

■ ■ ■

الغوطة «ريف دمشق» هى معسكر المسلمين فى معركة آخر الزمان «الملحمة الكبرى»

عن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام).

(رواه أبو داود وأحمد).

وعند أحمد أيضاً عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن رجل من أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «سيفتح عليكم الشام وإن بها مكاناً يقال له الغوطة يعنى دمشق من خير منازل المسلمين يعنى فى الملاحم».

وعند أبى داود عن مكحول أن رسول الله ﷺ قال: «موضع فسطاط المسلمين فى الملاحم أرض يقال لها الغوطة».

قال الألبانى رحمه الله صحيح... سنن أبى داود

والغوطة هي البساتين المحيطة بدمشق، والفسطاط أى المعسكر الذى يسكنه ويتمركز فيه وليس أرض المعركة حيث إن أرض المعركة ففى الأعماق بدابق كما ذكر ذلك الحديث النبوى الذى ذكرناه من قبل وهى الأرض التى تنزل بها جيوش الروم «الغرب المسيحى».

وعلينا التعرف على طبيعة الغوطة أرض تلك المعركة التاريخية الهامة وذلك من خلال السطور القادمة.

عن أبى الدرداء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها: الغوطة فيها مدينة يقال لها: دمشق، فهى خير مساكن الناس يومئذ». (مسند الشاميين للطبرانى).

أولاً: نتعرف على معنى الكلمة في اللغة:

الغوط الثريدة والتغويط اللقم منها.

وقيل التغويط عظم اللقم وغاط يغوط غوطاً حفر وغاط الرجل فى الطين.

ويقال اغوط بئرك أى أبعد قعرها وهى بئر غويطة بعيدة القعر والغوط والغائط المتسع من الأرض مع طمأنينة وجمعه أغواط وغوط وغياط وغيطات صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

قال ابن برى أغواط جمع غوط بالفتح لغة فى الغائط وغيطان جمع له أيضاً مثل ثور وثيران وجمع غائط أيضاً مثل جان وجنان وأما غائط وغوط فهو مثل شارف وشرف.

ابن شميل يقال للأرض الواسعة الدعوة غائط لأنه غاط فى الأرض أى دخل فها وليس بالشديد التصوب ولبعضها أسناد.

وفى الحديث أن رجلاً جاءه فقال يا رسول الله قل لأهل الغائط يحسنوا مخالطتى أراد أهل الوادى الذى ينزله.

وغاط فى الشى يغوط ويغيط دخل فيه يقال هذا رمل تغوط فيه الأقدام وغاط الرجل فى الوادى يغوط إذا غاب فيه.

وغوطة موضع بالشام كثير الماء والشجر وهو غوطة دمشق وذكرها الليث معرفة بالألف واللام والغوطة مجتمع النبات والماء.

ومدينة دمشق تسمى غوطة قال أراه لذلك.

وفى الحديث أن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق.

الغوطة اسم البساتين والمياه التى حول دمشق صانها الله تعالى وهو غوطتها.

وصف غوطة دمشق:

غوطة دمشق تحيط بمدينة دمشق من الشرق والغرب والجنوب وهى تتبع دمشق وريف دمشق وهى سهل ممتد عبارة عن بساتين غناء من أشجار الفاكهة تعد من أخصب بقاع العالم.

وقد جاء فى كتاب عجائب البلدان (الغوطة هى الكورة التى قصبتها دمشق وهى كثيرة المياه نضرة الأشجار متجاوبة الأطيار مونقة الأزهار ملتفة الأغصان خضرة الجنان، استدارتها ثمانية عشر ميلاً كلها بساتين وقصور تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ومياهها خارجة من تلك الجبال وتمتد فى الغوطة عدة أنهار وهى أنزه بقاع الأرض وأحسنها).

وتشتهر غوطة دمشق بخصوبة الأرض وجودة المياه حيث تغذى بساتين الغوطة مجموعة من الأنهار الصغيرة من فروع نهر بردى وشبكة من قنوات الرى وهي عبارة عن بساتين من شتى أنواع أشجار الفواكه وثمار الغوطة المشمش بأنواعه البلدى والحموى والتوت (التوت الشامى) والخوخ والأرصية والدراق والكرز والجوز وكذلك تشتهر بزراعة كافة أنواع الخضار والذرة الشامية الشهيرة والزهور، وربيع الغوطة له رونقه وجماله المميز حيث الربيع بكل معانيه.

وتنقسم الغوطة إلى قسمين متصلين هما: الغوطة الغربية والغوطة الشرقية:

١ ـ الغوطة الغربية:

بداية الغوطة الغربية من مضيق ربوة دمشق ـ الربوة بين الجبال (خانق الربوة) وتمتد غرباً وجنوباً إلى مناطق محيط المزة وكفر سوسة وداريا وبيلا وصحنايا والأشرفية ومن بعدها سبينه ومناطق وبلدات كثيرة محاطة بالأشجار المثمرة وأشجار الحور وكافة أشجار الفاكهة مثل المشمش والخوخ والتوت الشامى والجوز البلدى وغير ذلك من فواكه الغوطة والبساتين والمروج بامتداد رائع أخضر يحتضن الطبيعة.

٢ ـ الغوطة الشرقية:

مركز الغوطة الشرقية وبدايتها هى مدينة درما وتمتد نحو الشرق والجنوب محيطة بمدينة دمشق ببساط أخضر وكثافة أشجار الفواكه الشامية الشهيرة (المشمش والخوخ والدراق والكرز والتوت والجوز وغيرها) وزراعة الذرة الشامية وجميع أنواع الخضروات والسرو وأشجار الحور الباسقة الممشوقة وتواصل الغوطة امتدادها إلى مناطق قوقرى وبلدات أصبحت مدنا الآن مثل جرمانا والمليحة وعقربا وحزة وكفر بطنا وعربين إلى أن تلتقى بالغوطة الغربية لتكمل احتضان دمشق بالبساتين.

أما الآثار والتلال الأثرية التى فى الغوطة فهى آثار قديمة تعود لعصور قديمة متعددة و١٥ ديرا تاريخيا أثريا ومجموعة من التلا والمواقع الأثرية تذكر منها تل الصالحية يقع على بعد ١٤ كم وفيه آثار من العصر الحجرى القديم وتل أسود ويقع إلى الشرق يحتوى على آثار تعود للعصر الحجرى الوسيط والقديم وكذلك تل المرج ويقع فى منطقة حوش الريحانة وتل أبوسودة بالقرب من المرج وآثار كثيرة فى جسرين وعين ترما وحران العواميد وبلدة حمورة. هذا غير الآثار الدينية وغيرها.

وتنتشر فى غوطة دمشق العديد من المزارات الدينية والمقامات وقبور الصحابة مثل مقام السيدة زينب فى قرية السيدة زينب فى الغوطة جنوب دمشق وقبر الصاحبى مدرك بن زياد الفزارى ومقام إبراهيم خليل الله عليه السلام فى منطقة برزة، وقبر عبد الله بن سلام فى منطقة سقبا وكذلك قبر ومقام سعد بن عبادة الأنصارى فى المليحة. وعدد من المقامات فى داريا منها مقام أبى مسلم الخولانى ومقام أبى سليمان الدارانى. وجامع المقداد بن الأسود فى ببيلا ومقام الخضر فى جرمانا ومزار عبد الله بن عوف فى المعضمية.

وأرض الغوطة تشمل مدينة دمشق وقد ذكرها الرسول ﷺ أنها تشهد تجمع الجيش الإسلامى الذى يشهد الملحمة الكبرى عن أبى الدرداء، قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها: الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق فهى خير مساكن الناس يومئذ»[1].

وذكر قتال الملحمة مع الروم الذى يكون آخره فتح القسطنطينية وعند ذلك يخرج الدجال، وينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض، على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقت صلاة الفجر، كما سيأتى بيان ذلك كله، بالأحاديث الصحيحة.

عن ذى مخمر، عن النبى ﷺ قال: «تصالحون الروم صلحاً آمناً، وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذى تلول، فيقوم رجل من الروم، فيرفع الصليب، ويقول: ألا غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم فيجمعون لكم، فيأتونكم فى ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف» (رواه أحمد).

وفى صحيح البخارى: «فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً». وهكذا فى حديث شداد أبى عمار، عن معاذ «فيسيرون إليكم بثمانين بنداً، تحت كل بند اثنا عشر ألفاً».

عن أبى قتادة، عن أسير بن جابر، قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى قال: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: وكان متكئاً فجلس فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. قال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. ونحا بيده نحو الشام، قلت: الروم تعنى؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة. قال: فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفىء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفىء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم

(١) رواه البرانى.

بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة ـ إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها ـ حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم، فما يخلفهم حتى يخر ميتاً.

قال: فيتعادَّ بنو الأب، كانوا مائة، فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد، فبأى غنيمة يفرح؟ أو أى ميراث يقاسم؟

قال: فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، قال: فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم فى ذراريهم، فيرفضون ما فى أيديهم، ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة.

قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، وهم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ».

وقتال الروم ليس آخر الملاحم على أرض الشام فهناك معارك أخرى مع اليهود وقائدهم الدجال.

■ ■ ■

(١) رواه أحمد ومسلم.

المهدى يقود المسلمين فى الملحمة الكبرى ومعارك آخر الزمان فى بلاد الشام

المهدى هو القائد المنتظر من المسلمين بكل طوائفهم ومذاهبهم وقد أخبر عنه رسولنا ﷺ فى أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر المعنوى، وقد تحدثنا عنه فى إصدارات كثيرة لنا، ونكتفى هنا بذكر ملخص سريع لأهم معارك المهدى بعد خروجه وظهوره والخسف الإلهى بالجيش الذى يرسله السفيانى للقضاء عليه حين يعلن عن ظهوره فى البيت الحرام بالكعبة المشرفة.

وجاء ذكر فتوحات المهدى مجملة فى حديث نبوى رواه مسلم وأحمد فى مسنده عن نافع بن عتبة عن النبى ﷺ أنه قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله».

وتلك غزوات ومعارك المهدى أى فى زمانه وتحت قيادته رغم أنه لم يذكر فى الحديث الذى ذكر صفة الجماعة المسلمة وأشار إلى غزوات آخرها قتال الدجال وهذا لا يحدث إلا بعد خروج المهدى عليه السلام... وقد دلت عليه أحاديث أخرى كثيرة.

وأول معارك المهدى مع جيش السفيانى الذى أرسله بعد الخسف بالجيش الأول حيث يعود ذكر المهدى، وينتشر صيته ويأتيه المسلمون من كل بقاع الدنيا ليبايعوه؛ ليشد المسلمون الصادقون الذين يشتاقون إلى الجهاد فى سبيل الله تحت خليفة يرفع راية التوحيد والسنة على يد المهدى ويبايعونه على النصرة وعلى الجهاد؛ لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى تحت شعار إحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة.

وبعد خسف الله الأرض بالجيش الذى خرج لقتاله، يجتمع للمهدى بعد

هذه العلامة المؤكدة جيش كبير جداً من الموحدين من كل بقاع الأرض، ثم لا يجد هذا الجيش بقيادة المهدى وقتاً للراحة حيث يخوضون كثيراً من الملاحم الحروب والمعارك التى تبلغ فيها القلوب الحناجر، ويسقط فيها كثير من القتلى والجرحى، وتصور أن العالم كله بعد ظهور المهدى سيقف صفاً واحداً لقتاله ومن معارك المهدى: غزو جزيرة العرب وغزو بلاد فارس وغزو بلاد الروم أى: أوروبا وأمريكا. ومن غزو بلاد الروم: فتح القسطنطينية. المعركة الرابعة: قتال اليهود، والنصر عليهم وقتال الترك (الصين وروسيا واليابان ومنغوليا إلى آخر هذه الشعوب).

من هذا العرض السريع للملاحم والمعارك التى سيخوضها المهدى يتبين لك أن العالم كله سيقاتل المهدى عليه السلام.

روى مسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم من حديث نافع بن عتبة أن النبى ﷺ قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله) المعركة الأولى: فتح بلاد العرب، ثم فتح بلاد فارس، ثم فتح بلاد الروم ثم فتح الدجال.

وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال)[1].

وقال أيضاً ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودى خلفى تعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود)[2].

---

(١) رواه أيضاً أبو داود فى سننه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٢) متفق عليه.

وقوله أيضاً ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلو خوزاً وكرمان)[1] وهى بلاد مشهورة يحدها من الغرب بلاد فارس، ومن الشمال خراسان، ومن الجنوب الخليج العربى، وهى حالياِ بلاد الصين وروسيا واليابان، وقد وصف النبى ﷺ وجوههم وصفاً عجيباً، فقال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلو خوزا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة) ـ أى: كأن وجوههم كالتروس المستديرة التى غطيت بالجلد، مثل وجه اليابانى أو وجه الصينى المستدير كأنه الترس المستدير غطى بنوع من الجلد.

وفى رواية مسلم من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك)، ويراد بالترك هنا بلاد الصين وروسيا واليابان ومنغوليا إلى آخر تلك البلاد فى تلك المنطقة، (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر).

وفى رواية أخرى توضح هذه الرواية فى البخارى عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: (لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر) أى: أن النعال التى يمشون فيها من الشعر، ومن ينظر إلى نعال الصينيين والروسيين واليابانيين فى هذه المناطق الباردة يعلم يقيناً أنها تصنع من الشعر، وما يسميه البعض: الفرو ومعظم الثياب التى يرتدونها من الشعر ـ الفرو ـ فلباسهم الشعر ويمشون فى الشعر.

(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه، ذلف الأنوف ـ هو الأنف الصغير الأفطس ـ كأن وجوههم المجان المطرقة).

وقد يقول البعض كيف يفتح المهدى جزيرة العرب؟ وهى أول معاركه بعد

---

(١) رواه البخارى وأحمد.

أن أيده الله بخسف السفيانى؟ وتقول إن المقصود هو قتال أعداء المهدى من السفيانى وأعوانه من الزعماء المتحالفين معه حيث إن مواجهات المهدى تكون مع جيوش السفيانى على أرض الجزيرة العربية فيكون الخسف بالجيش الأول دون قتال كما ذكرنا ثم يرسل السفيانى جيشاً آخر فيحدث القتال بين المهدى ومن انضم إليه وبايعه من المؤمنين بعد الخسف بجيش السفيانى وينتصر المهدى على جيوش السفيانى.

وبعد سيطرة المهدى وكتائب التوحيد معه على أرض الجزيرة تخرج جيوش بلاد فارس لقتال المهدى، فيهزمهم المهدى شر هزيمة، ويتحقق قول النبى ﷺ: (ثم تغزون فارس فيفتحها الله)، فيمتد سلطان المهدى من جزيرة العرب ويتجه إلى ناحية الشرق، إلى ناحية بلاد فارس، فيسيطر عليها سيطرة كاملة بموعود الحق تبارك وتعالى، وبموعود رسول الله ﷺ.

وبعد تلك الانتصارات والفتوحات التى يحققها المهدى ومن معه عن كتائب الموحدين يتجه نحو بلاد الشام حيث المواجهات الأخيرة مع السفيانى الذى يلاقى حتفه على يد المهدى فى معركة القدس على أرض الشام ثم تكون المعركة الثالثة، هى الملحمة الكبرى التى وصف النبى أحداثها وصفاً دقيقاً، كأنه يحارب فى هذا الجيش الذى يقود كتائبه المهدى عليه السلام، هذه الملحمة الكبرى التى سيقودها المهدى بعد السيطرة على بلاد العرب وعلى بلاد فارس هى قتال الروم، وهى أشد الملاحم وأعظمها على الإطلاق، وهى المعركة التى سماها البعض (معركة هرمجدون) والتى ستأتى بعد فترة الهدنة والمصالحة (فترة مصالحة بين المسلمين وبين الروم) وبعدها سيقاتل المسلمون مع الروم (أوروبا وأمريكا) عدوّاً واحداً، وهذا العدو ربما يكون العدو الشرقى قد يكون الروسى.

وينتصر المسلمون مع الروم فى هذه المعركة، وفى طريق العودة يقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: انتصر الصليب، فيغار رجل من أهل الإيمان

والإسلام فيقوم إلى هذا الرجل فيقتله، فحينئذ يغدر الروم بالمسلمين، وتقع هذه الملحمة الكبرى التى أخبر عنها ﷺ.

قال رسول الله ﷺ قال: (لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم فى الأعماق أو بدابق) أى: مقر قيادة المهدى سيكون بمدينة بالقرب من دمشق، وستكون الملحمة فى هذه الأرض فى أرض المسلمين، يقول النبى عليه الصلاة والسلام: (لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم فى الأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة بقيادة المهدى من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا ـ أى: للقتال ـ قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم).

يسلم الروم فى هذه المعارك بأعداد كبيرة جداً، وينضمون إلى كتائب التوحيد بقيادة المهدى يقول النبى عليه الصلاة والسلام: (فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا؛ والله! لا نخلى بينكم وبين إخواننا)[1] ولقد صاروا إخواناً لنا من المسلمين (فيقاتلونهم) تدبر ماذا يقول المصطفى فى وصف دقيق عجيب: (فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً)، ينهزم ثلث من جيش المسلمين أى: من الفرار أو الكرار، والله أعلم بحالهم، يقول النبى فى حقهم: (فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم).

قال النبى ﷺ فى حق هذا الثلث الثانى: (هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث ـ أى: المتبقى ـ لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ـ وليس رشاشاتهم ـ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم ـ أى: المسيح الدجال قد خرج ـ فيخدعون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج ـ أى: الدجال ـ فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن

---

(١) أى أنه يدخل الإسلام الكثير من جنود الروم و«نصارى الغرب» وغيرهم من الشعوب فيحدث القتال بسبب ذلك.

مريم، فإذا رآه عدو الله ـ أى: إذ رأى الدجال عيسى ابن مريم ـ ذاب كما يذوب الملح فى الماء، فلو تركه ـ أى: لو ترك عيسى ابن مريم الدجال ـ لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه فى حربته) أي: فيرى عيسى ابن مريم المسلمين الذين معه دم المسيح الدجال فى حربته، أى: على رأس حربته التى قتله بها.

■ ■ ■





صور للقرية التى ينزل عليها جيش الروم
وتشهد الملحمة الكبرى



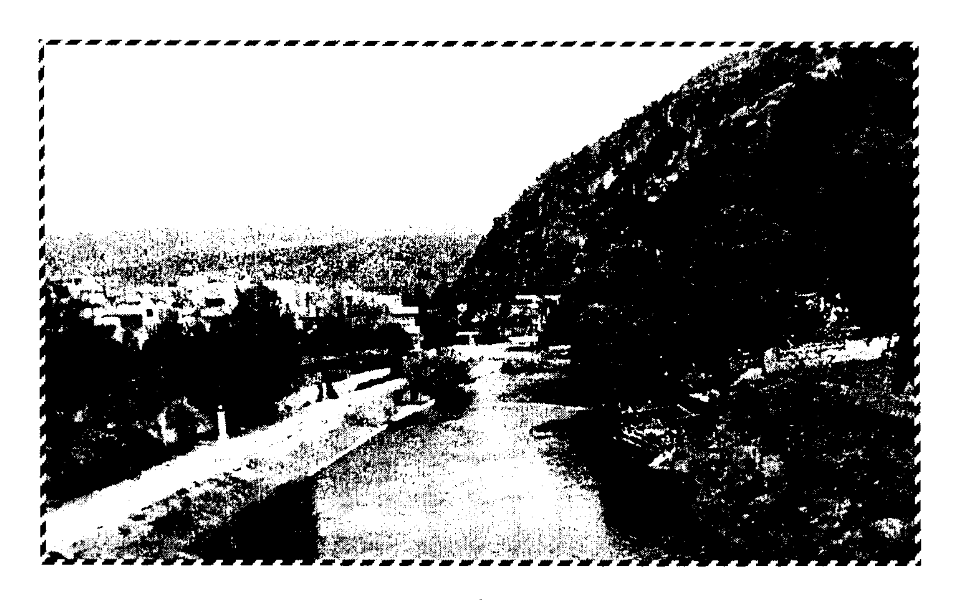
مكان فى سوريا على الحدود مع تركيا يسمى دابق أما الأعماق فهو مكان فى تركيا



أنواع من الشجر فى الغوطة



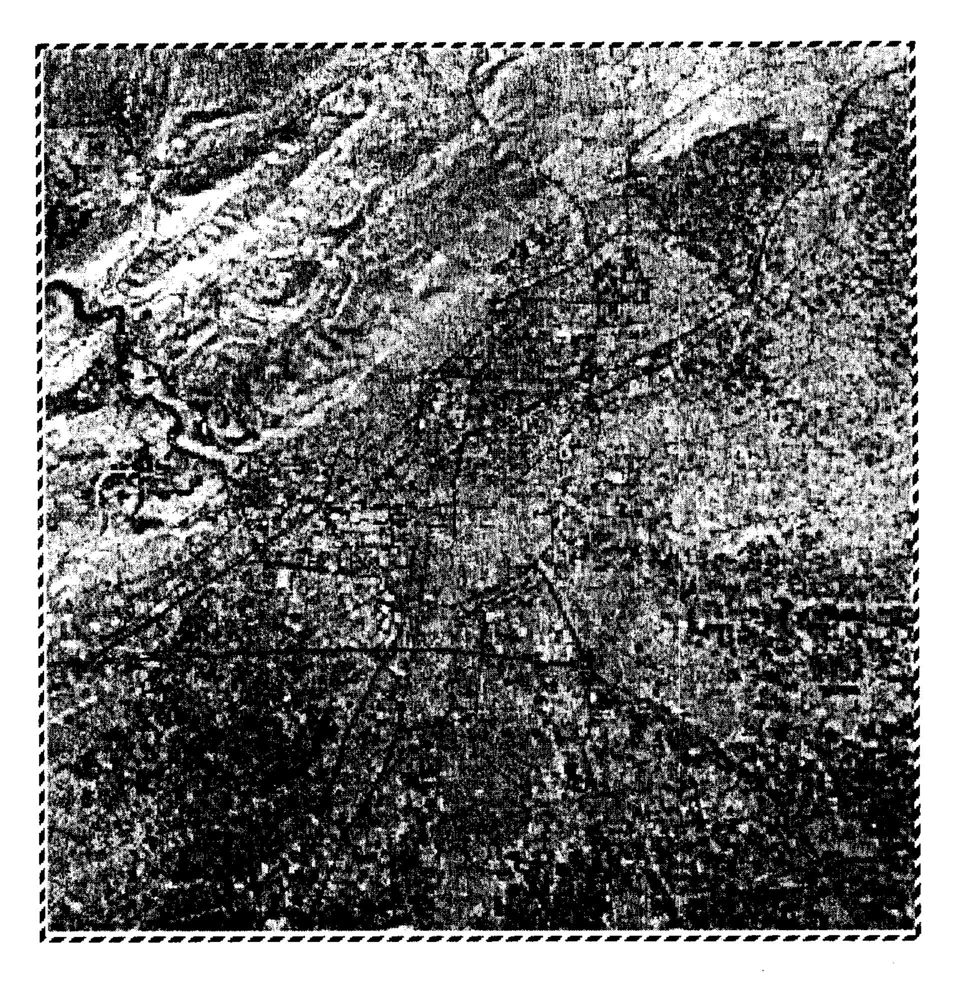
الغوطة فسطاط المسلمين آخر الزمان وهى ما يعرف ريف دمشق



منظر عام لأرض الغوطة



ينابيع الغوطة (ريف دمشق)



منظر بالقمر الصناعى للغوطة



طريق من طرق الغوطة



الغابات فى أرض الغوطة

6

مسيح الهدى ومسيح الضلالة
علي أرض الشام

- نزول المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام آخر الزمان بالشام.
- المسيح الدجال على أرض الشام.
- المسيح الدجال في بلاد الشام آخر الزمان يقود اليهود لنهايتهم.
- مقتل الدجال عند «باب لد» قرب بيت المقدس.
- الخلافة الراشدة على منهاج النبوة تعود آخر الزمان في بلاد الشام.
- بشائر الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام
آخر الزمان بالشام

من الأحداث الجسام التي تشهدها بلاد الشام آخر الزمان نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء على جناحي ملائكة عند المنارة البيضاء شرقي مدينة دمشق لمهمة عاجلة تبدأ بقتل المسيح الدجال الذي يدعي أنه مسيح الهدي ويحدث فتنة كبرى حال خروجه ويواجه المهدي المنتظر ومن معه من المؤمنين على أرض الشام بعد أن تم طرد اليهود من القدس.

وفتنة المسيح الدجال أو الأعور الدجال من أشد الفتن على الأرض، فهي أشد من فتنة السفياني وكما أن هناك من أنكر وجود السفياني آخر الزمان هناك من أنكر نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان أيضاً.

لقد جاء في نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان أحاديث تصل في مجموعها إلى حد التواتر؛ حتى إن النووي في شرحه على صحيح مسلم بوّب لأحاديث مسلم في ذلك بابين: باباً بعنوان: «باب بيان نزول عيسي ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا»، وباباً بعنوان: «باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال».

وهذه الأحاديث تصف المسيح عليه السلام في شكله، وفي طريقة نزوله إلى الأرض، وفي سلوكه في بعض المواقف التي يتعرض لها، وفي وظيفته عليه السلام على الأرض، وبأنه تابع لشريعة الإسلام، لا يحكم بشريعته التي كان عليها من قبل، ولا يأتي بشرع جديد؛ مما يحول دون الخلط بينه عليه السلام وبين المسحاء الكذبة الذين تبلى بهم البشرية في كل عصر ومصر منذ رفعه عليه السلام وحتى نزوله في آخر الزمان؛ كما يحول دون محاولات تأويل نزوله عليه السلام بغلبة روحه وسر رسالته على الناس؛ وهو ما ذهب إليه غلام أحمد القادياني في رسالته

إلى صلحاء العرب، ومحمد عبده في تفسير المنار.

وعقيدة نزول المسيح عليه السلام لم يختص بها المسلمون فقط؛ بل هي متواترة عند المسيحيين أيضاً؛ ففي إنجيل «متى» يسأل الحواريون المسيح عليه السلام: «قل لنا متى تكون هذه الأمور وما علامة مجيئك ونهاية العالم؟».. وفي سفر أعمال الرسل من الكتاب المقدس: «إن يسوع- أي المسيح- هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء».

وكان من حكمة نزوله آخر الزمان إقامة الحجة على اليهود والنصاري، وإتمام المنة والكرامة على عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ وأمته ذلك أن في نزوله عليه السلام ردّاً على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه؛ فيتبين كذبهم وأنه عليه السلام هو قاتلهم.

ثم إن اليهود كانوا ولا يزالون ينتظرون فإذا جاء الدجال آخر الزمان اتبعوه على أنه هو مسيحهم المنتظر، ولقبوه بالمسيح؛ فكان نزول عيسي عليه السلام بالذات ليتبين مسيح الهدى من مسيح الضلال.

وكذلك في نزوله عليه السلام رد على النصاري الذين يزعمون إلوهيته عليه السلام؛ فيكذبهم الله بنزوله وإعلانه بشريته؛ بل وإسلامه وكسره الصليب، ولهذا يدخل أهل الروم النصارى في زمان نزوله في الإسلام ويكونوا أكثر أتباعه.

وأمّا ما يحققه عيسي عليه السلام حال نزوله هو القضاء على فتنة الدجال بقتله له، فتلك الفتنة قال فيها النبي ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات» رواه أبو داود وأحمد. وقال فيها: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال»[1]. وفي رواية أحمد بن حنبل في المسند: «.. فتنة أكبر من فتنة الدجال» وقال: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبيّاً إلا حذر أمته الدجال»[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه.

وقد ذكرنا في إصدارات أخرى لنا مثل كتابنا «عشرة ينتظرها العالم» كل ما يخص نزول عيسى ﷺ آخر الزمان وقتاله للدجال وحياته على الأرض بعد ذلك وما تشهده الأرض بعد قتل الدجال وأتباعه من استقرار وبركة وسعادة، ونذكر هنا ما يخص نزول عيسى ﷺ على أرض الشام وقيادته للمسلمين في حربهم للدجال وأعدائه بإيجاز وتلخيص.

لقد دلت الآيات الكريمة على أن نبي الله عيسى ﷺ رفع من الأرض إلى السماء بروحه وجسده، عندما أراد اليهود قتله وصلبه فلم يمكنهم الله منه، ودلت كذلك على أنه سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة.

ومن أشهر تلك الآيات قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ**﴾ **(آل عمران: ٥٥)**.

فقد ذكر المفسرون ثلاثة أقوال في المراد بالتوفي في هذه الآية:

الأول: قول الجمهور ورجحه ابن كثير وهو أن المراد به توفي النوم، فكلمة الوفاة كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضاً.

الثاني: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً والتقدير ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ**﴾ أي متوفيك بعد النزول وهذا القول منسوب إلى قتادة.

الثالث: أن المراد بالتوفي هو نفس الرفع، والمعنى: (إني قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك) وهذا رأي ابن جرير.

وجميع هذه الأقوال متفقة على أنه رفع حيّاً، وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي: «وأما قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ **(آل عمران: ٥٥)**، فهذا دليل على أنه لم يَعْنِ بذلك الموت، إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين، فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء

فعلم أن ليس في ذلك خاصية، وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **(آل عمران: ٥٥)**، ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء.

وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ **(النساء: ١٥٧- ١٥٨)**.

فقوله تعالى هنا: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه، إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات، فقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه.

ولهذا قال من قال من العلماء: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، أي: قابضك، أي: قابض روحك وبدنك، يقال: توفيت الحساب واستوفيته، ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما جميعاً إلا بقرينة منفصلة.

وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالي: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ **(الزمر: ٤٢)**، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام: ٦٠)، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ **(الأنعام: ٦١)** اهـ.

وحياته عليه السلام بعد رفعه لا يلزم منها أن تكون كحياة من على الأرض في احتياجه إلى الطعام والشراب، وخضوعه للسنن والنواميس الكونية كسائر الأحياء، وإنما هي حياة خاصة عند الله عز وجل.

كما أن الآيات القرآنية قد دلت أيضاً على نزوله إلى الأرض في آخر الزمان، وذلك في ثلاثة مواضع من القرآن:

الأول: قوله تعالي: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ **(النساء: ١٥٩)** فقد دلت الآية على أنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وسيؤمن بعيسى عليه السلام عبداً لله ورسولاً من عنده، وذلك سيكون قبل موت عيسى، ومعلوم أن هذا لم يقع حتى الآن، مما يعني أنه مما سوف يقع فيما نستقبله من الزمان، لأن الآية جاءت في سياق تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسي وصلبه وتسليمه.

الثاني: قوله تعالي: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ **(الزخرف: ٦١)** فإن الآيات قبلها كانت تتحدث عن عيسي عليه السلام، ولذا فإن الضمير في هذه الآية يعود إليه، فيكون خروجه من علامات الساعة وأماراتها، لأنه ينزل قبيل قيامها، ومما يدل على ذلك القراءة الأخرى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ بفتح العين واللام أي: علامة وأمارة، وهي مروية عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ **(آل عمران: ٤٦)** وفي هذه الآية عدد الله تعالى بعض خصائص عيسى ودلائل نبوته، فكان منها كلامه في المهد وهو رضيع، وكلام الرضيع من الخوارق الدالة على النبوة ولاشك، وذكر منها كلامه وهو كهل، والكهولة سن بداية ظهور الشيب، فما هو وجه كون كلامه وهو كهل من الآيات، والكلام من الكهل أمر مألوف معتاد؟! وكيف يحسن الإخبار به لاسيما في مقام البشارة؟! لابد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً، وهذه الحالة لم تقع فيما مضي من حياته التي كان فيها بين الناس لأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فلم يبق إلا أن هذه الخصيصة ستتحقق فيما يستقبل من الزمان، ويكون المعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل، ثم ينزل فيبقى في الأرض أربعين سنة- كما ثبت في الحديث- إلى أن يكتهل، فيكلم الناس كهلاً كما كلمهم طفلاً، وتتحقق له هذه الآية والمعجزة التى أخبر الله عنها القرآن الكريم.

وجاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي- ﷺ- تؤكد هذا المعنى، وتبينه بأفصح عبارة، وأظهر بيان، وأنه ينزل بمشيئة الله عند المنارة البيضاء شرقي

دمشق، حاكماً بشريعة محمد ﷺ لا ناسخاً لها، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية فلا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ويفيض المال، وتنزل البركات والخيرات.

منها أحاديث في الصحيحين كحديث أبي هريرة رضي الله عنه، الذي يقول فيه- ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبوهريرة: وأقرءوا إن شئتم: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ (النساء: ١٥٩). وفي رواية: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟).

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي- ﷺ- يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)(١).

وفي حديث حذيفة بن أسيد الذي يقول فيه النبي ﷺ: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات.. ذكر منها نزول عيسي بن مريم).

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ليس بيني وبينه نبي- يعني عيسي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون)(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) رواه أبوداود.

المسيح الدجال على أرض الشام

المسيح الدجال من علامات الساعة الكبرى العشرة، وله خروجات كثيرة آخرها بلاد الشام ومن أشهر الأحاديث النبوية التي ذكرت خروجه وحروبه ما رواه الصحابي أبو أمامة عن رسول الله ﷺ: قال: (يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال. وإن الله عز وجل لم يبعث نبيّاً إلا حذر أمته الدجال. وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة. فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم؛ فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي؛ فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم.

- وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيعيث يميناً وشمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا.

- فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي: إنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي.

- ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا.. وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر.. يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.. وإن من فتنته؛ أن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار..

- فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله، وليقرأ فواتح (الكهف) فتكون عليه برداً وسلاماً؛ كما كانت النار على إبراهيم.. وإن من فتنته؛ أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك..

- وإن من فتنته؛ أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها..

- وينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا؛ فإني أبعثه الآن؛ ثم يزعم أن له رباً غيري. فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله؛ ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم.

- وإن من فتنته؛ أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

- وإن من فتنته؛ أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت.

- وإن من فتنته؛ أن يمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن مما كانت وأعظمه، وأمدّه خواصر، وأدرّه ضروعاً.

- وإنه لا يبقَى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه؛ إلا مكة والمدينة.

- لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة.

- حتى ينزل عند الضرب الأحمر عند منقطع السبخة.

- فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه.. فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد.. ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص.

- فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله! فأين العرب يومئذٍ؟ قال: هم يومئذٍ قليل.

- وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح «المهدي».

- فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح؛ إذ نزل عليهم عيسي ابن مريم، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسي، فيضع عيسي يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلّ؛ فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إماماً.

- فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتح، ورواءه الدجال.

- معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج.

- فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء.

- وينطلق هارباً، ويقول عيسى عليه السلام: إن لى فيك ضربة لن تسبقني بها.

- فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله... فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلا انطق الله ذلك الشيء؛ لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة إلا الغرقدة؛ فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم! هذا يهودى فتعال فاقتله.

وإن أيامه أربعون سنة... السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة[1].

وآخر أيامه كالشررة... يصبح أحدكم على باب المدينة؛ فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى... فقيل له: كيف نصلى فى تلك الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال، ثم صلوا.

قال صلى الله عليه وسلم: فيكون عيسى ابن مريم عليه السلام فى أمتى حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره.

- وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها... وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثورة الفضة تنبت نابتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، يكون الثور بكذا وكذا

(١) وقع روايات أخرى فى صحيحه أن أيامه على الأرض أربعون يوماً وليس أربعين سنة وهو الصحيح، ولكن يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كأسبوع وسائر أيامه كأيامنا.

من المال، وتكون الفرس بالدريهمات.

- قالوا: يا رسول الله: وما يرخص الفرس؟ قال: لا تركب لحرب أبداً.

- قيل: فما يغلى الثور؟

قال: تحرث الأرض كلها.

وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء فى الثانية فتحبس ثلثى مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها، ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا تبق ذات ظل إلا هلكت؛ إلا ما شاء الله... قيل: فما يعيش الناس فى ذلك الزمان؟ قال: التهليل، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام(١).

والأحاديث عن الدجال كثيرة ذكرناها فى إصدارات لنا يمكن الرجوع إليها لمن أراد المزيد(٢).

■ ■ ■

(١) أخرجه ابن ماجه والرويانى باختصار، وأبو داود والطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٢) اقرأ كتابنا عشرة ينتظرها العالم وكتابنا نهاية العالم وأسرار الساعة، الناشر دار الكتاب العربى.

المسيح الدجال فى بلاد الشام
آخر الزمان يقود اليهود لنهايتهم

المسيح الدجال ليس من بنى إسرائيل

الأعور الدجال أو المسيح الدجال أو المسيخ الدجال تكلمنا عنه فى إصدارات كثيرة وتكلم عنه الكثيرون من المؤلفين قديماً وحديثا، وهو باختصار شيطان الإنس الأكبر رجل من بنى آدم، ممسوح العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية وهذه أبرز علامته ولهذا عرف بالمسيح الدجال أو المسيخ، يدعى أنه المسيح المنتظر الذى تنتظره اليهود كما يقودهم لحكم العالم ولهذا يتبعونه وينتظرونه ورفضوا الاعتراف بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذى هى مسيح الحق والهدى.

ومن خلال قراءاتى للأحاديث النبوية والآثار الصحيحة عن المسيح الدجال حتى نصوص أهل الكتاب فى العهد القديم والجديد لم يتضح لى أن المسيح الدجال من بنى إسرائيل لأنه باختصار من نسل آدم قبل نوح أى أنه من المنْظَرين الأشرار[1].

لكن ما الذى جعل الكتاب والمصنفين الذين كتبوا عن الدجال يعتقدون أنه يهودى؟

فالمسيح الدجال كان موجودا فى كل العصور السابقة والدليل على ذلك أن النبى ﷺ أخبرنا أن ما من نبى إلا وأنذر أمته الدجال وأن نوحا عليه السلام أنذر أمته الدجال، أى أنه كان موجودا قبل نشأة بنى إسرائيل الذين هم نسل النبى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

---

(١) اقرأ كتابنا المسيح الدجال وأسرار الأهرامات الكبرى، دار الكتاب العربى.

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ - أى خطيباً - فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال... «إنى لأنذركموه - أى الدجال - وما من نبى إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبى لقومه: تعلموا أنه أعور وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور»[1].

ولعل سبب ظن الكثيرين أن الدجال يهودى هو اتباع اليهود للدجال، وظن بعض الصحابة أن ابن صياد اليهودى هو الدجال فى العصر النبوى بعد الهجرة.

عن أبى بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور، أضر شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه، ثم نعت لنا رسول الله ﷺ وقد سئل والداه.

هل لكما ولد؟ فقالاً: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد، ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه. قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو منجدل فى الشمس فى قطيفة، وله همهمة، فكشف رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عيناى ولا ينام قلبى).

ومن هنا ظن البعض أن الدجال هو ابن صياد اليهودى فقد كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يعتقد أن ابن صياد هو المسيح الدجال، ومات رسول الله ﷺ وهو شاك فيه، والحق أن ابن صياد ليس هو المسيح الدجال لمغايرته للكثير من صفاته، وعدم إقرار النبى ﷺ بأنه هو وعدم نفيه أنه **ليس** هو جعل الصحابة يظنون أنه هو.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة).

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال: (يكون معه سبعون

(١) متفق عليه.

ألفاً من اليهود على كل رجل منهم ساج وسيف).

ومن هذه الأحاديث ظن بعض الصحابة وغيرهم بأن الدجال يخرج من اليهود رغم أن هذه الأحاديث لم تذكر ذلك.

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (أنه خارج فى خلة بين الشام والعراق) وتلك آخر خروجات الدجال.

ومما جعل أن أتباع الدجال أكثرهم من اليهود قوله ﷺ: يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة.

فهذه الأحاديث ليست فيها أى إشارة إلى كون الدجال من اليهود ولكن أكثر أتباعه منهم، فالدجال يتبعه أناس من كل الأديان والطوائف، ولأنه موجود من قبل نوح عليه السلام فهو لا ينتمى إلى اليهود وإن أبويه يمكثان ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، وإنه يولد لهما بعد ذلك وهو أعور تنام عيناه ولا ينام قلبه، وحين وجد أحد الصحابة أوصاف والدى الدجال عند اثنين من اليهود ظن أنه الدجال؛ من هنا اعتقد الكثير بأن الدجال من اليهود.

ومما جاء فى وصف الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها من يعرف الكتابة ومن لا يعرفها وأنه يقلب الحقائق ويخدع ويموه ولذلك سمى دجالا، يدعى الصلاح والتدين والخير ثم النبوة ثم الإلوهية وقد روى مسلم فى صحيحه عن الصاحبية فاطمة بنت قيس حديثاً طويلاً نقتبس منه بعض النقاط التى نراها هامة فى شخصية وأفعال الدجال.

ما ورد فى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها وفيه: (فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس علي المنبر وهو يضحك، فقال ليلزم كل إنسان مصلاه، قم قال: «أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانيّاً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت حدثتكم عن

المسيح الدجال، حدثنى أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟

فقالت: أنا الجساسة.

قالوا: وما الجساسة.

قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً. وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك ما أنت؟ ومما قاله لهم: إنى مخبركم عنى: إنى أنا المسيح، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج، فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان على كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتاً يصدنى عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها»(١).

وعن حذيفة عن رسول الله ﷺ قال عن الدجال: «إن معه ماءً وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار، فلا تهلكوا»(٢).

إنه شاب قطط عينه طائفة.. فمن أدركه، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف... فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم

أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.. فيقتله»(١).

قتال المسلمين للدجال واليهود:

وقتال المسلمين لليهود آخر الزمان من المحتوم والمتحقق بإذن الله عز وجل قال ﷺ: (تقاتلون اليهود حتي يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله)(٢).

وفي رواية للبخاري قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتي تقاتلوا اليهودى حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله).

وفي رواية: «إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» رواه مسلم وأحمد.

والمتأمل في الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ في قتال اليهود يرى أنها على وجهين:

الأول: الأحاديث التي أخبرت عن قتالهم دون ذكر للدجال.

والثاني: الأحاديث التي أخبرت عن قتالهم مقترناً بقتال الدجال منها:

■ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدَّثناه عن الدجال، وحذرناه، فكان من قوله أن قال: (إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال.. فيهزم الله اليهود،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) متفق عليه.

فلا يبقي شيء مما خلق الله- عز وجل- يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة- إلا الغرقد[1] فإنها من شجرهم لا تنطق- إلا قال يا عبدالله المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله) (رواه ابن ماجه).

■ وعن ثعلبة بن عباد العبدي من أهل البصرة قال: شهدت يوما خطبة لسمرة بن جندب، فذكر في خطبته حديثاً عن رسول الله ﷺ.. وإنه يحصر (أي الدجال) المؤمنين في بيت المقدس، فيزلزلون زلزالاً شديداً، ثم يهلكه الله تبارك وتعالى وجنوده، حتى إن جذم الحائط- أو قال: أصل الحائط- وقال حسن الأشيب: وأصل الشجرة - لينادي- أو قال: يقول: يا مؤمن أو قال: يا مسلم، هذا يهودي أو قال: هذا كافر تعالى فاقتله) (رواه أحمد).

■ وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أعلم بما مع الدجال منه..... وسلط الله عليهم المسلمين، فيقتلونهم حتى إن الشجر والحجر لينادي: يا عبدالله، يا عبدالرحمن، يا مسلم، هذا يهودي فاقتله فيفنيهم الله، ويظهر المسلمون...) (رواه الحاكم).

■ وعن أبي الطفيل قال: كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال، قال: فأتيت على حذيفة بن أسيد وهو يحدث، فقلت هذا الدجال قد خرج، فقال: «أجلس، فجلست.. ولكن الدجال يخرج في نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوي له الأرض طيَّ فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها، ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من

---

(١) نوع من شجر العضاه، وشجر الشوك، واحدته الغرقدة؛ شجيرة ارتفاعها من متر إلى ثلاثة أمتار، بيضاء السوق والفروع، وهو معروف ببلاد بيت المقدس، وله وجود في فلسطين والأردن، وينبت على السفوح الصخرية، وقد أكثر اليهود من زراعته وغرسه في هذه الأيام حول مستوطناتهم وتجمعاتهم، ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة: بقيع الغرقد؛ لأنه كان فيه غرقد وقطع. انظر: ابن الجوزي، غريب الحديث (٢١٥٤)؛ النهاية في غريبة الحديث والأثر (ص٦٦٩)؛ شرح النووي على مسلم (٢٥٢/١٨)؛ منة المنعم شرح صحيح مسلم (٣٦٦/٤).

المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يُفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسي ابن مريم، فيقتل الدجال، ويهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن، هذا يهودي عندي فاقتله..) (رواه الحاكم).

ومن خلال تلك الأحاديث يتضح لنا أن هناك قتالا حتميا بين اليهود والمسلمين آخر الزمان قبل خروج الدجال وبعد خروجه كما قال بعض أهل العلم بناءً على الأحاديث التي ذكرت قتال المسلمين لليهود آخر الزمان دون ذكر الدجال أضف إلى ذلك قتالهم أيضاً بعد خروج الدجال وتلك هي نهايتهم والله أعلم.

وتلك الأحاديث تدل على أن قتال اليهود آخر الزمان قبل ظهور الدجال وبعد خروجه سيكون بعد اتحاد المسلمين تحت راية واحدة وقائد واحد، حيث إن الحجر والشجر ينادي على المسلم بقوله: يا مسلم يا عبدالله، فلم يناد عليه بجنسيته أو أصله مثلاً.

«لا تقوم الساعة حتي يقاتل المسلمون اليهود.....».

وهناك من يري أن تكلم الجماد لا يحدث إلا عند نزول عيسي ابن مريم الذي يستأصل الدجال واليهود معه؛ قاله القرطبي في المفهم لما سُئل من تلخيص كتاب مسلم؛ وكذلك ابن حجر في فتح الباري فقال عند شرحه لحديث ابن عمر أن المراد بقتال اليهود إنما يحدث ذلك عند خروج الدجال ونزول عيسى، وكذلك ذكر ذلك الكثيرون من أهل العلم المعاصرون.

وهؤلاء حملوا ما رواه أبوهريرة وابن عمر عن قتال المسلمين لليهود آخر الزمان دون ذكر الدجال ينسحب على الأحاديث التي ذكرت قتال اليهود مع الدجال، والله أعلم.

■ ■ ■

مقتل الدجال عند باب لد بالشام

حين يأذن الله عز وجل بخروج المسيح الدجال آخر الزمان وقد سبقه المهدي الذي يقود الأمة الإسلامية ويجمع شتاتها تكون بلاد الشام هي آخر مكان يخرج إليه كما ذكرت الأحاديث النبوية أنه خارج بين الشام والعراق.

وسبب خروجه هو ما حققه المسلمون بقيادة المهدي من انتصارات وفتوحات بعد أن عادت الخلافة الإسلامية وتحررت القدس وتم طرد اليهود منها وليس هذا كله أحلاما وإنما واقع سوف يعيشه المسلمون بإذن الله بعد أن يتوحدوا كما أخبرنا رسولنا ﷺ في أحاديث صحيحة وكثيرة وتشهد أرض الشام تلك الوقائع والانتصارات التي تجبر الدجال على الخروج ونهايته المحتومة على أرض الشام أيضاً.

وحين يخرج الدجال في أول أمره يكون خروجه من ناحية إيران حيث خراسان واصفهان يكون هذا الخروج وقد التف حوله اليهود هناك سبعون ألفاً من يهود أصبهان، يتجمع انصار الدجال عند شط العرب وهدفهم الوصول إلى القدس التي تحررت وأصبحت عاصمة للمسلمين والخلافة الإسلامية؛ ويستطيع أنصار الدجال وجيشه من الانتصار على المسلمين، ثم ينتقل بجيشه نحو الجزيرة العربية ويحاول احتلال مكة والمدينة المنورة فلا يستطيع ذلك حيث تقف ملائكة الرحمة أمامه تصده وتمنعه وتجبره على الاتجاه نحو الشام نحو الأردن وتدور هناك معارك عنيفة حيث يقول في ذلك رسولنا ﷺ: (يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقي النهر وهم غربيه).

ولا يستطيع جيش الإسلام الانتصار في تلك المعارك ووقف زحف الدجال وجيشه نحو الشام وتتأزم الأمور ويخوض المسلمون أعنف المعارك

حيث يستخدم الدجال كل ما لديه من أسلحة حديثة.

والسبب في تلك الهزائم للجيش الإسلامي بقيادة المهدي أنها قد انهكت في معارك وفتوحات عظيمة أخرها فتح القسطنطينية وأوروبا.

وتتوقف انتصارات الدجال عند بلاد الشام فلا يستطيع دخول القدس أيضاً، فهناك ثلاث مدن لا يستطيع الدجال دخولها المدينة المنورة ومكة المكرمة والقدس الشريف.

ويلجأ المهدي ومن معه إلى مدينة القدس الشريف ويحاصرهم الدجال حتى يأذن الله تعالى بنزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كي ينهي أمر الدجال الذي انتحل صفته وادعى شخصيته ووظيفته.

ويكون مقتل الدجال عند «باب لد» وهي بلدة قرب مدينة بيت المقدس تقع على مسافة ١٦ كم، جنوبي شرق حيفا، حوالي خمسة كيلومترات شرق الرملة، وهي ترتفع خمسين متراً عن سطح البحر.

وبمقتل الدجال تنتهي الفتنة والقتال ويهرب اليهود في كل مكان ويطاردهم المسلمون كما ذكرنا من قبل ويقتلونهم وتدل عليهم الأحجار والأشجار.

■ جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: (... فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله..).

■ وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: دخل على رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: ما يبكيك؟ قلت: يا رسول الله ذكرت الدجال فبكيت، فقال رسول الله: (إن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور، وإنه يخرج في يهودية أصبهان، حتي يأتي

المدينة، فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتي يأتي الشام، مدينة بفلسطين بباب لد). وقال أبو داود مرة: (حتى يأتي فلسطين باب لد، فينزل عيسي عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماماً عدلا، وحكما مقسطا) (أخرجه أحمد في المسند).

■ وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن عمر سأل رجلاً من اليهود عن شيء، فحدثه، فصدقه، عمر، فقال له عمر قد بلوت صدقك فأخبرني عن الدجال؟ قال: وإله اليهود ليقتلنه.

■ ■ ■

المنارة الشرقية التي ينزل عليها عيسي ابن مريم عليه السلام بدمشق

جاء في الحديث النبوي أن المسيح عليه السلام ينزل آخر الزمان بالمنارة الشرقية البيضاء وتعرف هذه المئذنة أيضاً باسم مئذنة أليسوع، وتسمي أيضاً مئذنة عين الشرق، أو مئذنة النوفرة نسبة لحي النوفرة المجاور لها، ويلقبها أهل الشام بالمنارة البيضاء على اعتقادهم.

وهذا الاعتقاد عليه خلاف بين أهل العلم ومشايخ المسلمين، ووقع لكثير من الناس في غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التي ذكرت في حديث النواس بن سمعان في نزول سيدنا عيسي ابن مريم على المنارة البيضاء في شرقي دمشق، فلعل لفظ الحديث انقلب على بعض الرواة، وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق، ولكن المنارة مشهورة بالشرقية بمقابلتها أختها الغربية وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه.

وتقع هذه المئذنة جنوب الجامع الأموي، في الركن الجنوبي الشرقي منه، وهي من المآذن الفريدة في أسلوبها المعماري كما ذكر الدكتور قتيبة الشهابي في سياق حديثه عن مآذن الأموي: إن جذعها مقسوم إلى كتلتين لا رابط بينهما من الواجهة الفنية، فالكتلة السفلية مربعة الأضلاع، مملوكية العصر، أموية- أيوبية الطراز، وهي خالية من الزخارف والنقوش والكتابات، إلا أن التأثر المملوكي يتركز فيها بطبقتين من النوافذ المزدوجة ذات الأقواس المتكررة والتي تزينها فتحات نجمية ومستديرة صغيرة، ويتم الانتقال من ضخامة هذه الكتلة بشكل مفاجئ إلى رشاقة كتلة نحيلة مثمنة الأضلاع،

عثمانية الأسلوب والطراز لتنتهي بقلنسوة مخروطة الشكل، وتحوي على شرفتي مؤذن زُين أسفلهما بالمقرصنات، ولا يوجد مظلات ساترة للشرفات.

وقد ذكر السيد الأستاذ أحمد فايز الحمصي في روائع العمارة العربية الإسلامية أنها شيدت فوق برج المعبد الروماني القديم لمعبد جوبيتر الدمشقي أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك عام ٩٦ للهجرة الموافق ٧١٥ للميلاد، وتعرضت للكوارث الطبيعية، ففي عام ٦٤٥ للهجرة الموافق ١٢٤٧ للميلاد، احترق القسم الأعلى منها، فأعاد الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد أبوالمعالي ابن الملك العادل سيف الدين أبوبكر بن نجم الدين أيوب إعمارها مرة ثانية.

وذكر المؤرخ يوسف بن تغري بردي في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: إنه وفي عام ٧٤٠ للهجرة الموافق ١٢٢٨ للميلاد إبان فترة نيابة نائب السلطنة بالشام الأمير سيف الدين تنكز احترقت دمشق من الجهة الشرقية للجامع الأموي، وذهبت فيه أموال، ونفوس، واحترقت معها (المنارة الشرقية) للجامع ثم انهارت على محلة الدهشة وقيسارية القواسين كلها، وأخذت النيران بالازدياد نتيجة تغذية النصارى لها، وأقرب طائفة من النصارى بدمشق بفعلتهم هذه، فحمل الأمير تنكز عليهم بشدة، وصلب منهم أحد عشر رجلاً، ثم توسطوا عنده بوجاهة صاحبه ألطنبغا الحاجب الصالحي، بعد أن أخذ منهم ألف ألف درهم، فأسلم منهم ناس كثير، وعملت المقامة الدمشقية للعمارة، وسموها (صفو الرحيق) لإعادة بناء المنارة، وأعيد بناؤها وترميمها وتكامل عمارة المنارة الشرقية في الجامع الأموي في العشر الأخير من رمضان سنة إحدي وأربعين وسبعمائة، واستحسن الناس بناءها وإتقانها المملوكي الطراز، وذكر بعضهم أنه لم يبن في الإسلام منارة مثلها ولله الحمد.

ثم أنها احترقت كما ذكر حسن العلبي في خطط دمشق مرة ثالثة عام

٧٩٤ للهجرة الموافق ١٣٩٢ للميلاد أثناء نيابة الأمير سيف الدين بزلار نائب السلطة بالشام، فأعاد ترميمها على شاكلتها السابقة.

ونتيجة كل الكوارث التي ألمت بها من حرائق وزلازل، وتصدعات فتح المجال أمام المهندس العثماني ليترك البصمة العثمانية فوق هذا الصرح العظيم، فقد صمم الكتلة العليا على الطراز العثماني غير مكترث بانسجام الكتلتين السفلية والعلوية، أو لعله أراد عمداً أن تكون عثمانية الطراز فوق القاعدة المملوكية الشكل، ثم تم تجديدها كما ورد آنفا وصيانتها في العصر العثماني، ويرجع بناء قسمها السفلي إلى العهد المملوكي وقسمها العلوي إلى العهد العثماني وتم إنشاء مخروط في أعلى رأسها على غرار المآذن العثمانية، ويبلغ ارتفاعها ٦٧ متراً، وقد رجح ابن كثير رحمه الله أنها إلى المنارة البيضاء المذكورة هي المقصودة في حديث النواس بن سمعان المرفوع كما سيأتي إن شاء الله.

هكذا اختص الله بلاد الشام بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام في مدينة دمشق كما أن هلاك المسيح الدجال في «باب لد» بفلسطين كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتي ظنناه في طائفة النخل.

فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، أن يخروج وأنا معكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم».

فالحديث يدل على أهمية الحديث عن فتنة الدجال وتوقع ظهوره في أي عصر ووقت، وإن كل مسلم بعد رسول الله ﷺ مسؤول على نفسه، ثم ذكر ﷺ مكان نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في نفس الحديث فقال: (فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق

بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جُمانٌ كاللؤلؤ- أي عرقه- فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث طرفه فيطلبه- أي يطلب بالدجال- حتى يدركه «بباب لد».. الحديث.

ومهرودتين أي يلبس ثوبين مصبوغين بورس.

وتحدر منه جمان كاللؤلؤ: الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم هي حبات من فضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، أي يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه.

قال ابن كثير: الأشهر في موضع نزل المسيح عليه السلام أنه على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ.

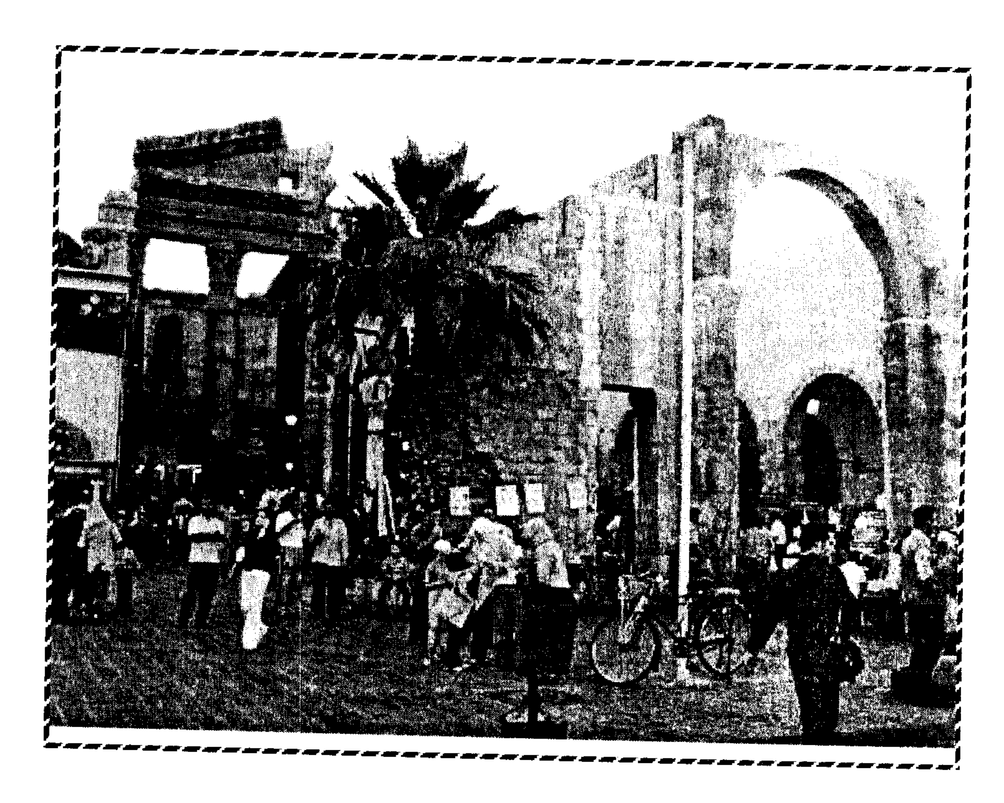
■■■



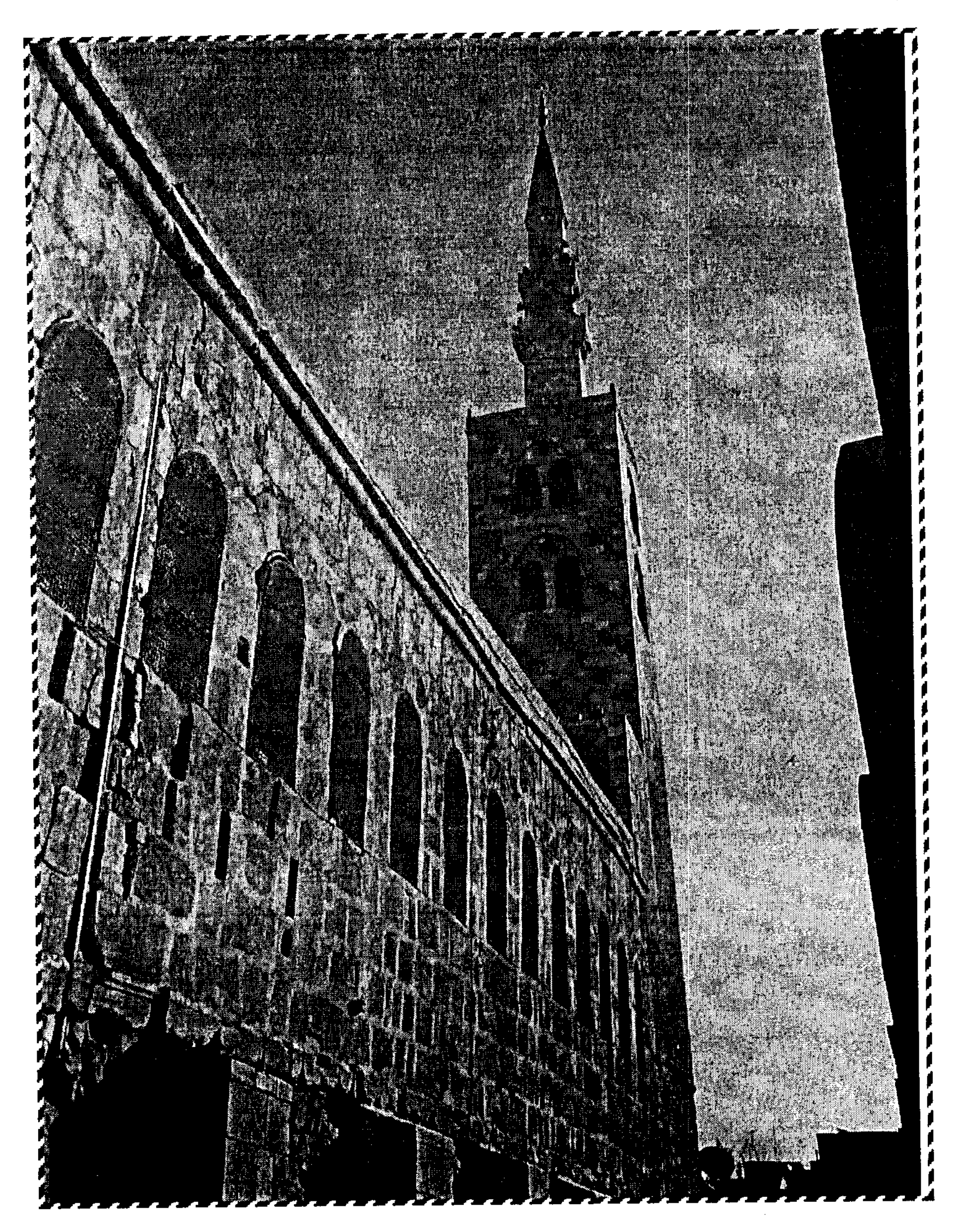
مئذنة المنارة بالجامع الأموى الشرقية المسماة بمأذنة سيدنا عيسى



المنارة الشرقية المشار إليها في الحديث النبوي جنوب المسجد الأموى



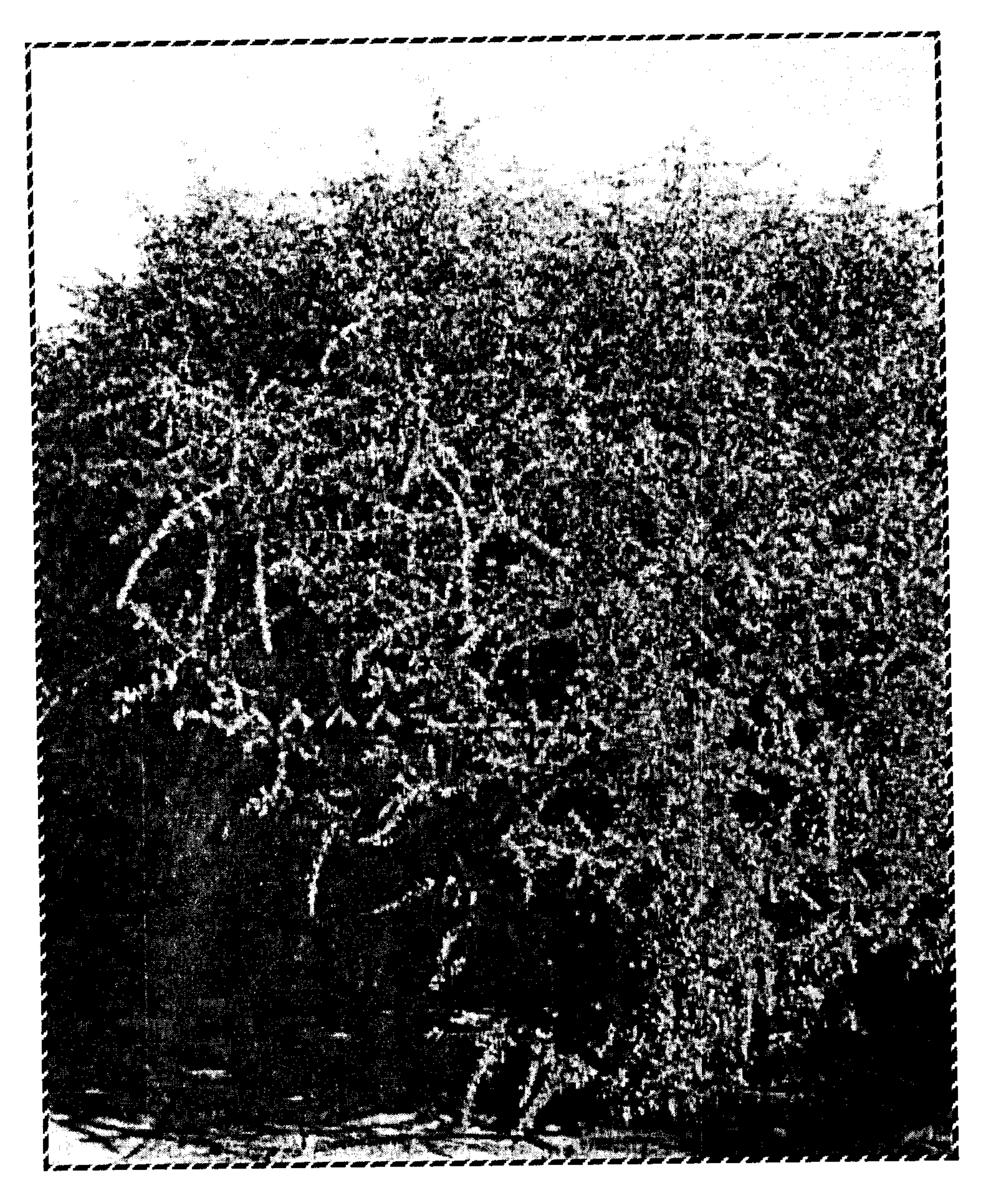
موقع المسجد الأموي والشوارع المحيطة به



المسجد الأموي والمنارة الشرقية



صورة تخيلية للمسيح الدجال



شجر الغرقد

الخلافة الراشدة تعود إلى بلاد الشام

الخلافة الإسلامية الراشدة هي حكم الناس بشريعة الله التي ارتضاها لعباده كي تستقيم أحوالهم وحياتهم وليست هي حكم الدولة الدينية كما يظنها البعض كما حدث في أوروبا في العصور الوسطى، وقد عرف الإسلام الخلافة الراشدة في السنوات الثلاثين بعد وفاة رسول الله ﷺ فكان الخلفاء الراشدون الأوائل هم أبوبكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب واكتملت الثلاثون عاماً بخلافة الحسن بن على بن أبي طالب التي دامت ستة أشهر فقط.

فالبداية كانت النبوة ثم خلافة راشدة على منهاج النبوة، ثم الملك العاض أي الذي يصيب الرغبة فيه ظلم إلى ما شاء الله ثم تكون ملكاً جبريّاً إلى ما شاء الله ثم تعود الخلافة الراشدة على منهاج كما كانت في البداية.

قال ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[1].

وهذه الخلافة الراشدة على منهاج النبوة مقرها الأخير في بلاد الشام في بيت المقدس كما أخبرنا رسولنا ﷺ، فالإسلام قادم بإذن الله تعالى وقد ظهرت مبشرات قدومه بتلك الثورات العربية.

وقد جاء في الحيدث الذي رواه الإمام أحمد في المسند أن رسول الله

(١) رواه أحمد وأبوداود الطيالسي وحسنه الألباني في صحيحه.

ﷺ وضع يده على رأس الصحابي ابن حوالة رضي الله عنه وقال: (يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض أرض المُقَدَّسَة فقد دنت الزلازل والبلابل- والهموم والأحزان- والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك).

والحديث يشير إلى نزول الخلافة إلى الأرض المقدسة في بلاد الشام، ونزول الخلافة في بيت المقدس سيكون سبباً في عمارها وهجرة الناس إليها كما قال ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال».

ثم ضرب على فخذ معاذ- راوي الحديث- ثم قال: «إن هذا لحق كما أنك ها هنا أو كما أنك قاعد».

فكل هذه الأحداث تكون قرب الساعة آخر الزمان، فهي متزامنة مترابطة، والكلام في تفسير هذا الحديث كثير لكن الأقرب للتصديق هو أن بيت المقدس حين يكون مقرّاً للخلافة الإسلامية الأخيرة وتكون بلاد الشام محور اهتمام المسلمين يكون هذا هو عمرانه، ويهجر الناس وقتها المدينة المنورة لتوالي الأحداث الجسام هناك في الشام والقدس أيام المهدي.

وأما الخلافة على منهاج الخلافة الراشدة في زمن المهدي أو قبله فإنها مسألة لا تهمنا كثيراً ونعتقد أن الخلافة الراشدة ستكون مع المهدي وليس قبله حيث لا معنى لها قبله، وحيث إنه سيكون هو آخر الخلفاء الراشدين[1].

فالخلفاء الراشدون اثنا عشر خليفة أولهم أبوبكر الصديق وآخرهم المهدي المنتظر وكلهم من قريش كما جاء في أحاديث كثيرة نذكر منها:

١- «عن حصين عن جابر بن سمرة قال دخلت مع أبي على النبي فسمعته يقول إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة

(١) اقرأ كتابنا «المهدي المنتظر آخر الخلفاء الراشدين» الناشر مكتبة التوفيقية بالأزهر - القاهرة.

قال ثم تكلم بكلام خفي على قال فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش» رواه مسلم.

٢- «عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله قال فكتب إلى سمعت رسول الله يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وسمعته يقول عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض بيت كسرى أو آل كسرى وسمعته يقول إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم وسمعته يقول إذا أعطى الله أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهل بيته وسمعته يقول أنا الفرط على الحوض» رواه مسلم.

٣- «عن عامر بن سعد قال سألت جابر بن سمرة عن حديث رسول الله قال: قال رسول الله لا يزال الدين قائما حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش ثم يخرج كذابون بين يدي الساعة ثم يخرج عصابة من المسلمين يستخرجون كنز الأبيض كسرى وآل كسرى وإذا أعطى الله تبارك وتعالى أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهله وأنا فرطكم على الحوض» رواه أحمد.

٤- «عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله أو قال: قال رسول الله يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش قال ثم رجع إلى منزله فأتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا قال ثم يكون الهرج» رواه أحمد.

٥- «عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله لا يزال هذا الأمر مؤاتي أو مقاربا حتى يقوم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» رواه أحمد.

٦- «عن جابر بن سمرة السوائي قال سمعت رسول الله يقول في حجة الوداع إن هذا الدين لن يزال ظاهرا على من ناوأه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بشيء لم أفهمه

فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش» رواه أحمد.

٧- «عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله يقول لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة فسمعت كلاما من النبي لم أفهمه قلت لأبي ما يقول قال كلهم من قريش» رواه أبوداود.

قال ابن كثير في تفسيره: وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا بعد إيراد حديث جابر بن سمرة من رواية الشيخين واللفظ لمسلم: ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد أربعة على نسق واحد وهم الخلفاء الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، ومنهم عمر بن عبدالعزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه يواطئ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبيه فيملأ عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما. انتهى.

روي البخاري في صحيحه في باب الاستخلاف من كتاب الأحكام عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش. والحديث رواه مسلم والترمذي وأبو داود. ولفظ مسلم: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة». وفي لفظ له: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلا». وفي لفظ له أيضاً: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة». وفي لفظ آخر: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة». وفي رواية أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة». وهذا لا علاقة له بما يدعيه الشيعة في باب الإمامة، فإن جميع من نصوا على إمامته لم تجتمع عليه الأمة ولم يكن خليفة إلا علياً والحسن رضي الله عنهما، ويلزم على قولهم أن يكون قائماً وعزيزاً زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وهذا من أبلغ المناقضة للحس

والواقع، فضلا عن مناقضته للشرع القاضي بأن خير القرون قرنه ﷺ ثم الذي يليه فالذي يليه.

وقد اختلف العلماء في تعيين الاثني عشر خليفة المذكورين في الحديث، وأرجح الأقوال في ذلك ما قاله القاضي عياض: «ويحتمل أن يكون المراد أن يكون- الاثنا عشر- في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة، ويؤيده قوله في بعض الطرق «كلهم تجتمع عليه الأمة» وهذا قد وجد فيمن اجتمع عليه الناس إلى اضطراب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم، وهذا العدد موجود صحيح إذا اعتبر. قال: وقد يحتمل وجوها أخر، والله أعلم بمراد نبيه» انتهى.

قال الحافظ ابن حجر بعد نقل كلام القاضي وكلام لابن الجوزي (وينتظم من مجموع ما ذكراه أوجه: أرجحها الثالث من أوجه القاضي؛ لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة «كلهم يجتمع عليه الناس» وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، فسمي معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبدالعزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام، فولي نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك، لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد

لم تطل مدته بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ولما مات يزيد ولي أخوه إبراهيم فغلبه مروان، ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قتل، ثم كان أول خلفاء بني العباس أبوالعباس السفاح، ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه، ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته، لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسموا بالخلافة بعد ذلك، وانفرط الأمر في جميع أقطار الأرض إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في بعض البلاد، بعد أن كانوا في أيام بني عبدالملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً مما غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة، ومن نظر في أخبارهم عرف صحة ذلك فعلى هذا يكون المراد بقوله: «ثم يكون الهرج» يعني القتل الناشئ عن الفتن وقوعاً فاشياً يفشو ويستمر ويزداد على مدى الأيام، وكذا كان والله المستعان.

وقال الحافظ أيضاً: (فالأولى أن يحمل قوله «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» على حقيقة البعدية، فإن جميع من ولي الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبدالعزيز أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ولم تطل مدتهما وهما: معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفسا على الولاء كما أخبر ﷺ، وكان وفاة عمر بن عبدالعزيز سنة إحدي ومائة، وتغيرت الأحوال بعده، وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون، ولا يقدح في ذلك قوله: «يجتمع عليهم الناس» لأنه يحمل على الأكثر الأغلب، لأن هذه الصفة لم تفقد منهم إلا في الحسن بن على وعبدالله بن الزبير مع صحة ولايتهما، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن وبعد قتل ابن الزبير والله أعلم. وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الاثنى عشر منتظمة وإن وجد في بعض مدتهم خلاف ذلك، فهو بالنسبة إلى

الاستقامة نادر والله أعلم) انظر فتح الباري.

فالخلافة على منهج النبوة هي المرحلة الخامسة التي سكت بعدها رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما، والخليفة هو المهدي المنظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يكون في آخر أمتي خليفة يحثو المال حثواً لا يعده عداً، قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه،فقال: لا «ثم سكت».

والسكوت تعني أن بعد ذلك آخر الزمان[1].

■ ■ ■

(١) رواه مسلم في صحيحه وأحمد في المسند.

بشائر الخلافة على منهاج النبوة

يقول الدكتور الشيخ يوسف عبدالله القرضاوي: «بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: المبشرات بانتصار الإسلام كثيرة، منها مبشرات في القرآن الكريم، ومبشرات في السنة الصحيحة، ومبشرات على أرض الواقع الذي نحياه رغم كل ما يتعرض له المسلمون الآن، والمهم أن نفي بعهد الله حتى يفي الله لنا، وننصر الله لينصرنا. يتحدث كثير من الدعاة عن آخر الزمان، وعن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حديثاً يوحي مجمله أن الكفر في إقبال، وأن الإسلام في إدبار، وأن الشر ينتصر، والخير ينهزم، وأن أهل المنكر غالبون، وأهل المعروف ودعاته مخذولون.

ومعني هذا: أن لا أمل في تغيير، ولا رجاء في إصلاح، وأننا ننتقل من سيئ إلى أسوأ، ومن الأسوأ إلى الأشد سوءاً، فما من يوم يمضي إلا والذي بعده شرٌّ منه، حتى تقوم الساعة. وهذا لا شك خطأ جسيم، وسوء فهم لما ورد من بعض النصوص الجزئية، وإغفال للمبشرات الكثيرة الناصعة القاطعة، بأن المستقبل للإسلام، وأن هذا الدين سيُظهره الله على كل الأديان، ولو كره المشركون. لهذا كان من اللازم أن نتحدث عن هذه (المبشرات)، ونشيعها بين المسلمين، حتى نبعث الأمل المحرك للعزائم، ونهزم اليأس القاتل للنفوس.

وهذه المبشرات كثيرة والحمد لله، بعضها مبشرات نقلية من القرآن الكريم ومن السنة النبوية وسنتحدث عن كل واحدة من هذه المبشرات بما يفتح الله.

أولاً: المبشرات من القرآن

أما القرآن فحسبنا قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

وقد تكررت هذه الآية بهذه الصيغة مرتين، في التوبة وفي الصف، وفي سورة الفتح: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨). فهذا وعد من الله تعالى بظهور دين الحق- الإسلام- على الدين كله، أي على الأديان كلها، وكان وعد الله حقاً، فلن يخلف الله وعده، ولا زلنا ننتظر تحقيق هذا الوعد: غلبة دين الإسلام وظهوره على جيمع الأديان سماوية أو وضعية. ونضيف إلى ذلك قوله تعالى في محاولات أهل الكفر النيل من الإسلام، وعرقلة تقدمه وانتشاره: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢). والتعبير القرآني يسخر من هؤلاء حين يشبه محاولاتهم في إطفاء نور الإسلام، كالذي يحاول أن يطفئ الشمس بنفخة من فيه، كأنما يحسبها شمعة ضئيلة من شموع البشر. وبشارة قرآنية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

ثانياً: المبشرات من السنة:

وأما المبشرات من الحديث فحسبنا منها هذه الأربعة:

١- ما رواه مسلم في صحيحه وأبوداود والترمذي وصححه وابن ماجه وأحمد عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض- أي جمعها وضمها- فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها..» الحديث (رواه مسلم برقم ٢٨٨٩، وأبوداود ٤٢٥٢، والترمذي ٢٢٠٣، وصححه، وابن ماجه ٣٩٥٢، وأحمد ٥/٢٧٨، ٢٨٤). وهو يبشر باتساع دولة الإسلام، بحيث تضم المشارق والمغارب، وهذا لم يتحقق من قبل بهذه الصورة، فنحن بانتظاره كما أخبر الصادق المصدوق.

٢- ما رواه ابن حبان في صحيحه: «ليبلغن هذا الأمر- يعني الإسلام- ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله بن الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر» (ذكره الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان- ١٦٣١، ١٦٣٢).

فإذا كان الحديث السابق يبشر باتساع دولة الإسلام، فهذا يبشر بانتشار دين الإسلام، وبهذا تتكامل قوة الدولة وقوة الدعوة.

٣- ما رواه أحمد والدارمى وابن أبي شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي قبيل قال: كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو روميَّة؟

فدعا عبدالله بصندوق له حَلق قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولاً» يعني قسطنطينية (رواه أحمد برقم ٦٦٤٥ واللفظ له، وقال شاكر: إسناد صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢١٩: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير أبي قبيل وهو ثقة، والدارمي برقم ٤٩٣ وابن أبي شيبة والحاكم ٣/٤٢٢، ٤/٥٠٨ وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في الصحيحة برقم ٤).

ورومية هي ما ننطقها اليوم: «روما» عاصمة إيطاليا، وقد فتحت مدينة هرقل، على يد الشاب العثماني ابن الثالثة والعشرين: محمد بن مراد والمعروف في التاريخ باسم «محمد الفاتح» فتحها سنة ١٤٥٣م. وبقي فتح المدينة الأخرى: رومية، وهو ما نرجوه ونؤمن به. ومعنى هذا أن الإسلام سيعود إلى أوروبا مرة أخرى فاتحاً منتصراً، بعد أن طرد منها مرتين. مرة من الجنوب، من الأندلس، ومرة من الشرق بعد أن طرق أبواب أثينا عدة مرات.

وظني أن الفتح هذه المرة لن يكون بالسيف، بل سيكون بالدعوة والفكر.

٤- ما رواه أحمد والبزار- الطبراني ببعضه- عن النعمان بن بشير عن حذيفة: أن النبي ﷺ قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّا (الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعية فيه عسف وتجاوز، كأنما له أسنان تعضهم عضاً)، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً جبرية (ملك الجبرية: هو الذي يقوم على التجبر والطغيان)، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت (أحمد في مسند النعمان بن بشير ٤/٢٧٣ من طريق الطيالسي، وأورده الهيثمي في المجمع ٥/١٨٨، ١٨٩، وقال: رواه أحمد والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات، وهو في- منحة المعبود- برقم ٢٥٩٣.

وفي كشف الأستار عن زوائد البزار، برقم ١٥٨٨ وصححه الحافظ العراقي في كتابه: محجة القرب إلى محبة العرب وذكره الألباني في: الصحيحة برقم ٥، إن فتح رومية وانتشار الإسلام حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار، واتساع دولة الإسلام حتى تشمل المشرق والمغرب، إنما هو ثمرة لغرس، ونتيجة لمقدمة، هي عودة الخلافة الراشدة، أو الخلافة المؤسسة على منهاج النبوة بعد بقاء الملك الجبري، والملك العاض، أو العضوض ما شاء الله أن يبقيا من القرون. إن بعد الليل فجراً، وإن مع العسر يسراً، وإن المستقبل للإسلام، وقد بدت بشائر الفجر، والحمد لله.

ومن هذه البشائر:

١- ظهور الصحوة الإسلامية، التي أعادت للأمة الثقة بالإسلام، والرجاء في غده، وقد أقلقت أعداء الإسلام في الداخل والخارج. وهي جديرة أن

تقود الأمة إلى مواطن النصر، إذا قدر الله لها أن يتولى زمامها المرشدون الراشدون، من أولى الأيدي والأبصار، الذين آتاهم الله الفقه في سنن الله، والفقه في دين الله، والحكمة في النظر، والحكمة في العمل ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ (البقرة: ٢٦٩).

٢- انهيار الأنظمة الشمولية، وخصوصاً الشيوعية التي زعمت يوماً أنها ستغزو العالم، وترث الأديان، وتهزم الفلسفات، والتي لقيت أقوي هزائمها على أيدي إخواننا المجاهدين في أفغانستان، والذين انتصروا بأسلحتهم العتيقة على أعتي دولة ملحدة في التاريخ.

لقد سقطت قلاع الشيوعية واحدة بعد الأخري، بدءاً بالاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، وانتهاء بألبانيا. والبقية تأتي، سيمحق الباطل، وينتصر الحق ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾ (الروم: ٤، ٥)، والله أعلم.

وأما الملك الجبري، فالمراد به الملك بالقهر والجبر. قال ابن الأثير في النهاية: ثم يكون مُلك وجبروت أي عتو وقهر. يقال: جبار بين الجبورة، والجبرية، والجبروت ا. هـ.

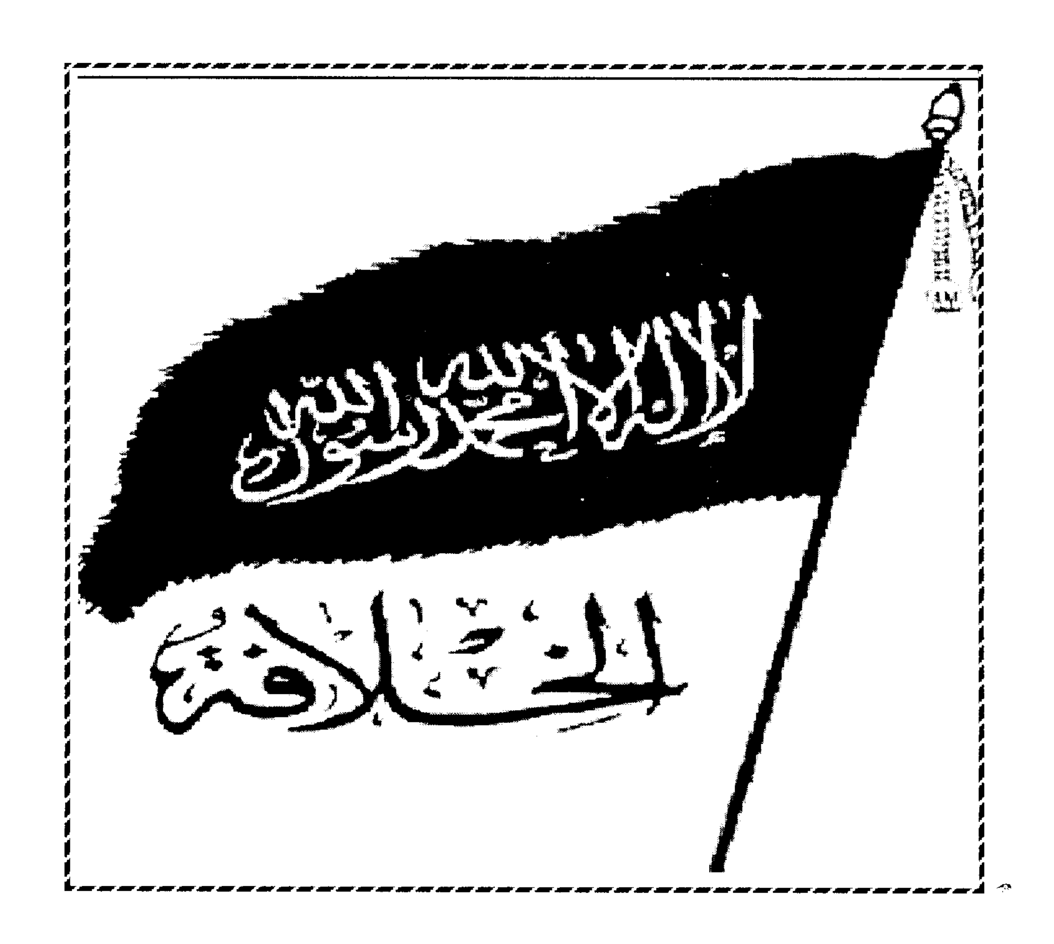
أما عن تحقق ما في الحديث، فقد تقدم أن من السلف من جعله قد تحقق في جميع مراحله، وأن الخلافة الأخرى التي على منهاج النبوة، هي خلافة عمر بن عبدالعزيز. لكن قال الألباني في السلسلة الصحيحة: ومن البعيد عندي جعل الحديث على عمر بن عبدالعزيز؛ لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة، ولم يكن بعد ملكان ملك عاض وملك جبرى. والله أعلم. ا. هـ.

فالظاهر- والله أعلم- أننا الآن في الملك الجبري، ويدل على ذلك ما رواه الطبراني عن النبي ﷺ قال: سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرجه رجل من

أهل بيـتي، يملأ الأرض عـدلاً كـمـا ملئت جـوراً، ثم يؤمـر بعـده القـحـطاني. فوالذي بعثني بالحق ما هو بدونه.

ففيه أن المهدي يخرج بعد الجبابرة، فخلافته هي الخلافة الأخرى التي هي على منهاج النبوة، لكن الحديث ضعفه الألباني، في السلسلة.

■ ■ ■



بشائر الخلافة على منهاج النبوة

فهرس المحتويات